



المجلة العربية للتيار الماركسي الأمامي

# الحرية والشيوعية

صحيفة فصلية

العدد السابع

مارس 2021



2 دولار



السعر التضامني 5 دولار



<https://www.marxy.com>



عدد خاص

## لنجعل من عام 2021

## خطوة نحو الثورة الاشتراكية

# افتتاحية العدد

أيها الرفيقات أيها الرفاق،

## يتزامن

خروج هذا العدد من مجلتكم الشيوعية والحرية مع مرور عشر سنوات على انطلاق الحركات الثورية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ابتداء من سنة 2011. حركات ألهمت عمال العالم بأسره، بما في ذلك البلدان المتقدمة صناعيا، أم نر شباب وعمال الولايات المتحدة وهم يرفعون خلال نضالاتهم شعار: «ثورة حتى النصر»، ويكتبون على لافتاتهم: «ناضل كمصري»، الخ ! لقد كانت بحق عشر سنوات من النضالات

والانتكاسات، من الانتصارات والهزائم، من المد والجزر، وكانت على وجه الخصوص عشر سنوات من الدروس المكثفة، تعلم خلالها عمال المنطقة، وجماهيرها الكادحة، وشبابها الثوري، أكثر مما يمكن لهم أن يتعلموه طيلة عقود من الركود...

لقد رأوا في الممارسة كيف يهب جهاز الدولة بالعصي والغازات المسيلة للدموع، وحتى الرصاص الحي، ناهيك عن جهاز القضاء ووسائل الإعلام... ليخرس أصواتهم المطالبة بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، وكيف يحمي الطبقة الرأسمالية رغم كل جرائمها. فإذا بجهاز الدولة يقف عاريا اليوم باعتباره أداة في يد الطبقة السائدة لحماية مصالحها وتأييد سيطرتها، وليس «جهازا في خدمة الجميع» و «حكما عادلا بين الجميع»، وما إلى ذلك من الأوهام...

هذا درس في منتهى الأهمية لم تتعلمه الجماهير في كتاب لينين «الدولة والثورة» بل في الشوارع وتجربتها الملموسة المؤلمة، والتي لأنها ملموسة ومؤلمة ستنتقش بعمق في وعيهم أفضل من أي خطاب أو مقال.

لقد رأيت الجماهير كذلك حقيقة اللبراليين والمصالح الحقيقية التي يدافعون عنها عندما تدق ساعة الحقيقة. فبمجرد ما خرج العمال والشباب الكادح إلى الشوارع لكي يأخذوا مصيرهم بأيديهم، تخلى اللبراليون بكل أنواعهم عن أقتعتهم «الحمراء» وشعاراتهم «الجدرية» وارقوا، بمبررات شتى، في أحضان الردة الرجعية، وصارت الدعوات إلى «التعقل» و«الحفاظ على المؤسسات»، من جانبهم بديلا عن المطالبة بـ «الديمقراطية» و«حقوق الانسان»...

كما أنها رأيت بتجربتها الملموسة حقيقة التنظيمات الاسلامية، التي تمكنت لعقود طويلة من

خداع قطاعات واسعة من الجماهير. رأيت وحشية الإرهابيين وحقيقة مشروعهم الدموي الرجعي وعلاقتهم الإجرامية مع الإمبريالية والقوى الاقليمية الأشد رجعية وفسادا. كما رأيت حقيقة المشروع السياسي للأحزاب الاسلامية المشاركة في اللعبة الرسمية (حزب العدالة والتنمية في المغرب والنهضة في تونس والإخوان المسلمين في مصر، الخ)، بكونه مجرد تنويعة من تنويعات المشاريع الرأسمالية، حيث تعمل في توافق تام مع المؤسسات المالية العالمية والقوى الإمبريالية وتطبق سياسة التقشف والقمع. كما انفضحت تيارات إسلامية أخرى (مثل

**كما تعلمت الطلائع العمالية والشباب الثوري أنه ليس كافيا اسقاط رموز النظام، وتغيير هذه الحكومة بتلك. لأن السياسات تبقى هي نفسها في آخر المطاف. بل إن الجماهير تفهم اليوم أن الأوضاع ليس فقط لم تتحسن، بل صارت أكثر سوءا مما كانت عليه قبل عشر سنوات. لقد صار من السهل أن نشرح اليوم أنه لا إمكانية لأي حل حقيقي جدي ودائم في ظل الرأسمالية، وأن الرأسمالية هي المشكلة الأساسية!**

العدل والإحسان في المغرب، والسلفيون في مصر، الخ) باعتبارها جزءا من النظام خاصة عندما سارعوا إلى إطفاء «الحرائق» للحفاظ على الوضع القائم...

أه كم كان صعبا، في السابق، إقناع ولو بضعة أشخاص بهذه الخلاصة التي صارت الآن ملايين الناس مقتنعين بها بشكل عميق.

والأهم من كل ذلك هو أن الجماهير اختبرت قوتها والإمكانات الهائلة التي تمتلكها. فبالرغم من غياب التنظيم والقيادة والبرنامج، وبالرغم من كل العفوية التي طبعت الحركة، فقد تمكنت من إسقاط بعض من أعتى الدكتاتوريين في المنطقة والعالم، ففر بنعلي وتنحى مبارك وتم اسقاط علي عبدالله صالح ومعمر القذافي واضطر محمد السادس إلى الخروج في خطاب بدون أي موعد رسمي، واستعمال لغة التوسل والوعد بـ «إصلاحات دستورية»، كما سقط البشير وبعده بوتفليقة، الخ.

قبل ذلك كان الليبراليون منهمكين لعقود طويلة في صياغة الملتزمات وتسول الإصلاحات، ونشر الوهم في قدرة البرلمان على حل المشاكل الملحة للجماهير، وما إلى ذلك. لكنهم لم يحققوا

طوال حياتهم الحقيرة ولو ذرة مما حققته الجماهير خلال بضعة أيام من التحركات الثورية في الشوارع والمصانع والجامعات.

كما تعلمت الطلائع العمالية والشباب الثوري أنه ليس كافيا اسقاط رموز النظام، وتغيير هذه الحكومة بتلك. لأن السياسات تبقى هي نفسها في آخر المطاف. بل إن الجماهير تفهم اليوم أن الأوضاع ليس فقط لم تتحسن، بل صارت أكثر سوءا مما كانت عليه قبل عشر سنوات. لقد صار من السهل أن نشرح اليوم أنه لا إمكانية لأي حل حقيقي جدي ودائم في ظل الرأسمالية، وأن الرأسمالية هي المشكلة الأساسية!

لقد تمكنت الأنظمة الرأسمالية في المنطقة من النجاة من الموجة الثورية الأولى، مما أثار إحباط البعض وارتباك البعض الآخر، ممن شاركوا في تلك الحركات. الكثير منهم فقدوا الأمل وقرروا الانكفاء على الذات والبحث عن الخلاص الفردي، بل انتقل بعضهم، بصراحة أو بشكل موارب بمعسكر الردة الرجعية، في الأحزاب والجمعيات غير الحكومية والمنابر الإعلامية «المستقلة» (طبعا!!)، الخ وصاروا يسبون الجماهير «الجاهلة» وينشرون الإحباط ويؤكدون «استحالة تغيير الوضع» أو أنه «لم يحن الأوان بعد»، وما إلى ذلك من السموم.

لكن كل ذلك لم يكن سوى وضع مؤقت، بل استمر وقتا أقصر بكثير حتى مما كنا نتوقع. سرعان ما عادت الجماهير إلى الشوارع ليس فقط في السودان ولبنان والعراق والجزائر وتونس، بل وكذلك في فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا وهونغ كونغ وغيرها كثير في موجة ثورية عالمية غير مسبوقة.

صحيح أن الجائحة تسببت في إبطاء تلك السيورة، وإيقافها، مؤقتا، في بعض البلدان، لكنها لم تقض عليها، كما أنها أضافت مشاكل جديدة على المشاكل السابقة وفاقمت بشكل أكبر الأزمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وفضحت أكثر فأكثر النظام الرأسمالي باعتباره نظاما مجرما مفسدا خطرا على بقاء الحضارة البشرية نفسها. فقد رأينا كيف يدفعون بالعمال إلى العمل في شروط خطيرة لكي يستمر تدفق الأرباح، ورأينا اللامبالاة الإجرامية التي تعاملت بها الطبقات السائدة في كل بلدان العالم مع معاناة ومآسي ملايين الناس الذين فقدوا مناصب شغلهم ومنازلهم وحياتهم، في حين استمرت أقلية من الطفيليات في مراكمة ثروات فاحشة خلال الأزمة وبفعل الأزمة...

# محتويات العدد

- الصفحة 3 **سنة سعيدة .. بالنسبة للبعض**
- الصفحة 10 **مصر .. الذكرى العاشرة للثورة**
- الصفحة 14 **تونس .. احتجاجات حاشدة  
تهز البلاد**
- الصفحة 16 **فرنسا .. مقتل المدرس صامويل  
ونفاق الوحدة الوطنية**
- الصفحة 17 **الولايات المتحدة .. الاشتراكية  
والنضال ضد رئيس وول ستريت**
- الصفحة 21 **بريطانيا .. بعد عام من الانتخابات،  
حكومة بوريس المأزومة**
- الصفحة 24 **الأرجنتين .. قانون الحق في  
الايقاف الطوعي للحمل**
- الصفحة 25 **حول مفهوم الحزب الثوري**
- الصفحة 28 **الخلاف بين غرامشي وبورديغا**
- الصفحة 32 **روزا .. مناضلة ثورية حقيقية**
- الصفحة 35 **فريدريك انجلز .. في ذكراه  
المئوية**
- الصفحة 38 **هيرونيμος بوش وفن احتضار  
الفيودالية**
- الصفحة 44 **لقاء مع مناضل جزائري**
- الصفحة 45 **لقاءات مع الفروع الأمامية**

اليوم نستذكر ثوراتنا المهضومة والمهزومة، ليس من باب الحنين الي الماضي المؤلم وانما من باب التعلم من تجاربنا الثورية المريرة، التي لم يكن السبب في هزيمتها «قلة كفاحية» الجماهير، أو «عدم نضج الظروف»، أو «أوهام» الجماهير، بل كان السبب الرئيسي، من وجهة نظرنا، هو غياب برنامج ثوري يرفع بشكل واضح راية اسقاط الرأسمالية. أو بعبارة أخرى غياب حزب ماركسي ثوري قادر على توحيد وقيادة تلك النضالات العظيمة لإنجاز مهمة انتزاع السلطة السياسية والاقتصادية من يد تلك الأقلية من كبار الرأسماليين الطفيليين، ووضعها تحت الرقابة الديمقراطية لمجالس العمال والفلاحين وعموم الكادحين.

نحن اليوم، في مطلع هذه السنة الجديدة، على مشارف نهوض نضالي جديد تظهر تباشيره في الحراك الأخير في تونس والهند وتايلند وروسيا وتشيلي والاكوادور وفرنسا، نهوض يشارك فيه جيل جديد من الشباب لم يعيش هزائم الماضي ولا إجباطاته ولا يرى أي أفق في ظل الأنظمة القائمة ويتحرق للتغيير الثوري لهذه الأوضاع.

لهذا الجيل الجديد من الشباب الثوري نتوجه بمشروعنا الثوري ونقول: يا لها من دروس عظيمة هي دروس العشرية الماضية! ويا لها من إمكانيات ثورية يحبل بها الوضع الحالي! لكن كذلك يا لها من مهام كثيرة وجلييلة يتوجب علينا إنجازها: مهام بناء القيادة الثورية قطريا وأممية، والنضال من أجل كسب الجماهير إلى راية الثورة الاشتراكية.

أيها الرفيقات أيها الرفاق، لا تصدقوا أن هذا النظام القائم على الاستغلال والافقار وتلويث البيئة والحروب وما لا يعد من المآسي هو النظام الوحيد الممكن أمام الجنس البشري، أو أنه النظام الوحيد الذي نستحقه. كلا، ففي مقدورنا نحن العمال والشباب الثوري أن نبني عالما آخر خال من كل تلك الشرور، من خلال إسقاط حكم الأقلية من الطفيليات المجرمة، التي تحكم اليوم، وبناء مجتمع يقوم على التسيير المخطط الديمقراطي العقلاني للاقتصاد لخدمة مصالح الأغلبية. أيها الرفيقات أيها الرفاق، هذا هو المشروع الذي نناضل من أجله، نحن التيار الماركسي الأممي، فإذا كنتم تتفقون معنا التحقوا بنا، في هذا النضال التاريخي، الذي هو النضال الوحيد الذي يستحق أن يحيى الإنسان من أجله، الي الأمام أيها الرفيقات وايها الرفاق، أمامنا عام لنكسبه.

## فلنجعل من عام 2021 خطوة في مسار انتصار الثورة الاشتراكية

للتواصل مع التيار الماركسي الأممي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا،  
يمكنكم التواصل معنا على العناوين التالية:

البريد الإلكتروني لموقع ماركسي: [contact@marxy.com](mailto:contact@marxy.com)  
بريد موقع الدفاع عن الماركسية: [contact@marxist.com](mailto:contact@marxist.com)  
مجلة الشيوعية والحرية: [communismliberty@marxy.com](mailto:communismliberty@marxy.com)

زوروا مواقعنا: [www.marxy.com](http://www.marxy.com) و [www.marxist.com/arabic.htm](http://www.marxist.com/arabic.htm)

وصفحاتنا على مواقع التواصل الاجتماعي:

فيسبوك: <https://www.facebook.com/marxycom>  
تويتر: <https://twitter.com/marxycom>



## سنة سعيدة... بالنسبة للبعض

في هذا المقال يلقي الرفيق آلان وودز، محرر موقع marxist.com نظرة على الحالة المضطربة للعالم في مستهل سنة 2021. الرأسمالية غارقة في أزمة عميقة. وبينما يواصل عدد قليل من أصحاب المليارات مراكمة ثروات فاحشة، تجد الغالبية العظمى نفسها محاصرة بين جائحة فيروس كورونا وبين الفقر. لكن الماركسيين يقولون، رغم ذلك، متفائلين. لقد بدأ العمال والشباب في تسخين عضلاتهم استعداداً للمعارك القادمة.

«ذاك الذي ما زال يضحك، لم يسمع بعد النبأ الرهيب» (بيرتولد بريخت)

«يزهر الأمل على نحو سرمدى في صدور البشر»

### تحتوي

هذه الكلمات الشهيرة لشاعر القرن الثامن عشر الإنجليزي العظيم، ألكسندر بوب، على حقيقة عميقة عن النفس البشرية. فالأمل في آخر المطاف هو الذي يمكننا من الاستمرار، إنه ما يدعمنا خلال مرورنا بتجارب ومحن الحياة. وحتى في أحلك اللحظات، عندما نشعر بالإرهاق من الصعوبات التي

#### سنة سعيدة؟

عند منتصف الليل، ومع تحول يوم 31 دجنبر إلى 01 يناير، من المعتاد أن يتمنى المرء لأصدقائه وعائلته سنة جديدة سعيدة. وهذه السنة لن تكون مختلفة، لقد كان بوب العجوز محقاً تماماً: فالأمل يزهر على نحو سرمدى في صدور البشر.

لذلك قمنا، كالمعتاد، برفع الأنخاب وتمنينا للجميع سنة مليئة بالسعادة والصحة والازدهار، على أمل أن تكون سنة 2021 أفضل من سنة 2020. وعلى كل حال فإنه من الصعب أن تكون أسوأ!

لكن ومع ذلك، مع ذلك... كم منا يؤمن بالفعل، من أعماق قلبه، بهذه المتمنيات المتفائلة؟ في الحقيقة هناك القليل من الأدلة الملموسة لتبريرها. ما تزال الجائحة تنتشر خارج نطاق السيطرة، وتعرض ملايين الناس للمعاناة والموت. في نهاية 2020، بلغ العدد الإجمالي لحالات الإصابة بفيروس كورونا على النطاق العالمي، ما مجموعه 82.421.447، وبلغ العدد الإجمالي للوفيات المسجلة 1.799.076.

ورغم ذلك فإنه ليس هناك من شك في أن هذه الأرقام الرسمية تقلل بشكل كبير من تقدير الوضع الحقيقي. من يمكنه أن يصدق الإحصاءات الرسمية للأشخاص الذين ماتوا بسبب هذا المرض المروع في الهند، على سبيل المثال؟

ولتأكيد هذه النقطة تكفي الإشارة إلى التزوير الصارخ للإحصاءات في بريطانيا، وغيرها مما يسمى بالبلدان المتقدمة، بهدف تقليل عدد الوفيات الناتجة عن الفيروس.

وبما أن الفيروسات لا تُظهر أي احترام للحدود الوطنية، فإنه حتى البلدان الأكثر ثراءً لم تتج. إذ يمكن العثور على بعض من أسوأ الإحصائيات في الولايات المتحدة نفسها، حيث تعتبر فلوريدا حالياً بؤرة للوباء.

في أحد المستشفيات بلوس أنجلوس تجاوزت حالات الإصابة بكوفيد 19 طاقة المستشفى الاستيعابية، مما اضطرهم إلى رعاية ضحايا المرض في محل لبيع الهدايا. هذه هي حقيقة الوضع في أغنى بلد في العالم.



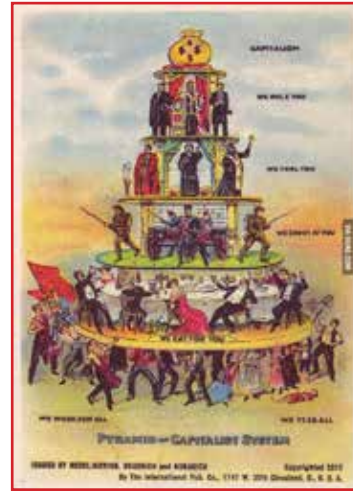
تحيط بنا من جميع الجهات، فإن هذا الاعتقاد الراسخ بأن الأمور ستتحسن في النهاية هو الذي يوفر لنا القوة المعنوية اللازمة لمواصلة العيش والنضال، حتى عندما يبدو أن كل الاحتمالات تسير ضدنا. لكن ما الذي سيحدث إذا انطفأ كل أمل؟ إن عالماً بلا أمل سيكون مكاناً مظلماً حقاً. سيكون من المستحيل العيش في مثل ذلك العالم. وإذا ما انتزعت من الناس الأمل في مستقبل أفضل، ستنزع منهم كل ما تبقى من إنسانيتهم وكرامتهم.

إن افتقاد الأمل لا يترك سوى شعور واحد ممكن، وهذا الشعور هو اليأس. يمكن للناس الاستجابة لليأس بأشكال مختلفة. لكن في الأساس ليس أمامهم سوى طريقين: الأول هو طريق السلبية واللامبالاة، وفي النهاية الاستنتاج بأن الحياة لا تستحق أن تعاش. ثم هناك طريق آخر: فالبشر مخلوقات شديدة العناد، ولن يتوصلوا عن طيب خاطر إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد مخرج، لذا فالطريق الثاني هو: طريق الثورة.

قال تروتسكي ذات مرة، مستشهدا بكلمات الفيلسوف العظيم سينيوزا، إن مهمتنا هي: «ألا نبكي ولا نضحك، بل أن نفهم».

يُقال لنا باستمرار إنه يجب علينا أن نتحد لمواجهة عدو مشترك، عدو قاس لا يرحم وغير مرئي يسمى كوفيد 19. «نحن جميعا في مركب واحد»، هذا هو الشعار الخاطئ والمنافق الذي يسعى من خلاله الأثرياء والأقوياء إلى صرف انتباهنا عن الحقيقة الواضحة بأن الجائحة الحالية هي أيضا مسألة طبقية.

كلا لسنا «جميعا في مركب واحد»، بل الواقع هو العكس تماما. لقد ساعدت الجائحة على كشف الانقسامات العميقة بين الأغنياء والفقراء، أي خط الصدع



الحقيقي الذي يقسم المجتمع إلى أولئك الذين هم محكوم عليهم بالمرض والموت بشكل مروع، وبين أولئك الذين ليسوا كذلك.

وفي أعقاب الجائحة جاء أعمق ركود اقتصادي في العصر الحديث. ضربت الأزمة الاقتصادية العالمية الولايات المتحدة بشدة. وخلال الجائحة تقدم 40 مليون أمريكي بطلب إعانة للبطالة. فكما هي العادة دائما: الفقراء هم أكثر من يعانون.

عام 2019 أفاد بنك الاحتياطي الفيدرالي أن أربعة من بين كل 10 أمريكيين ليس لديهم ما يكفي من المال في حساباتهم المصرفية لتغطية 400 دولار من النفقات غير المتوقعة. وقد أخذ هذا الوضع خلال الأشهر القليلة الأولى من عام 2020، منعظا دراماتيكي نحو الأسوأ.

اضطرت الطبقة الحاكمة، التي أحست بالرعب من الخطر الذي يمثله هذا الوضع، إلى اتخاذ إجراءات طارئة. والدولة، التي عليها،

وفقا لنظرية السوق الحرة، ألا تلعب أي دور في الحياة الاقتصادية قد صارت الآن الشيء الوحيد الذي يدعم النظام الرأسمالي.

في شهر مارس الماضي، وافق المشرعون الأمريكيون على صرف أكثر من 2.4 تريليون دولار كمساعدة اقتصادية للشركات والأسر، في محاولة لتخفيف الضائقة الاقتصادية التي تعاني منها ملايين العائلات. في الواقع تم إنفاق معظم هذه الأموال على شكل منح سخية للأثرياء. لكن الأموال الممنوحة للعاطلين قد عملت بلا شك على تخفيف آثار الأزمة عن الفئات الأكثر فقرا وهشاشة في المجتمع.

لكن الدعم استمر يتضاءل منذ الصيف، ومن المقرر أن تنتهي صلاحية العديد من البرامج الرئيسية - بما في ذلك إعانات العمال المؤقتين والعاطلين عن العمل لأكثر من ستة أشهر - في نهاية دجنبر. وبسبب سحب الحكومة للدعم صار هناك عدد متزايد من الناس عاجزين عن توفير طعام كاف أو يتخلفون عن دفع الإيجار ومختلف الفواتير الأخرى.

### الجوع في الولايات المتحدة

يجد الكثير من الناس الآن أنفسهم في وضع يائس. فبعد أن فقدوا فجأة وظائفهم، صاروا يواجهون خطر فقدان منازلهم. ليس لديهم دخل ولا أموال كافية لشراء الطعام. وتعاي ملايين العائلات من الجوع في أغنى بلد في العالم.

تضاعف انعدام الأمن الغذائي منذ العام الماضي، ووصل إلى أعلى مستوى له منذ 1998، أي السنة التي بدأ فيها لأول مرة جمع البيانات حول قدرة الأسر الأمريكية على الحصول على ما يكفي من الغذاء. ووفقا لاستطلاع حديث فقد قال واحد من بين كل ثمانية أمريكيين إنه لم يجد، في بعض الأحيان أو في كثير من الأحيان، ما يكفي من الطعام خلال شهر نوفمبر.

وقد قدم بنك الطعام في سان فرانسيسكو-مارين، الذي يعمل في إحدى أغنى مقاطعات الولايات المتحدة - سان فرانسيسكو ومارين - خدماته لحوالي 60 ألف أسرة، أي ضعف مستوى ما قبل انطلاق جائحة كوفيد 19. ويوم 14 دجنبر ذكرت بي بي سي نيوز أنه:

على الرغم من أن الجوع ليس شيئا جديدا في أمريكا، فإنه قد كان للجائحة تأثير كبير. لقد أصبح انعدام الأمن الغذائي مشكلة وطنية منتشرة ولم تستثن حتى بعض المناطق الأكثر ثراء. ومنذ أوائل نوفمبر، في مكان ليس بعيدا عن نادي ترامب الوطني للغولف في فيرجينيا، في منطقة كانت تشهد أدنى معدلات الجوع في البلاد، قدمت منظمة Loudoun Hunger Relief الطعام لما بين 750 و1100 أسرة في أسبوع واحد، بزيادة قدرها 225% عن المتوسط الأسبوعي لما قبل الجائحة. وقالت المديرية التنفيذية جينيفر مونتغمري: «لقد رأينا أشخاصا لم يكونوا بحاجة إلى هذا النوع من الموارد من قبل». وأضافت: «لقد كان من الواضح أنهم كانوا على بعد شيك واحد أو اثنين من الوقوع في مشكلة خطيرة».

### «لقد فقدت كبريائي»

خذوا على سبيل المثال سائق شاحنة من فلوريدا، يدعى عمر لايتنر، يبلغ من العمر 42 عاما. لقد فقد وظيفته في فبراير بسبب الجائحة، وكان منذ ذلك الحين يعيش على مدخراته في نزل صغير في جاكسونفيل مع زوجته وأطفاله. لكن مدخراتهم تنفذ بسرعة.

قال لايتنر: «كانت مدخراتي 22 ألف دولار عندما ذهبنا إلى الإقامة في النزل. أدى ذلك إلى وصولنا إلى حوالي 17.300 دولار. صرفنا الباقي على كوبونات الغذاء. لقد ساعدنا ذلك كثيرا، لكن لدينا طفلان مصابان بالتوحد الشديد، وهناك دواء وعلاج يجب دفع ثمنهما».

وبينما يواصل لايتنر البحث عن عمل، فإن مصدر قلقه الأكبر والأكثر إلحاحا هو كيفية تأمين منزل لعائلته. لقد تراكت عليهم أربعة

أسابيع من الإيجار وهم الآن مهددون بالإخلاء.

وكجزء من سياسة الإخلاء التي يتبناها النزل، يمكن للإدارة إزالة التجهيزات التي تعتبرها غير ضرورية من غرفتهم. انتزعوا منهم هذا الأسبوع التلفزيون، وهو الشيء الذي يحتاجه الزوجان بشدة لتهدئة ابنهما جمال، الذي تجعله إصابته بالتوحد غير قادر على الكلام.





قال لايتنز: «نحن أسرة مكونة من خمسة أفراد، ولا توجد ملاجئ متاحة لاستقبالنا الآن».

وأضاف: «لقد فقدت كبريائي. نحن متشردون تقريبا الآن. كنت دائما رجلا معتزلا بنفسه. لقد عملت طوال حياتي، وكان لدينا دائما منزل جميل وسيارات جميلة».

أعرف كيف نشأت، لقد كان علي العمل للحصول على تلك الأشياء. وقد تم انتزاعها مني دون أي خطأ مني».

هذا هو الوجه الحقيقي الوحشي للرأسمالية في القرن الحادي والعشرين. ولا يوجد وجه غيره. في الأول من يناير 2021، لم تكن كلمة «سنة سعيدة» سوى عبارة جوفاء مرة بالنسبة لما لا يقل عن 12 مليون مواطن أمريكي.

### سنة سعيدة للأثرياء

لكن مهلا! دعونا لا نكون مكتئبين جدا، إذ ليست كل الأخبار سيئة. ففي خضم هذا البحر اللامتناهي من البؤس البشري والمعاناة والجوع والموت، هناك أناس يلبون بشكل جيد بالفعل.

ففي الوقت الذي كان فيه أكثر من 40 مليون أمريكي يتقدمون بطلبات للحصول على إعانة بطالة، شهد أصحاب الملايير زيادة ثروتهم بأكثر من نصف تريليون دولار. لقد كانت سنة 2020 بالنسبة لهؤلاء الأشخاص سنة سعيدة جدا بالفعل. وليس هناك على الإطلاق أي سبب للشك في أن سنة 2021 ستكون أكثر سعادة.

خذوا فقط حالة رئيس شركة أمازون جيف بيزوس. لقد أصبح أول شخص على الإطلاق يمتلك ثروة إجمالية تزيد عن 200 مليار دولار. ومنذ بداية شهر مارس، عندما شهدت الولايات المتحدة أولى حالات الوفاة بسبب فيروس كورونا، تضخمت ثروة بيزوس بمقدار 74 مليار دولار، لذلك فإن هذا سبب كاف للاحتفال!

يجني السيد بيزوس الآن من الأموال في الثانية الواحدة أكثر مما يجنيه العامل الأمريكي العادي في أسبوع كامل. سيكسب المواطن الأمريكي العادي، الحاصل على درجة البكالوريوس، في حياته حوالي 2.2 مليون دولار، بينما يجني بيزوس حوالي 2.2 مليون دولار في 15 دقيقة.

وبامتلاكه لـ 190 مليار دولار، يعتبر الرئيس التنفيذي لشركة أمازون ثريا لدرجة أن بإمكانه إنفاق 02 مليون دولار مقابل كل دولار ينفقه مواطن أمريكي متوسط. إن ثروته تزيد عن ضعف ثروة النظام الملكي البريطاني بأكمله وأكبر من الناتج المحلي الإجمالي لبلدان بأكملها.

لكنه لم يكن الوحيد في حظه الجيد. فقد شهد قطب قطاع الكازينوهات، شيلدون أديلسون، ارتفاع ثروته بمقدار 05 ملايين دولار، بينما شهد إيلون موسك زيادة ثروته بـ 17,2 مليار دولار. وعند جمع هذه الأرقام معا تجد أن أصحاب الملايير في الولايات المتحدة قد رفعوا حتى الآن، أثناء جائحة كوفيد 19، إجمالي صافي ثروتهم بـ 637 مليار دولار.

وكما سبق لنا أن أشرنا فإن جزءا كبيرا من ثروتهم الجديدة قد جاء مباشرة من المنح السخية التي قدمت لهم من الخزينة العامة. حيث أن القسم الأكبر من المبلغ الضخم الذي قدمته الحكومة لمواجهة الأزمة، قد ذهب مباشرة إلى جيوب 01% الأكثر ثراء.

ومن ثم فإن القوانين الضريبية الصديقة للأثرياء والثغرات تبقي هؤلاء المليارديرات في القمة. وليست

### يجني السيد بيزوس الآن من

### الأموال في الثانية الواحدة أكثر

### مما يجنيه العامل الأمريكي

### العادي في أسبوع كامل

هذه سوى السبل القانونية التي يتخذها الأثرياء لتجنب دفع الضرائب. قدر الباحثون، عام 2017، أن حوالي 10% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي مخبأ في الملاذات

الضريبية. ووجدت دراسة تمت في عام 2012 أن أغنى أغنياء العالم يخبؤون ما يصل إلى 32 تريليون دولار في الملاذات الضريبية.

إن الفجوة التي تفصل بين الذين يملكون وبين الذين لا يملكون اتسعت إلى هاوية لا يمكن رآبها، مما يؤدي إلى تعميق الاستقطاب الاجتماعي والسياسي وخلق مزاج متفجر داخل المجتمع. وقد تأكدت هذه الحقيقة بشكل واضح من خلال الأحداث التي شهدتها واشنطن في الأيام الأخيرة.

### موقف دونالد جي ترامب الأخير

إن الحصول على تصور عقلائي حول طريقة عمل دماغ دونالد ترامب المعقد، مهمة تستحق مقدرة ذهنية أكبر بكثير من التي يمتلكها مؤلف هذا المقال. لكن ومع ذلك فإنه ليس من المستحيل تماما تقديم تخمين بشأن دوافعه في هذه المسألة.

كان الكونغرس قد وصل إلى طريق مسدود منذ الصيف بشأن حزمة مساعدات جديدة لمواجهة الجائحة كان من المفترض أن تساعد حوالي 12 مليون عامل مهددين بتوقف المساعدات في 31 دجنبر.

وفي النهاية توافق الجمهوريون والديمقراطيون على مشروع قانون حل وسط من شأنه، من بين أمور أخرى، أن يمدد مساعدة البطالة حتى نهاية مارس. لكن وأمام دهشة الجميع رفض الرئيس التوقيع. يحتج ترامب الآن على أن المبلغ الذي سيُقدم للمستفيدين قليل للغاية، وهذا صحيح تماما، وأنه يقف إلى جانب الأمريكيين الفقراء ضد الكونغرس المتشدد، وهذا ادعاء زائف تماما. الحقيقة هي أن المبلغ البائس الذي تم تحديده كان نتيجة لتكتيكات المماطلة التي اتبعتها الجمهوريون -أي حزب دونالد ترامب نفسه. لو أنه كان يعارض ذلك حقا، لكان في إمكانه توضيح وجهة نظره منذ فترة طويلة، وبالتالي توفير الكثير من الوقت والمتاعب. لكنه لم يفعل ذلك.

في الواقع لقد أيد الاقتراح الأصلي وظل صامتا حتى اللحظة الأخيرة التي وضعت فيها الفاتورة على مكتبه، قبل أسابيع قليلة من تلقيه الأمر بإخلاء

المكتب البيضاوي. من الواضح أن الأمرين ليسا منفصلين.

هناك شيئا

واضح للغاية

هنا: الأول هو

أن دونالد

جيه ترامب

مرتبط بشدة

بمنصبه

كرئيس

لأعظم قوة

في العالم،

وليس

مستعجلا

على الإطلاق

في حزم

حقائبه. بل

إنه على

العكس من

ذلك ينوي التمسك

بالسلطة حتى اللحظة

الأخيرة، بنفس اليأس الذي

يمسك به الغريق بالقش.



لكن لسوء الحظ تقلصت إمدادات الرئيس من القش بشكل حاد خلال الأسابيع التي تلت الانتخابات. وفي حركة يائسة من جانبه، تذكرنا بحملة الجزائر كاستر الأخيرة، قام دونالد ترامب بالنفخ في البوق لحشد قواته حول العلم.

عدد قليل فقط من الجمهوريين في مجلس الشيوخ من لبوا الدعوة. بل حتى أنصاره الأكثر ولاء في التسلسل الهرمي للحزب الجمهوري، والذين قرأوا بشكل جيد موازين القوى، توصلوا إلى نتيجة منطقية مفادها أن الحذر أفضل من الشجاعة.

ولزيادة الطين بلة سرب بعض النمامين الماكريين (الذين صارت أعدادهم تتضاعف يوما بعد يوم) تسجيلاً للرئيس وهو يحاول التتمر على سكرتير ولاية جورجيا، براد رافينسيبرغر، لـ «الثور» على 11.780 صوتاً لإلغاء انتصار جو بايدن هناك. وقد كان هذا ربما عاملاً في دفع أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين إلى اتخاذ قرارهم. لقد تخلوا عنه مثلما تهجر الجردان سفينة تغرق.

تشكل أفعال عدم الولاء الجبان هذه إهانة عميقة لرجل لم يعتد لفترة طويلة على أي عصيان من أي نوع. لم يكن من الممكن نهائياً تخيل أن تمر خيانة بهذا الحجم بدون عقاب. وهكذا فبينما كان الآخرون منشغلين بتغليف هدايا عيد الميلاد الخاصة بهم، كان دونالدنا يعد مفاجأة عيد الميلاد الأخيرة لأصدقائه وحلفائه السابقين، وهي مفاجأة لن ينسوها سريعاً.

وحتى لو كان ذلك يعني معاناة ملايين الأمريكيين الفقراء من الجوع، فسوف يسجله التاريخ كرئيس أراد تقديم المزيد من الأموال للفقراء. لقد كانت تلك مجرد كذبة بالطبع، وقد رفع هذا الرئيس فن الكذب إلى مستويات جديدة غير مسبوقة.

لكن الشيء الرئيسي ليس ما هو حقيقي، بل ما يعتقد الناس أنه حقيقي. وما يعتقد الناس سيكون مفيداً للغاية خلال الانتخابات الرئاسية المقبلة، عندما سيعود دونالد جيه ترامب، على عكس الجزائر كاستر، للهجوم مرة أخرى.

يمكن للمرء أن يتخيل مشاعر البهجة الخبيثة التي أزعج بها الرئيس الوثيقة، الشيء الذي كان بمثابة إطلاق قنبلة يدوية على صفوف الجمهوريين في الكونغرس.

«ها أنتم أولئك يا أصدقائي الرائعين! عيد ميلاد مجيد وسنة سعيدة!».

يشعر دونالد جيه ترامب بالرضا لأنه يعلم أنه حتى لو أُجبر على مغادرة البيت الأبيض، فسيكون قد فعل ذلك بضجة كبرى، وليس بتدبير. لقد تسببت تلك الخطوة في بث الذعر في الكونغرس. لكن ذلك لم يكن شيئاً مقارنة بما سيأتي.

## المواجهة

الديموقراطية البرجوازية نبات هش للغاية لا يمكنه أن يزدهر إلا في تربة معينة جيدة التغذية. إنه امتياز تاريخي لا يمتلكه سوى الأمم الرأسمالية الأكثر تقدماً وازدهاراً، حيث تمتلك الطبقة الحاكمة فائضاً كافياً من الثروة لتقديم تنازلات للطبقة العاملة، فتتمكن بذلك من تخفيف حدة الصراع الطبقي، ومنع اندلاع صراع مفتوح بين الأغنياء والفقراء.

نجحت الطبقة الحاكمة لفترة طويلة جداً -أكثر من 100 عام في بلدان مثل الولايات المتحدة وبريطانيا- في إقامة درجة معينة من التوازن السياسي والاجتماعي، ليس باستخدام القوة المباشرة بل باستخدام نوع من الاتفاق الودي والحلول الوسط بين الطبقات المتناحرة.

تم تحقيق ذلك في حالة بريطانيا من خلال نظام الحزبين -حزب المحافظين وحزب العمال- اللذان استمرتا يتناوبان على الحكومة على فترات منتظمة، دون أن يشكلا أي تحد لسيادة رأس المال. ويوجد ترتيب مماثل في الولايات المتحدة مع تقاسم السلطة بين الجمهوريين والديمقراطيين.

كان هذا الحل الوسط، في الواقع، قناعاً مكن من إخفاء الانقسامات

الجهورية الموجودة في المجتمع، ومنع أي تحد جدي للوضع القائم. وكما قال الكاتب الأمريكي العظيم غور فيدال: «جمهوريةنا لها حزب واحد، حزب الملكية الخاصة، بجناحين يمينيين». لكن أزمة الرأسمالية غيرت كل شيء. لقد أدى الانقسام الحاد والمتزايد بين الأغنياء والفقراء إلى انهيار الإجماع القديم.

يوجد في كل مكان، تحت مظاهر الهدوء السطحي، غليان من السخط الذي يعبر عن نفسه في اندلاع موجات دورية للغضب الشعبي ضد النظام القديم ومؤسساته وأحزابه وقادته وأخلاقه وقيمه. صحيح أن هذا السخط يفتقر إلى تعبير سياسي واضح، فهو مشوش وغير متماسك، ويمكن له في بعض الأحيان أن يتخذ شكلاً رجعيًا.

هذا الافتقار إلى الوضوح ليس مفاجئاً. إنه نتيجة لضعف العامل الذاتي، حقيقة أن قوى الماركسية الحقيقية قد تراجعت طوال فترة تاريخية كاملة، تاركة المجال مفتوحاً لجميع أنواع الإصلاحيين والإصلاحيين اليساريين المشوشين، والذين، بسبب عدم امتلاكهم هم أنفسهم لأفكار واضحة، عاجزون بنويًا عن تقديم أي حلول للمشاكل الملتهبة التي تواجه الجماهير.

وفي سياق سعيها للحيث لإيجاد مخرج من الأزمة، تبحث الجماهير عن تعبير ومنفذ لغضبها تجاه مظالم النظام الاجتماعي والسياسي الحالي الفاقد للشرعية. وهو ما يمكن أن يتم استغلاله من قبل الديمقراطيين اليمينيين عديمي الضمير من أمثال دونالد ترامب.

لكن في مثل هذه الحركات المشوشة وغير المتجانسة، من الضروري لنا أن نتعلم كيفية التمييز بين ما هو رجعي وبين ما هو انعكاس للاحتجاج العفوي ضد الوضع القائم، وألا ننخدع بفعل العوامل الثانوية والنزعة الانطباعية العاطفية.

إن الانطباعيين السطحيين، من أمثال بول ماسون في بريطانيا وكثيرون غيره ممن يطلق عليهم اسم يسار، لا يرون سوى العناصر الرجعية في الترابية، والتي يطابقون بحماقة بينها وبين الفاشية، دون أن يمتلكوا أدنى فهم لما تعنيه الفاشية حقاً. لا يمكن لمثل تلك الأفكار المشوشة أن تساعدنا في فهم المعنى الحقيقي للظواهر المهمة.

يقودهم هذا الهراء مباشرة إلى مستنقع سياسات التعاون الطبقي. ومن خلال ترويجهم لفكرة «أهون الشرين» الخاطئة، يدعون الطبقة العاملة ومنظماتها إلى التحالف مع العدو الطبقي، أي الليبراليين البرجوازيين، الذين يزعمون أنهم «مدافعون عن الديمقراطية».

والأسوء من ذلك هو أنهم، وبسبب عزفهم المستمر على وتر الخطر المزعوم للفاشية، من المحتمل أن يشلوا الطبقة العاملة عندما ستواجه تشكيلات فاشية حقيقية في المستقبل. إن منظري رأس المال الجديين، كما سنرى، يفهمون ما يحدث أفضل بكثير من هؤلاء اليساريين المزيفين الجاهلين والماركسيين السابقين، من أمثال بول ماسون.

لكن وبالعودة إلى الأحداث التي شهدتها واشنطن، فإن ما كشفت عنه في الأساس هو حقيقة أن الاستقطاب داخل المجتمع قد وصل إلى النقطة الحرجة حيث يتم اختبار مؤسسات الديمقراطية البرجوازية إلى درجة التدمير. وهذا هو السبب في أن الطبقة السائدة، وممثلها السياسيين في كل مكان، يشعرون بالرعب من سلوك دونالد جيه ترامب.

ليس لترامب أي وزن في مجال التنظير السياسي الاستراتيجي. إنه تجريبي جاهل، هدفه الوحيد في الحياة هو التباهي بالذات والتمسك بالسلطة والمكانة. وهذه حقاً صفة مناسبة لرجل ليست لديه أي مبادئ من أي نوع. وعلى الرغم من أنه ليس ذكياً بشكل خاص، فقد وهبه خالقه جرعة غير قليلة من الدهاء الحيواني المنحط.

لا يمكن لترامب أبداً أن يتقبل فكرة خسارة المنصب بشيء مبتذل مثل الانتخابات. لقد كان قد قرر مسبقاً أن النتائج مزورة (أي سبب آخر يمكن إعطائه لتفسير الخسارة؟) وبالتالي فإن أفعاله اللاحقة كانت متوقعة تماماً.

## منظرو رأس المال يستخلصون النتائج

بدأت عواقب ذلك تظهر واضحة بشكل متزايد لممثلي الطبقة السائدة الأكثر نباهة، والذين لديهم فهم للمنظورات أوضح بكثير من هؤلاء «اليساريين» الأغبياء والانطباعيين الذين لا يستطيعون أن يروا أبعد من أنوفهم. نشرت صحيفة «فاينانشيال تايمز»، يوم 29 دجنبر، مقالا بعنوان: «شكل أفضل من الرأسمالية ممكن». جاء المقال بتوقيع هيئة التحرير، وبالتالي فإنه يحمل ختم الموافقة التحريرية من واحدة من أكثر الصحف موثوقية للبرجوازية. ولهذا السبب فإنه يجدر الاقتباس بشكل مطول منه. نقرأ فيه ما يلي:

«إن هدوء فترة عيد الميلاد هي لحظة لتتذكر كيف تصف قصة الميلاد عائلة يسوع: كيف تم طردها بقوانين إدارية سخيفة، وتشريدها، ودخولها المخاض في ظروف غير كريمة. يمكننا أن نلاحظ كيف يمكن أن تصف هشاشتها ظروف طبقة دنيا في أغنى المجتمعات التي عرفتها البشرية على الإطلاق. لقد سلطت الجائحة ضوء قاسيا على الأجزاء الضعيفة من أسواق العمل في البلدان الغنية. يعتمد معظمنا -فعليا في بعض مراحل حياتنا- على الأشخاص الذين يقومون بملاء الرفوف وتوصيل الطعام وتنظيف المستشفيات ورعاية المسنين والعجزة. ومع ذلك فإن العديد من هؤلاء الأبطال المجهولين يتقاضون رواتب منخفضة ويعملون فوق طاقتهم ويعانون من هشاشة ظروف العمل وانعدام الأمن أثناء العمل. تمت صياغة مصطلح جديد لوصفهم -«Precariat» - وهو مصطلح مناسب. لقد فشل العمل، على مدى العقود الأربعة الماضية، في تأمين دخول مستقرة وكافية لأعداد متزايدة من الناس. ويظهر هذا في ركود الأجور وفي الدخل غير المنتظم وعدم وجود مدخرات مالية لحالات الطوارئ وانخفاض الأمن الوظيفي وظروف العمل الوحشية، إلى حد وقوع أحداث مروعة مثل وضع تلك المرأة مولودها في المرحاض خوفا من التخلف عن الوردية. يعاني الكثيرون من تصاعد مخاطر التشرد والأوبئة الناجمة عن المخدرات والأمراض المرتبطة بالكحول. يمكن لأنظمة الرعاية أن تساعد، لكن يمكنها أيضا أن تحبس الأشخاص المعرضين للهشاشة أصلا، في فخ المتاهات الإدارية. هذه مشكلة قديمة، لكنها تفاقمت بشكل حاد في عام 2020. معظم الوظائف الهشة «Precariat» تتطلب تواجدا فعليا للقيام بالأعمال اليدوية، مما يجعل العمال أكثر عرضة سواء لعدوى فيروس كورونا أو لفقدان الدخل بسبب عمليات الإغلاق».

نجد هنا شرحا للمشكلة المركزية بوضوح مثير للإعجاب. لكن ما هو الحل؟ يقول لنا المؤلف:

«إن مساعدة المحتاجين واجب أخلاقي، إلا إن انتشار الناس من الهشاشة الاقتصادية يصب أيضا وبشكل كبير في المصلحة الخاصة للأغنياء».

هذه مشاعر جديرة بالثناء حقا! هذه السطور تعيد إلى ذهننا رواية تشارلز ديكنز الشهيرة «ترنيمه عيد الميلاد»، حيث ينتهي سكروج، الرأسمالي البخيل الكاره للبشر والمحب للمال، إلى الاقتناع بشكل تدريجي بإصلاح نفسه ومشاركة شيء من ثروته مع الفقراء والمحرومين، ويصبح بشكل عام شخصا طيبا ولطيفا.

وبعد أن شعر بالخيانة من قبل زملائه القادة الجمهوريين (العديد منهم يكرهونه، لكنهم جميعا يخشونه)، لجأ إلى نقطة الدعم الوحيدة الموثوقة بالنسبة له، وهي قاعدته الجماهيرية، التي على الرغم من كل شيء، ما تزال موالية للرجل الذي يعتبرونه صوتهم وأملهم الوحيد في واشنطن الفاسدة والكلبية. لذلك لم يكن مفاجئا أنه حاول حشد تلك القاعدة الجماهيرية فيما قد تكون آخر رمية لحجر الزند يقوم بها مقامر يائس. لقد كانت تلك بلا شك خطوة محفوفة بالمخاطر، لكن يبدو أن دونالدنا، مثله مثل كل المقامرين، يعيش الحركات الخطرة، خاصة عندما تكون الرهانات عالية جدا. إلا أن هناك بعض الأشياء التي تترتب عن ذلك. فهذا الرجل الذي تسبب بأفعاله في تعميق جميع خطوط الصدع داخل المجتمع الأمريكي، وخلق ما يشبه إلى حد كبير حالة حرب أهلية بين الديمقراطيين والجمهوريين، قد أعلن الآن الحرب على حزبه الخاص، مهددا بشق صفوف الحزب الجمهوري من القمة إلى القاعدة.

من الواضح أن الهدف من وراء خطبه المنجونة كان هو تحريض الغوغاء الغاضبين أصلا لكي يتجهروا أمام البيت الأبيض ومهاجمة الكونغرس، وبالتالي (كان يأمل) منع تأكيد فوز جو بايدن الانتخابي. لكنه كان من الواضح أن هدفه الرئيسي لم يكن هو الديمقراطيين، بل بالتحديد الجمهوريين في الكونغرس، وخاصة نائب الرئيس مايك بنس، الذي حثه على منع انعقاد الجلسة. لكن بحلول هذا الوقت، كان بنس والقادة الرئيسيون الآخرون للجمهوريين قد قرروا أن هذا يكفي. لقد انفصلوا، في الواقع، عن ترامب، وانفصل ترامب عنهم. وقد تسببت هذه الأحداث في إلحاق جروح عميقة بالحزب الجمهوري، وهي جروح لن تندمل بسهولة. وإمكانية حدوث انشقاق مفتوح بين الجمهوريين ليست مستبعدة على الإطلاق.

من الصعب التنبؤ بما إذا كان السيد ترامب ما زالت لديه أي حيل أخرى في جعبته قبل تنصيب الرئيس الجديد. يبدو من رد فعله الأولي أنه فقد توازنه بسبب وإبل الهجمات التي تلقاها من جميع الجهات، وهو يحاول القيام بتراجع سريع. لكن ذلك سيؤدي إلى إرباك أنصاره دون أن يمكن من إرضاء أعدائه في الكونغرس الذين يطالبون بإقالته من منصبه فوراً. هناك شيء واحد واضح، وهو أن الطبقة السائدة لم تستمتع بحيلته الأخيرة، التي لم تكن الشرطية (لأسباب غير واضحة) مستعدة لها. يمكننا أن نكون على ثقة تامة من أن يوم التنصيب سيشهد حشد قوات كبيرة من الشرطة لضمان عدم تكرار فوضى يوم أمس، وأن أي شخص سيحاول إفساد الحفلة سيكافأ بكسر في الجمجمة.

وبعد أن أدرك دونالد ترامب أخيرا أن اللعبة انتهت، بدأ يعد بأنه سيغادر بهدوء. وقد فعل ذلك لأنه يدرك تماما أن البديل سيكون هو حمله من طرف أصحاب الزي الأزرق إلى أقرب سيارة شرطة. وهذا على افتراض أنه لن يتعرض للعزل مرة ثانية، هذه المرة بتهمة أكثر خطورة وهي «التمرد» ضد الجمهورية.

بالطبع لن يكون هذا نهاية المطاف، بل على العكس من ذلك فإن الدراما الحقيقية ستكون قد بدأت للتو. جو بايدن بعد فوزه بمقعدين في مجلس الشيوخ في جورجيا، ستكون لديه الآن سيطرة آمنة إلى حد ما على الكونغرس. ولن يكون لديه أي عذر لعدم تنفيذ السياسات التي يتوقعها أنصاره. لكن الأزمة الاقتصادية المتفاقمة، والتي ازدادت حدة بسبب الديون الهائلة، تعني أن إدارة بايدن ستخيب آمال هؤلاء الملايين الذين صوتوا لها على أنها «أهون الشرين». ستنتفح الآن فترة جديدة وعاصفة من الصراع الطبقي، والتي ستحول المجتمع الأمريكي من القمة إلى القاعدة، وسيفتح الطريق أمام تطورات ثورية.





وبواصل المقال قائلا:

«يعكس وباء الوظائف منخفضة الأجر وغير الآمنة فشلا في نشر أساليب الإنتاج الأكثر تقدما من حدود الاقتصاد إلى الهوامش البعيدة. إن مجرد وجود البريكاريا دليل على تعرض الموارد البشرية والمادية والتنظيمية- للهدر.»

«الاقتصاد المستقطب ليس فقط غير عادل، بل إنه غير فعال كذلك.»

أجل، كل هذا صحيح تماما. إن النظام الرأسمالي في الواقع نظام مبدر وغير فعال. هذا ما نعرفه منذ وقت طويل جدا. لذلك يجب استبداله بنظام مختلف: نظام يقوم على اقتصاد متناغم ومخطط عقلايا تكون فيه القوة الدافعة هي إشباع احتياجات الأغلبية، وليس السباق المجنون للحصول على الثروة الفاحشة لصالح الأقلية.

هذا الاستنتاج لا مفر منه نهائيا. لكنه بعيد تماما عن تناول مؤلفنا حسن النية، الذي يستنتج (دون إعطاء أي براهين) أن: «البدائل أسوأ للجميع.» لم يشرح لنا مطلقا لماذا يجب أن يكون هذا هو الحال. لا يستطيع المؤلف أن يرى أي شيء يتجاوز النظام الرأسمالي القائم، وبالتالي فإنه يحلم بإصلاحه ليصير أفضل. لكن الرأسمالية لا يمكن إصلاحها، على عكس ما يتصوره الإصلاحيون الأغنياء، الذين يعتبرون أنفسهم واقعيين، لكنهم في الواقع أسوأ أنواع الطوباويين.

يقول المؤلف إنه من أجل إنقاذ الرأسمالية يجب على أتباعها «تلميع أطرافها الخشنة». ويعلن بانتصار أن «الرياح تتغير».

«فالسيسيون من جو بايدن إلى بوريس جونسون لديهم تفويضات «لإعادة البناء بشكل أفضل»؛ لقد تخلى حماة العقيدة الاقتصادية الأرثوذكسية عن وجهة النظر القائلة بأن عدم المساواة هو ثمن النمو. يمكن تحويل الرأسمالية لتصير قادرة على ضمان الكرامة للجميع.»

يا لها من صورة جميلة!

يتحول كل شيء إلى حلم بنوع مختلف من الرأسمالية: رأسمالية أطف وأطرف وأكثر إنسانية، تماما مثلما حلم ديكنز بسكروج أطف وأطرف وأكثر إنسانية. لكن غني عن القول إن هذا الحلم حلم طوباوي وبدون جدوى، مثله مثل الحلم الآخر.

تلك النهاية العاطفية هي بلا شك أضعف جزء في الرواية، ولا تعبر سوى عن أوهام المؤلف. إن الجزء القيم في الرواية حقا هو بدايتها التي تصف بدقة الأخلاق الحقيقية للرأسمالية.

يبدو أن مؤلفي مقال فايننشال تايمز يدركون بأسف عدم جدوى أي محاولة لمناشدة المشاعر الطيبة للأقلية الفاحشة الثراء التي تهيمن على المجتمع، على أساس «الواجب الأخلاقي لمساعدة المحتاجين».

كان هذا واضحا بالفعل لتشارلز ديكنز، الذي وصف المحاولات العبثية لأشخاص ذوي نوايا حسنة للحصول على تبرع من سكروج لصالح جمعية خيرية بمناسبة عيد الميلاد:

«قال سكروج: «ألا توجد سجون؟، ألا توجد مراكز للأشغال الشاقة؟».

قال الرجل المحترم: «أجل توجد. ومع ذلك فإني أتمنى لو أقول إنها غير موجودة. الكثير لا يمكنهم الذهاب إلى هناك؛ بينما يفضل الكثيرون الموت على أن يذهبوا هناك».

رد سكروج: «إذا كانوا يفضلون الموت، فمن الأفضل أن يفعلوا ذلك، ويقللوا من فائض السكان.»

لدينا هنا الصوت الحقيقي للرأسمالية: صوت الحساب البارد لاقتصاديات السوق، وصوت الرجعي ماثوس، صوت الانحطاط الأخلاقي والجشع والأناية والقسوة لرجال ونساء المال، والذي بقي على حاله منذ أيام ديكنز إلى وقتنا الحالي.

وإدراكا من المؤلفين بعدم جدوى مناقشة عواطف الرأسماليين النبيلة، انتقلوا إلى مناقشة مصالحهم الخاصة (أي: جشعهم وأنايتهم). نحن هنا على أرض أكثر صلابة!

«لا يتعلق الأمر فقط بأن الأغنياء هم الذين سيخسرون أكثر إذا ما أدى الاستقطاب الاقتصادي المستمر إلى رفض الرأسمالية، بل إنهم سيكسبون أكثر من وراء معالجته.»

لكنه لا يمكن لأي قدر من الوعظ الأخلاقي أن يمارس أي تأثير على هذه المخلوقات، تماما مثلما لم يكن له أي تأثير على سكروج، الذي لم تكن الدواعي الأخلاقية هي ما جعله يغير رأيه، بل كان الخوف: الخوف والقلق اللذين تسببت فيهما الأشباح التي أرسلها ديكنز لمطاردته.

لذلك اتخذ مؤلف مقال فايننشال تايمز قرارا حكيما بتخويف البرجوازيين من خلال مواجهتهم بالنتائج الحتمية للوضع الحالي. إنه احتمال مخيف أكثر بكثير من شبح عيد الميلاد التي لم يأت بعد:

«بدأت المجموعات التي تضررت بفعل التغيير الاقتصادي تستخلص بشكل متزايد أن المسؤولين لا يهتمون بمعاناتهم، أو الأسوأ من ذلك أنهم قاموا بإفساد الاقتصاد لمصلحتهم ضد المهمشين.

يؤدي هذا، ببطء لكن بثبات، إلى وضع الرأسمالية والديمقراطية في حالة تناقض مع بعضهما البعض. ومنذ الأزمة المالية العالمية أدى هذا الشعور بالخيانة إلى تغذية رد فعل سياسي عنيف ضد العولمة ومؤسسات الديمقراطية الليبرالية.

قد تزدهر الشعبوية اليمينية نتيجة لرد الفعل العنيف هذا، بينما تبقى الأسواق الرأسمالية في مكانها. لكن ونظرا لعدم قدرتها على الوفاء بوعودها للمحيطين اقتصاديا، فلن تكون سوى مسألة وقت فقط قبل أن تخرج المذاري ضد الرأسمالية نفسها، وضد ثروة أولئك الذين يستفيدون منها». (خط التشديد من عندي، آ. و)

أجل إن المنظرين البرجوازيين الجادين يفهمون التداعيات الثورية للوضع بشكل أفضل بكثير من هؤلاء الإصلاحيين قصيري النظر. يمكنهم أن يروا أن التقلبات العنيفة للرأي العام نحو اليمين يمكنها بسهولة أن تكون تهينة لتقلبات أكثر عنفا نحو اليسار، بحيث يمكن للجماهير الساخطة (المسلحة بالمذاري، في إحالة إلى الثورة الفرنسية أو ثورة الفلاحين) أن تتحول في اتجاه مناهض للرأسمالية.

## لماذا نحن متفائلون

«وإجمالاً إن الأزمة كانت تختبئ بعيداً مثل الخلد العجوز البارع». (رسالة من ماركس إلى إنجلز، بتاريخ 22 فبراير 1858) إن النظام الرأسمالي مريض، مريض مرض الموت. وأعراض هذا واضحة جداً. تحت السطح، في كل مكان، يوجد غضب شديد وسخط ومرارة وكرهية تجاه النظام القائم وأخلاقه المناقفة والظلم وعدم المساواة التي لا تطاق واللامبالاة القاسية تجاه المعاناة الإنسانية.

المؤسسات القديمة، التي كان ينظر إليها باحترام فيما مضى، صار ينظر إليها الآن بازدراء مطلق من قبل الجماهير، التي تشعر بأنها تعرضت للخيانة والإهمال. السياسيون والقضاة والشرطة ووسائل الإعلام والكنائس، كلهم ينظر إليهم على أنهم أعداء وفاسدون. لقد استندت مؤسسات الديمقراطية البرجوازية الرسمية إلى الافتراض بأنه في الإمكان احتواء الهوة بين الأغنياء والفقراء ضمن حدود يمكن السيطرة عليها. لكن النمو المستمر لعدم المساواة الطبقة أوجد مستوى من الاستقطاب الاجتماعي لم نشهده منذ عقود.

إنه يختبر الآليات التقليدية للديمقراطية البرجوازية إلى أقصى حدودها، بل وما وراء تلك الحدود. ظهر هذا بوضوح شديد خلال الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة خلال العام الماضي. لقد كانت الانتفاضات العفوية التي اجتاحت البلاد في أعقاب مقتل جورج فلويد، وما تلاها من أحداث غير مسبوقه سبقت

وتلت الانتخابات الرئاسية، نقطة تحول في الوضع برمتها. لدينا هنا في حالة جنينية الخطوط العريضة للتطورات الثورية التي سنشهدها في المستقبل.

ستكون سنة 2021 سنة لا مثيل لها. هل ستكون سنة سعيدة مثلما يتوقع المتفائلون؟ ستكون، بالطبع، سنة سعيدة لتلك الأقلية الصغيرة التي لديها أسباب تجعلها سعيدة، أي هؤلاء الذين يشكلون أقل من 01% من السكان، الذين يتمتعون بسيطرة غير محدودة على الثروة التي تنتجها الأغلبية العظمى.

لكن بالنسبة للأغلبية لا يمكن أن تكون السنة سعيدة. فبالنسبة لهم، لا يمكن أن يكون المستقبل في ظل الرأسمالية سوى قاتماً. ومع ذلك فإننا نظل بعناد وتحد متفائلين المستقبل، ليس مستقبل النظام الرأسمالي، بل مستقبل الصراع الطبقي الثوري الذي سوف يؤدي إلى الإطاحة بالنظام الرأسمالي مرة وإلى الأبد.

إن الطريق إلى بناء مستقبل سعيد يعتمد على القطيعة الجذرية مع الماضي. إن الطريق أمامنا سيكون شاقاً. سوف تدخل الطبقة العاملة مدرسة قاسية للغاية، إلا أنها سوف تتعلم في تلك المدرسة الدروس الضرورية.

لقد بدأت الطبقة العاملة، وبعد فترة طويلة من الخمول النسبي، تمدد أطرافها، مثلما يفعل رياضي يستعد للدخول في مسابقة حاسمة. هذا، وهذا وحده، هو ما يمنحنا الأمل والتفاؤل بمستقبل البشرية.

سبق أن نشرنا كتاب: «لينين وتروتسكي: ما هي مواقفهما الحقيقية»، منذ سنوات، وهو تجميع بارع لأفكار ماركس كما تجسدت في كتابات ونضالات هذين الثوريين العظميين (لينين وتروتسكي). لقد استخدم آلان وودز وتيد غرانت هذا الجدل ضد مونتي جونستون، الذي هو منظر بارز في الحزب الشيوعي البريطاني، لتبديد الخرافات والافتراءات التي تم نشرها ضد لينين وتروتسكي منذ وصولهما إلى الساحة العالمية. ومع التعطش الكبير للأفكار الماركسية الذي نراه الآن أكثر من أي وقت مضى في جميع أنحاء العالم، من المهم العمل على تحريرها من التشويهات الستالينية، وهو ما يقوم به آلان وودز وتيد غرانت في هذا الكتاب.

يقول آلان وودز في مقدمته لهذا الكتاب إنه: «سواء في بريطانيا أو اليونان أو مصر أو الولايات المتحدة، لا يمكن للجماهير أن تتعلم إلا من التجربة فقط. وقد كرس لينين وتروتسكي، مثلهما في ذلك مثل ماركس وإنجلز، حياتهما كلها لدراسة متأنية للنظرية وتمثل أعمالهما كنزاً من الأفكار التي تمثل اليوم جزء حيوي من ترسانة كفاح الطبقة العاملة».

خلال العقد الأخير تعلم العمال في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من خبرتهم. كل ما ينقصهم هو النظرية الثورية لربط التحركات بالأزمة الكامنة في النظام الرأسمالي. فقط من خلال النضال الأممي الديمقراطي بقيادة العمال حيث سيمكن تحقيق انتصار العديد من الانتفاضات الثورية التي شهدناها. هذا النضال يوجد في الأفكار الماركسية الثورية. وفي هذا السياق يعتبر هذا الكتاب الذي ترجمناه إلى اللغة العربية خطوة هامة للغاية إلى الأمام.

لتحصل على نسخة من الكتاب تواصل معنا على بريدنا الإلكتروني:

marxy.lac@gmail.com



لينين وتروتسكي  
ما هي مواقفهما الحقيقية

آلان وودز وتيد غرانت

فيه أجهزة الأمن السرية لتعد الأنفاس على الجماهير، توحش أجهزة الأمن في التعامل مع الجماهير -الفقيرة بشكل خاص- في الشوارع لدرجة موت عديد من المصريين تحت التعذيب في أقسام الشرطة، مجال سياسي تم مصادرته و تجريفه لمدة عقود، ترافق هذا مع بداية نهوض عمالي وشبابي، بدأ منذ العام 2000، وشهد ذروته في إضراب عمال المحلة 2008، أزمة اقتصادية عالمية منذ العام 2008، مشروع لتسليم السلطة لنجل حسني مبارك، وهو ما كان له تأثير سيئ حتى في قمة النظام والطبقة الحاكمة. هذه وصفة مثالية للانفجار الثوري، كما تحدث لينين من قبل، أزمة في القمة، مع صعوبة التحكم في الجماهير بالطرق القديمة، وأزمة اقتصادية وسياسية أدت لتجذر حتى فئات من الطبقة الوسطى، الشباب منهم بشكل خاص.

وكان قيام الثورة في تونس، وتحقيقها لانتصار ثوري مهم وكبير مثل إسقاط زين العابدين بن علي، بمثابة أقوى محفز للجماهير والشباب المصريين، وبدأ تأثير الدومينو. أذكر أنه قبل الثورة بعدة أيام شهدت مظاهرة بالصدفة لبضع عشرات من الشباب في الشارع، وقبل أن يتم قمعهم كانوا يهتفون «ثورة في تونس بكرة في مصر»، وقد كان مثلما قالوا.

### ثورة عظيمة

مارد رفض وانتفض ... زلزل عروش العار  
الشمس ولا الجبل... ولا المحيط هذار  
ولا القمر في السما... فجر سحب النار  
ولا الربيع انتشر... غطي الوجود ثوار  
ولا النشيد انطلق... عالي على الأسوار  
طير سلاح الحرس... من لمسة الأوتار  
ولا نسيم الصبا... ولا هوا الإعصار  
أنت الجميع كلهم... والكل فيك حضار  
يا شعب لما رفض... يا شعب لما اختار  
سطر بدم الشرف... أنشودة الأحرار  
نار الخيانة حطب... نار الشعوب صبار  
(أحمد فؤاد نجم)

ثارت الجماهير متحدية إطلاق الرصاص ودهس مدرعات الشرطة واجرام بلطجية النظام، اشتباكات يومية ضربت فيها الجماهير المعنى الحرفي للبطولة والتضحية، احتلت الجماهير الشوارع والميادين في ملحمة اسطورية أجرت فيها الشرطة على التراجع والهروب من زحف الجماهير الغاضبة، ظلت الجماهير صامدة لأيام عديدة، والنظام في حالة ارتباك يحاول امتصاص الغضب الشعبي سواء بالخطابات العاطفية أو اللعب علي وتر المخاوف الأمنية، إلى أن تدخلت الطبقة العاملة بثقلها في الأحداث وبدأت سلسلة إضرابات كلية، منذ يوم 07 فبراير، حينها أدرك المجلس العسكري، والقوى الامبريالية من خلفه، أن لا سبيل إلا لتقديم تنازلات جديدة للجماهير وإسقاط حسني مبارك.

حينها احسست الجماهير بقوتها الجماعية وبقدرتها على التأثير في مجريات الأحداث، الجماهير حينها لم تكن تعرف تحديداً ماذا تريد لكنها كانت تعرف بالضبط ما لا تريد، وفي ظل غياب قيادة ثورية والعفوية التي كانت السمة السائدة للفعل الثوري الجماهيري حينها، كان من الحتمي التعلم من التجربة ومن مدرسة الواقع والأحداث القاسية.

قالوا: هذي أرض لا تصلح

هذا طقس لا يسمح

هذا ظرف لا يسبح

قالوا: انتظر الفرصة، ثم تراخوا مرتاحين على النزف، فلا تصخ إليهم

حربك تصلح في كل مكان

في كل زمان

معركة اليوم بلا أمل بالنصر، وأنت تقاات كي لا تخجل من نفسك

كي تجرؤ أن تنظر في عيني ابنك

كي لا تغرقك الأحلام المخزية، وكي تبقى انسان

عشر سنوات على ثورة شقت السماء، عشر سنوات مرت بكل ما فيها من انتصارات مؤقتة وجروح غائرة. اليوم نتذكر ثورة كان يمكنها أن تغير الكثير في هذا العالم، ولا ابالغ إن قلت إن سريرة الثورة في المنطقة، وبالتالي العالم، كانت متوقفة على ما سوف يحدث في مصر؛ انتصار الثورة المصرية كان سيفتح الباب على مصراعيه للثورة العالمية. أقول هذا ليس للتباهي أو التباكي وإنما لإدراك حجم الفرصة التي فاتتنا وللاستعداد للفرصة القادمة، للمد الثوري القادم. هذه دعوة لدراسة تجربتنا المبريرة للاستعداد للمستقبل، وليس من أجل أن نظل حبيسي الماضي.

اليوم ونحن نرزع تحت وطأة الديكتاتورية العسكرية مهددين بسجونها في أي لحظة، نعيش واقع حرب اقتصادية واجتماعية طاحنة، دفعنا وستدفع الطبقة العاملة والجماهير منها غالباً، في خضم أعمق أزمة عاشتها الرأسمالية حتى الآن، ومجتمع منهك أشد الإنهاك، هناك حاجة لنقف ونلتقط الأنفاس لندرس أخطائنا التي أدت بنا لما نحن فيه اليوم، في وضع فيه القمع والخوف يُستشققان مع الهواء، وفراغ سياسي مصنوع ومحكوم بقبضة حديدية لا تلين، ووضع اقتصادي يرزح فيه أكثر من نصف الشعب تحت خط الفقر، وخطط حكومية لجعل الرأسماليين آلهة علينا، وظرف موضوعي صعب أصاب الكثيرين بالإحباط واليأس وأوقع الكثير من المناضلين في براثن العدمية والاكئاب.

### لا شيء يأتي من العدم

الثورة هي النقطة القصوى في التراكم الكمي للصراع الطبقي. ثلاثون عاماً عاشتها الجماهير تحت حكم حسني مبارك وزمرته كانت مليئة بكل ما يدعو للانتفاض والانفجار الاجتماعي.

حرب بين اليمين واليمين «الإسلاميين والدولة» استمرت أكثر من عقد من الزمان، خصخصة وبيع واسع لكثير من المؤسسات والموارد لصالح مجموعة من رجال أعمال الداخل والخارج، لم تكن بحجم خطة الخصخصة الحالية لكنها كانت الأكبر حينها، فتح السوق لهيمنة الامبريالية -وهي الخطة التي كان قد بدأها السادات قبل أن يُقتل- تحول الاقتصاد المصري ليصبح اقتصاد أكثر ريعية وهشاشة، ارتكاب جرائم في أحداث سياسية خارجية (الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000، العدوان الأمريكي على العراق 2003، الحرب على قطاع غزة 2009) كان لها أثر على الجماهير والشباب المصريين، اقتصاد يحقق معدلات نمو مرتفعة -بشكل نظري- تثرى أقلية ضئيلة في الوقت الذي كان الشباب المصري يسعى للهجرة ولو في قوارب ليهربوا من هذا الجحيم ويعبروا البحر الأبيض المتوسط، مستوى من تردي الخدمات والإهمال لم يسبق له مثيل لدرجة حصد عشرات الأرواح بين كل فترة وأخرى، مجتمع بوليسي تتمدد





بعد رحيل حسني مبارك، تحالف المجلس العسكري الذي كانت الجماهير تطالب برحيله، كونه جزء من النظام القديم، مع الإخوان المسلمين، ودخلوا في صفقة أشبه بثورة مضادة ناعمة برعاية أمريكية. حينها كانت تعلم الجماهير تحديداً أنها لا تريد المجلس العسكري المعين من طرف مبارك، ولكن كانت لديها أوهام حول الإخوان المسلمين، بوصفهم التيار المعارض العلني الذي كان يُسمح له بالعمل في عهد مبارك مع بعض المظلومية المعهودة من طرف الأحزاب الإسلامية. وقد ساهم «ثوريونا» و«ماركسيونا» في تثبيت تلك الأوهام، أوهام بأن الإخوان المسلمين يمكنهم أن يكونوا تياراً إصلاحياً تحت ضغط الأحداث، وما إلى ذلك من الهراء، لقد لوث هؤلاء راية الاشتراكية الثورية والماركسية في مصر.

عندما تولى الإخوان المسلمون السلطة واتباعوا نفس الإجراءات الاقتصادية الرأسمالية، وعقدوا تحالفات مع المجلس العسكري واستخدموا الشرطة ضد المتظاهرين... حينها أدركت الجماهير أن لا فرق بين الإخوان المسلمين والمجلس العسكري ومبارك، فجميعهم يدافعون عن مصالحهم، كأجزاء من نفس الطبقة الحاكمة ذاتها.

حينها انتفضت الجماهير وأعلنت العصيان، واستغلت قوى النظام القديم فراغ المعارضة وتلويث الثوريين رايتهم بدعمهم «النقدي» للإخوان المسلمين وخيانة الإصلاحيين والليبراليين، فحاولت قوى النظام القديم الظهور بمظهر المدافع عن الشعب ومطالبه.

التصاعد المستمر في الصراع الطبقي المكشوف الذي لم يجد له معبراً سياسياً، والتشنجات السياسية المتكررة، جميعها أشياء كانت قد بدأت تصيب المجتمع بالإرهاق، بعد ثلاث سنوات من ثورة بدون تحقيق نتائج ملموسة، الأوضاع الاقتصادية

صارت أصعب، وأسعار ترتفع باستمرار، وتشنح مجتمعي، وبطالة تتزايد... أمام كل هذا تصبح الديمقراطية كلمة فارغة بالنسبة للعمال والفقراء ما لم تساعدهم في تحسين أوضاعهم المزرية، الديمقراطية البرجوازية، وحق الكلام والتنظير، ليس لها بالنسبة للعمال والفقراء قيمة إلا

بمقدار ما تفتح الطريق أمام تطور الصراع الطبقي، وهو ما لم يحدث، بسبب أن وسائل الإنتاج والاقتصاد ككل ظلوا، رغم كل شيء، في أيدي نفس الطبقة الرأسمالية، وظل جهاز الدولة كما هو رغم ضربات الجماهير له.

حينها تمكنت الطبقة الحاكمة وقوى النظام القديم من استغلال سخط الجماهير على الإخوان المسلمين وإنهاك الجماهير من خلال الدعوة للعودة للاستقرار، وتحميل الإخوان المسلمين وهدم فاتورة الأزمة. وبالطبع لم يكن

الاستقرار الذي كان هؤلاء يقصدونه هو الاستقرار المأمول من الجماهير، ولكن في النهاية أثبتت قوى النظام الجمهوري الرأسمالي أنها قادرة على قراءة الواقع والمزاج الجماهيري أكثر من «متقفينا» و«ثوريينا» و«ماركسيينا» الذين تصدروا مشهد المعارضة والثورة.

قادتنا «الثوريون» لم يدركوا ما أدركه لينين منذ أكثر من مئة عام حول أن البرجوازية ستميل في النهاية، خصوصاً في بلد مثل مصر بالمناسبة، إلى إرساء ديكتاتورية، وأن هذه الديمقراطية التي تحققت بعد الثورة إنما تحققت بفعل تصاعد الصراع الطبقي والمد الثوري الذي كان بدأ يخبو. كتب لينين في عام 1905: «إن البرجوازية في مجموعها سوف تتحول حتماً نحو الثورة المضادة، نحو الحكم المطلق، ضد الثورة، وضد الشعب. وبمجرد ما ستمت الاستجابة لمصالحها الضيقة والأنايية، سوف تتخلى عن الديمقراطية المتسقة (وقد بدأت بالفعل تتخلى عنها!)».

لم يدركوا واقع أن السبيل الوحيد للحفاظ على المكاسب الديمقراطية التي انتزعتها الجماهير في الثورة هي بالمضي قدماً في انزاع مزيد من المكاسب وصولاً إلى استيلاء الجماهير، بقيادة الطبقة العاملة، على السلطة السياسية والبدء في إنشاء مجتمع جديد يقوم على بناء الصناعة وتطوير الزراعة بجانب منظمتي التعليم والصحة، لتكون أول خطوة في مسيرة التحويل الاشتراكي للمجتمع.

في النهاية كان يجب أن يتم حسم هذه الجولة من الحرب الطبقة المفتوحة بهيمنة إحدى الطبقتين الرئسيتين في المجتمع، إما الطبقة العاملة التي تقود الجماهير الفقيرة، وأما إعادة تأكيد هيمنة الطبقة البرجوازية، تلك الطبقة التي لا تستطيع تقديم تنازلات وهامش المناورة لديها ضيق جداً، خصوصاً في أوقات الأزمات الاقتصادية، وهو ما كان يعني في الحالة المصرية -وغيرها من البلدان في المنطقة مثل السودان- أن المؤسسة العسكرية ستتدخل في النهاية لتضع حداً لهذه الجولة وتعلن استمرار هيمنة البرجوازية على المجتمع.

ما حدث حينها هو أنه في ظل غياب حزب ثوري يقود الجماهير نحو النصر، وصلت الثورة إلى طريق مسدود بلا أفق ولا بديل، فتقدمت القوات المسلحة، درع الرأسمالية الأقوى، وأعلنت نفسها فوق المجتمع، مستغلة الغضب الجماهيري المستحق ضد الإخوان المسلمين، وتصلب موقف الإخوان المسلمون حينها، والإنهاك المجتمعي والرغبة في العودة لنوع من الاستقرار بعد ثلاث سنوات من احتجاجات وإضرابات واضطرابات لا تهدأ.

### خيانة الثورة

تتبع مسار تدخل الأحزاب اليسارية الإصلاحية، وحتى بعض التنظيمات التي تدعي الثورية وتبنيها للماركسية، تتبع مسارات هؤلاء في الثورة يؤكد أن الجميع خانوا الثورة والطبقة العاملة والجماهير. لينين قال ذات مرة «في الثورة لا فرق بين الخيانة عن قصد أو دون قصد»، وهذا صحيح، فجميعها خيانة تؤدي للهزيمة، تؤدي بنا لدفع ضريبة باهظة من قتلى ومعتقلين ومزيد من تسلط السلاح والمال علينا والأهم تضييع فرصة ثورية لا نعلم متى يمكن أن تكرر.

أنا هنا لا أتحدث عن الليبراليين والإخوان المسلمين ورجال الأعمال والجنرالات، فجميعهم بالنسبة لنا، نحن الماركسيون، أعداء طبقيون واضعون لا أمل فيهم أو شفاعة. من أقصدهم بكلامي هم هؤلاء الذين تصدروا المشهد من معسكر الثورة واعتلوا منبر اليسار والماركسية، هؤلاء الذين ارتكبوا من الأخطاء الكثير والكثير، والأدهى هو عدم اعترافهم حتى الآن بارتكاب الأخطاء، دليل نزاهة وشرف الشخص والحزب ليس عدم ارتكاب أخطاء، تحتاج أن تكون نائماً مدى الحياة لكي لا ترتكب أخطاء، إنما دليل النزاهة والشرف هو الاعتراف العلني بارتكاب أخطاء، وفهم ثم شرح الأسباب التي أدت لارتكاب تلك الأخطاء، ثم تقديم ضمانات بعدم ارتكابها مجدداً.

**التصاعد المستمر في الصراع الطبقي المكشوف الذي لم يجد له معبراً سياسياً، والتشنجات السياسية المتكررة، جميعها أشياء كانت قد بدأت تصيب المجتمع بالإرهاق، بعد ثلاث سنوات من ثورة بدون تحقيق نتائج ملموسة، الأوضاع الاقتصادية صارت أصعب، وأسعار ترتفع باستمرار، وتشنح مجتمعي، وبطالة تتزايد...**

هذا جزء أساسي من خبرة مناضلي الطبقة العاملة العالمية خلال المائتي عام الماضية. ماركس وانجلز ولينين وتروتسكي وغيرهم جميعهم ارتكبوا أخطاء، ولكن جميعهم كانوا نزهاء وشرفاء ولهذا كانوا يعترفون بارتكابهم لتلك الأخطاء. طبقاً لهذا المعيار نحن في مصر ليس لدينا تيار أو حزب أو منظمة سياسية وحيدة تتحلّى بالشرف والنزاهة.

اليسار في مصر انقسم إلي معسكرين كبيرين: معسكر داعم للقوات المسلحة من أجل عودة ما سموه «الاستقرار»، ولو على ظهور الدبابات خوفاً مما أسموه المد الإسلامي والوهابي ودفاعاً عن المدينة، وهؤلاء هم الستالينيون والقوميون والناصريون؛ ومعسكر دعم الإخوان المسلمين، وإن بشكل مستتر أو «دعم نقدي» كما يحبون أن يقولوا، دفاعاً كما يعتقدون عن الديمقراطية ومن أجل ضمان عدم عودة النظام القديم. وما بين هؤلاء وأولئك تمت إضاعة كثير من الفرص الثورية وتم استهلاك وإتلاف كثير من أنقى الشباب الثوري الذين كان من الممكن الاعتماد عليهم ليكونوا رافعة بناء حزب الطبقة العاملة وانتصار الثورة. من اليساريين الإصلاحيين والناصرين الذين وضعوا أيديهم في أيدي الليبراليين ورجال النظام القديم والجنرالات في جبهة الإنقاذ، إلى شيوخ وموق اليسار لاعبي الأذى العسكرية في كل زمان ومكان في حزب التجمع والحزب الشيوعي، إلى «الثوريين» الذين دعموا الرجعيين الإسلاميين باسم سياسة «أهون الشرين» التي لم تؤد في النهاية إلا لتهيئة الظروف لظهور شر أعظم، ثم عادوا تأرجحوا وتذيلوا الحركة فدهستهم، جميعهم خانوا الثورة وخانوا الطبقة العاملة، وإن بدرجات متفاوتة.

والحق أن سبب خيانة «قادتنا» اليساريين والماركسيين للثورة ليس عدم معرفتهم بالنظرية الماركسية، بل السبب هو عدم ثقتهم في قدرة الجماهير والطبقة العاملة على إنجاز مهمة انتصار الثورة. بالنسبة لهؤلاء المثقفين المترفين «الجماهير غير واعية ولديها الكثير من الأوهام ولا تستطيع فهم رسالتنا الثورية، والوقت غير مناسب أو الظروف غير مواتية والمجتمع غير مستعد دائماً وأبداً». لكن هؤلاء السيدات والسادة نسوا، أو تناسوا عامدين، أن تلك بالضبط هي مهمتهم، مهمتهم بالضبط هي إرشاد الجماهير طريق النصر، هي قول الحقيقة وتبديد الأوهام الإصلاحية أو غيرها من وعي الجماهير، والا لو كانت الطبقة العاملة واعية برسالتها الطبقية والتاريخية ولا تتأثر بأفكار ودعاية الطبقة الحاكمة، لما كان هناك جدوى لوجود حزب ثوري أصلاً، ولا جدوى للقيادة الثورية.

تصور أن الجماهير بمجرد أن تثور ستعي مهمتها الطبقية وتعي طبيعة النظام الرأسمالي وتتخلص من الأفكار المزروعة فيها من قبل الطبقة الحاكمة، هكذا بضرية واحدة بمجرد الانفضاض، هو تصور مثالي وميكانيكي وساذج مع افتراض حسن النية، لينين قال عن هؤلاء «أن من يتصور ثورة اجتماعية نقية لن يعيش ليراه، مثل هذا الشخص يتحدث باستمرار عن الثورة، دون أن يفهم ما معنى الثورة»، وكان هذه العبارة كتبت من أجل أن تلخص حالة الكثير من «القادة» الماركسيين في مصر.

والحق أيضاً أنه ما من تنظيم أو حزب يساري أو ماركسي في الثورة المصرية سعى أصلاً نحو تغيير المجتمع أو إسقاط الرأسمالية، جميعها إما حاولت أن تحصل على نصيب من الكعكة، وهؤلاء الخونة الإصلاحيين، وإما حاولت أن تتحول إلى رقم في المعادلة السياسية المصرية وذهبت تعقد تحالفات غير مبدئية بهدف الظهور الإعلامي وبجحة الاتصال بالجماهير وعدم الانعزال، وهؤلاء كانت الحركة تسبق وعيهم بأعمال -مع افتراض حسن النية-، ولكن مجدداً كما قال لينين «لا فرق بين الخيانة عن قصد أو دون قصد»، جميعهم لوثوا راية الماركسية والاشتراكية الثورية، اليسار بجميع ألوانه تذييل اليمين بجميع ألوانه في الثورة المصرية.

**إن سبب خيانة «قادتنا» اليساريين والماركسيين للثورة ليس عدم معرفتهم بالنظرية الماركسية، بل السبب هو عدم ثقتهم في قدرة الجماهير والطبقة العاملة على إنجاز مهمة انتصار الثورة**

ولنعلم بُعداً آخر من أبعاد التأثير الرجعي لهؤلاء على سيرورة الصراع والوعي الطبقي في مصر -وهذا مجرد غيض من فيض أخطائهم-، علينا أن نلقي نظرة على مآلات تلك الأحزاب والتنظيمات وماذا خرجوا من مد الثورة، الحقيقة هي أنهم فشلوا في كل شيء، جميعهم خرجوا من الثورة أقل عدداً مما كانوا قبلها، فقدوا عديد من مناضلي قواعدهم، لم ينجحوا في مد الاتصال بالعمال والجماهير، ولم ينجحوا بالطبع في نشر الوعي الطبقي والماركسي الثوري في المجتمع، بالعكس جميعهم نشروا أوهام إصلاحية ورجعية تصب جميعها في مجرى التماهي والتعاون الطبقي، والأهم، كما سبق لي أن قلت، أنهم أتلفوا كثيراً من العمال والشباب الثوري ولوثوا راية الماركسية والاشتراكية الثورية أمام أعين مزيد من العمال والشباب الثوري، وهو الشيء الأكثر إجراماً وسوف يحتاج لمجهود كبير ليتم تجاوزه لتنقية الذاكرة الماركسية الثورية من أخطاء وحقائق وخيانات هؤلاء مدعي «الثقافة» و«الثورية».

تروتسكي قال واصفاً بعقوبة ووضوح هذا النوع من «القادة» المترفين: «بالنسبة لغالبية الاشتراكيين -وأفصد الشريحة العليا- ليست اشتراكيتهم سوى قضية جانبية، ليست سوى انشغال ثانوي يتوافق مع ساعات فراغهم. يكرس هؤلاء السادة ستة أيام من الأسبوع لمهتهم الحرة أو التجارية، يحسنون ثروتهم بشكل جيد بما فيه الكفاية، وفي اليوم السابع يوافقون على تكريس أنفسهم لخلص أرواحهم [...] من الواضح أن عدداً كبيراً من هؤلاء السادة قد نجحوا في التنكر في صورة شيوعيين. إن هؤلاء ليسوا خصوصاً فكريين، بل أعداء طبقيون. [...] ليس هناك ما هو أكثر إثارة للتعزز ولا أخطر في النشاط الثوري من البرجوازي الصغير الهاوي المتحفظ الراضي عن نفسه، وغير القادر على التضحية في سبيل فكرة عظيمة.

على العمال المتقدمين أن يتبنوا بحزم قاعدة واحدة بسيطة لكنها ثابتة وهي أن هؤلاء القادة أو المرشحو للقيادة الذين هم، في الأيام العادية السلمية، غير قادرين على تكريس وقتهم ومواهبهم وأمواهم لقضية الشيوعية، هم الأكثر احتمالاً أن يتحولوا، في المرحلة الثورية، إلى خونة أو أن ينتقلوا إلى معسكر هؤلاء الذين ينتظرون لرؤية إلى جانب من سيكون النصر». (تروتسكي: «مهام المعارضة الأمريكية»، 1929).

## هل كان هناك مسار آخر

يبقى السؤال هل كان هناك أمل في النصر، هل كان يمكننا تفادي ذلك المصير الذي حاق بنا، هل كان يمكن أن نكسر مساعينا بشيء غير الهزيمة؟ أقول إنه كان من الممكن ذلك، الطرف الموضوعي واحتدام الصراع الطبقي والوضع الإقليمي والعالمي المتفجر كان يسمح بذلك، فقط لو كان يوجد حزب ثوري كان سوف يستطيع استغلال زخم ثلاث سنوات من المد الثوري. خلال ثلاث سنوات لم يتبجح مصنع أو مؤسسة أو جامعة لم تعلن العصيان. لو كان هناك حزب ثوري، حتى ولو كان قليل العدد، يرفع راية الاستقلال الطبقي، يدفع لنشر دعاية ثورية، يتبع نصيحة لينين «لنشرح بصبر»، يعمل على ضم طليعة العمال والشباب الثوري، حزب مثل هذا كان يمكن أن يحقق النصر.

دعونا نتذكر أن الحزب البلشفي في فبراير 1917 كان يضم حوالي 8000 عضو في بلد يتعدى عدد سكانه 150 مليون شخص، وفقط من خلال الحفاظ على الذاكرة البلشفية الثورية نظيفة من المساومات والتنازلات والشرح الصبور للعمال أن بداية حل مشاكلهم هو في الاستيلاء على السلطة وإسقاط الرأسمالية، فقط بهذا مع العمل الدؤوب والصبر والعمل على تجذير الحركة الجماهيرية استطاعوا الاستيلاء على السلطة وإسقاط الرأسمالية بعد ثمانية أشهر مليئة بالصعاب، والتي كان فيها حتى القادة البلاشفة، ومنهم لينين ذاته، مهددين بالاعتقال والقتل، لكن هذا لم يردعهم أو يقلل من عزيمتهم الثورية وإيمانهم الصلب الذي لا يلين بصدق وعدالة قضيتهم. أما في حالتنا المصرية ماذا فعل «قادتنا الثوريون»، لقد آثروا السلامة والجبن بحجة أن وعي الجماهير غير ناضج بما فيه الكفاية ولا يفهمون «رسالتهم»، لكنني أقول ما قاله الشهيد الفلسطيني غسان كنفاني: «إن الحياة لا قيمة لها قط إن لم تكن دائماً واقفة قبالة الموت».

بدون نظرية لن يوجد تحليل ولن يوجد تنظيم، والجمله الأشهر للينين تعبر عن هذا الموقف: «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية». خلاصة اخفاقات تدخل التنظيمات الماركسية في الثورة المصرية هي الخيانة الطبقيّة وإهمال النظرية.

### الخاتمة

اليوم ونحن نمر من أعمق أزمت النظام الرأسمالي وأكثرها تعقيداً. وبعد هزيمة الثورة المصرية وعديد من ثورات المنطقة، ها نحن قد بدأنا نشهد نهوضاً ثورياً جديداً في العديد من بلدان المنطقة والعالم -مثل السودان وتشيلي وغيرها- وبداية احتجاجات عاصفة في تونس، تهدم أسطورة التحول الديمقراطي ويبدأ طور جديد من الصراع الطبقي هناك. نحن نعيش في أكثر الفترات اضطراباً ولا توجد بقعة على الأرض في مأمن من احتدام الصراع الطبقي والانفجارات الاجتماعية، كما برهنت على ذلك الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية. ومصر بالطبع ليست استثناء، وكل ما حدث في العشر سنوات الماضية داخلياً وخارجياً والأزمة الحالية التي دفعها الوباء، ستكون له آثار كبيرة على وعي العمال والشباب الثوري. الاحتجاجات المتقطعة والضعيفة التي بدأت خلال 2019، والمقاومة الشعبية ضد قانون التصالح في العام الماضي، والنضالات والإضرابات العمالية البطولية في شركة الدلتا للأسمدة وشركة الحديد والصلب وغيرهم، ضد التسريح والاقطاعات وبيع الشركات العامة وتصفيتها، حتى وإن كانت هذه النضالات ماتزال تندلع بشكل دفاعي ومحملة بأوهام إصلاحية وأحياناً أوهام اقتصادية ونقابية ضيقة، لكن هكذا هي عادة الجماهير إنها لا تلجأ للحلول العاصفة مثل الثورة إلا عندما ينسد الأفق بشكل كامل، وهذا لم يحدث حتى الآن في مصر. والأهم أنه لدينا جيل من الشباب الثوري والمناضلين الذين تعلموا وشبوا في معمعان الثورة المصرية وما تلاها، شهدوا وخبروا مد الثورة وجزرها ومحملين بوعي ودروس الماضي. كل هذا يجعلنا نستبشر بالمستقبل الحافل بالأحداث الثورية، التي من الممكن ألا تكون على مرمى حجر من الآن، ولكنها بالتأكيد ليست على بعد عشرات السنوات كما يجب أن يتخيل أصدقاؤنا المتثقفين المتشائمين. لكننا المرة القادمة يجب أن نكون نحن، الماركسيون، أكثر المستعدين لها، محملين بارث هزائمنا ودروس أخطائنا وأخطاء رفاقنا في الطبقة العاملة العالمية خلال تجربة مديدة تمتد حوالي مائتي سنة من النضال ضد سلطة رأس المال.

يجب أن نتحلى بحس الاستعجال في التجهيز لهذا المستقبل الذي من الممكن أن يكون على بعد سنوات قليلة من الآن. لينين في عام 1916، أي قبل الثورة بأقل من عام، تحت وطأة اليأس والإحباط قال: «على الأغلب لن يشهد جيلنا الثورة الاشتراكية»، ولكن هذا المزاج المحبط لم يدفع هذا المناضل الحديدي للركون للاستسلام والعدمية، وإنما دفعه للمضي قدماً نحو بناء الأداة التي ستمكّنه، هو أو غيره، حتى وإن لم يبق هو على قيد الحياة، من إنجاز مهمة انتصار الثورة وإسقاط الرأسمالية، هذه الأداة هي: الحزب الثوري.

- المجد للشهداء والحرية للمعتقلين
- نحو بناء تنظيم ماركسي ثوري
- تسقط قوات قمع الشعوب (الشرطة والجيش)
- تسقط حكومات رجال الأعمال
- لا حل سوى انتصار الثورة الاشتراكية بقيادة حكومة عمالية

لو كان هناك حزب ثوري يستثمر المد الثوري ويوفر له البوصلة والبرنامج الثوريين لكان يمكن أن يتغير الكثير. منذ الثمانية عشر يوماً الأولى، مروراً بانتفاضات محمد محمود ومجلس الوزراء وماسبيرو، ووصولاً للمظاهرات التي حدثت بعد المئة يوم الأولى من حكم محمد مرسي والثلاثين من يونيو، وخلالهم وبعدهم المئات والآلاف من المظاهرات والاحتجاجات والإضرابات العمالية والطلابية والجماهيرية، لو كان هنالك منظمة ثورية مكافحة تحمل برنامج ماركسي ورؤية ثورية عن كيف يمكن أن تنتصر الثورة المصرية، ترتبط مع تلك النضالات العديدة وتشرح للعمال والشباب الثوري بصر أن لا سبيل لتحقيق أسسط المطالب الاقتصادية والديمقراطية والاجتماعية إلا باستيلاء الجماهير بقيادة الطبقة العاملة على السلطة وإسقاط الرأسمالية. لو كان جرى العمل خلال تلك السنوات على كسب الطليعة في كل احتجاج وإضراب، من خلال عمل تنظيمي وتحريضي دوؤب ودائم لدعوة جماهير العمال والفقراء والشباب الثوري لتنظيم صفوف والانضواء تحت راية الثورة الاشتراكية والقيادة العمالية الثورية، لكان لدينا منظمة ثورية حقة تحدث الفارق في مجريات الأحداث والمستقبل.

لو كان هذا لكانت احتمالية الانتصار عالية جداً، لكان من المؤكد أن الجماهير عندما تتخلص من أوهامها الإصلاحية أو الرجعية من خلال التجربة الحية -والثورية ذات وتيرة سريعة في أوقات الثورة- ستلتفت للحل الثوري وللراية الثورية التي لم تُلوث والمنظمة التي صارحتهم بحقيقة ما يحدث ونبتهم بحقيقة ما سوف يتعرضون له.

لكن ما حدث هو أنه في غياب الحل الثوري استغلت الدولة، ممثلة في القوات المسلحة، انهك الجماهير والرغبة في الوصول لحل، وعجز وخيانة الإصلاحيين و«الثوريين»، ورفعت نفسها فوق الجميع وأظهرت نفسها كحكم بين الجميع، أي أظهرت نفسها حكماً بين الطبقات، لصالح الحفاظ على النظام الرأسمالي ووضع حد للثورة بالانقلاب العسكري والقوة المسلحة.

### نحو بناء تنظيم ماركسي ثوري

الآن في الذكرى العاشرة للثورة، وبعد أن جرت مياه كثيرة في النهر، وبعد أن خان من خان وارتزق من ارتزق وتراخى من تراخى، ووقع في اليأس والإحباط والعدمية من وقع... الآن حان وقت البناء من جديد. يجب أن نبدأ في بناء تنظيمنا الثوري مستندين إلى تجارب الماضي وناقدين لها، متسلحين بالنظرية الماركسية، النظرية الوحيدة القادرة على مساعدتنا على فهم الواقع بشكل مادي وعلمي وعلى استشراف إمكانيات المستقبل.

يجب أن يبدأ الماركسيون والثوريون في دراسة النظرية الماركسية، ولنذكر أنفسنا بأول ما فعله لينين بعد هزيمة ثورة 1905، لقد قام بإعادة دراسة الماركسية من جديد. فلتنظم مجموعات وحلقات للدراسة النظرية، مع مراعاة المخاطر الأمنية بالطبع، لنتبع نصيحة الشهيد الفلسطيني باسل الأعرج «عيش نيصاً وقاتل كالبرغوث»، لنتخفي عندما يكون الاختفاء مفيداً ونظهر عندما يكون الظهور مفيداً. لا ينبغي أن يجتمع أكثر من ماركسي في مكان بدون أن ينشئوا حلقة دراسة وعملاً تنظيمياً فيما بينهم. فلنعمل على التجهيز والتراكم النظري الذي سيمكّننا تحويله لعمل تنظيمي جدي في وقت من الأوقات، عاجلاً وليس آجلاً، من أكبر خطايا التنظيمات الماركسية في الثورة المصرية أنها أهملت النظرية ووقعت في فخ الحركة المفترطة، وهذا أيضاً من أسباب تقلص عددها بشكل كبير بعد الهزيمة، لأنها لم تُعد شبابها وكوادرها بشكل نظري جيد ولم تهيبهم لما هو قادم. فتحلّق الكثير حول الرايات الأكثر ثورية وقت المد الثوري بدون أساس نظري سوى الحماسة المفترطة وهجرها بعد الهزيمة. يجب أن نعمل على بناء تنظيم ماركسي وحمل راية ثورية نقية من الخيانات الطبقيّة التي لوث بها العديدون الماركسية. النظرية ثم النظرية يا رفاق، لننشئ خلايا ثورية في كل مكان نتواجد فيه وكل مكان نستطيع الوصول إليه، لنبدأ بدراسة النظرية الماركسية ونحن نسير في خط التنظيم والتحليل.



## شهدت

تونس مؤخرا اندلاع حركة جماهيرية جديدة وقوية. ويعود سبب تفجر هذا الغضب إلى الأزمة الاقتصادية التي أغرقت التونسيين في حياة من الفقر والمعاناة. الآن وبعد 10 سنوات بالضبط على انطلاق ثورة 2011 التي أطاحت ببن علي، لم يتم حل أي من مشاكل الجماهير التونسية.

اجتاحت تونس مطلع السنة الجديدة، موجة من الاحتجاجات المناهضة للحكومة، فيما سمي بانتفاضة سياسية. نزل الشباب إلى الشوارع في الأحياء العمالية بالمدن وفي المناطق الفقيرة، مطالبين بتغييرات اقتصادية وسياسية ودخلوا في اشتباكات مع قوات البوليس.

انطلقت الحركة يوم الجمعة 15 يناير من سليانة، وهي بلدة فلاحية صغيرة على بعد 130 كيلومترا من العاصمة تونس، في أعقاب تداول شريط فيديو يظهر فيه ضابط شرطة وهو يعتدي على راع سبي الحظ دخلت أغنامه بطريق الخطأ إلى فناء مبنى حكومي. كان هذا الاعتداء بمثابة القطرة التي أفاضت كأس الشباب، ليس فقط في سليانة بل أيضا في بقية أنحاء البلد. وسرعان ما امتدت الاحتجاجات إلى تونس العاصمة و14 مدينة أخرى، خاصة في مناطق وسط وجنوب البلاد التي تعاني من ارتفاع مستويات الفقر وبطالة الشباب.

لا يبدو أن للحركة الاحتجاجية أي قيادة أو برنامج محدد بشكل واضح، لكن الشيء المشترك بينها جميعا هو المطالبة بالإصلاحات الأساسية: توفير مناصب الشغل وتحسين الخدمات العامة ووضع حد لعنف الشرطة، وكلها مطالب متواضعة جدا. لقد عانى الشباب سنوات من الكساد الاقتصادي والإذلال على يد الدولة، ولا يجدون الآن أي خيار آخر سوى النزول إلى الشوارع مرة أخرى. لكن الحكومة، التي تقوم على أساس نظام رأسمالي في حالة انهيار نهائي وتدافع عنه، عاجزة وغير مستعدة لتلبية أي من تلك المطالب العادلة للمحتجين.

## أزمة الرأسمالية التونسية

الرأسمالية التونسية غارقة بالفعل في أزمة عميقة، وذلك قبل سنوات عديدة من انتشار فيروس كورونا. وقد تراكم الإحباط بسبب تراجع مستويات المعيشة والاقطاعات المستمرة في النفقات العمومية التي فرضها صندوق النقد الدولي. ثم جاءت جائحة كورونا فزادت الوضع سوءا، حيث تعرضت السياحة، التي تعتبر أهم قطاع في الاقتصاد التونسي، للشلل. وهكذا انكمش الناتج المحلي الإجمالي التونسي بنسبة 09% عام 2020، فقامت الطبقة السائدة بوضع كامل عبء هذه الأزمة على كاهل الجماهير.

استمر الوضع الاقتصادي في البلاد يتدهور بسرعة منذ شهور. وصلت نسبة البطالة بين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 24 عاما إلى 36 %، وقد أجبر هذا الوضع اليائس العديد من الشباب على الهجرة. في عام 2020 تم الإبلاغ عن وصول 12.883 مهاجرا إلى إيطاليا قادمين من تونس، مقابل 2654 في 2019! يجد الشباب أنفسهم مجبرين على الاختيار بين العيش في الفقر في تونس أو ترك كل شيء وراءهم والمخاطرة بحياتهم من أجل عبور البحر الأبيض المتوسط. وهذا الاحتمال الكئيب هو أفضل ما يمكن للرأسمالية أن تقدمه للشباب التونسي.

ردت الحكومة التونسية على الاحتجاجات باستعمال القمع الشديد ومحاولة تشويه صورة الحركة. في 19 يناير، وبعد خمسة أيام على انطلاق الاحتجاجات، خرج رئيس الوزراء

في عام 2020 تم الإبلاغ عن وصول 12.883 مهاجرا إلى إيطاليا قادمين من تونس، مقابل 2654 في 2019!



هشام المشيشي بخطاب متلفز عبر فيه عن تفهمه لمطالب المتظاهرين، مؤكداً في الوقت نفسه على أن «الفوضى مرفوضة وسنواجهها بقوة القانون». لكن تصرفات الدولة لا تشير إلى وجود تعاطف كبير مع مطالب المحتجين، بينما تم، من ناحية أخرى، تطبيق القانون وفرض النظام بالقوة. وقد نشرت العديد من مقاطع الفيديو والصور التي تظهر قوات الشرطة وهم يضربون المتظاهرين السلميين ويعتدون عليهم. وتم اعتقال أكثر من 1000 متظاهر، تتراوح أعمار معظمهم بين 15 و 20 عاما، ونشر الجيش في العديد من الأحياء العمالية لمساعدة الشرطة في قمع الاحتجاجات. يوم الاثنين 18 يناير كانت قوات الحرس الوطني عشر تقوم بدوريات في شوارع حي التضامن، الذي هو أحد أكبر أحياء الطبقة العاملة في تونس العاصمة، بالسيارات المدرعة.

وفي عرض نموذجي للاحتقار المتعجرف الذي تحسه النخبة تجاه الجماهير، رفض المتحدث باسم الوزارة، خالد الحيوني، تسمية المعتقلين بالمتظاهرين، وأطلق عليهم، بدلا من ذلك، اسم أشخاص متورطين في «أعمال إجرامية ونهب». لقد حاولت الحكومة ووسائل الإعلام التونسية جاهدة تشويه سمعة الحركة وعزلها عن بقية الطبقة العاملة، من خلال تجاهل مطالب المحتجين والتركيز بدلا من ذلك على الاشتباكات العنيفة بين المتظاهرين وقوات الأمن، وعلى بعض حالات النهب. يأتي هذا الاتهام من جانب مسؤولين في الدولة متورطين بعمق في نهب خزائن الدولة وجيوب المواطنين. وعلى أي حال فإن النهب الذي يشيرون إليه هو نتيجة ثانوية مفهومة للاحتجاجات التي تحدث في سياق الفقر والجوع واليأس الاجتماعي. إن سياسات الحكومة التي تضع أرباح الرأسماليين قبل احتياجات الشعب، تتحمل المسؤولية الحقيقية عن أي نهب يحدث.

## تجربة عام 2011

تزامن هذه الحركة الجماهيرية الجديدة مع الذكرى العاشرة للثورة التي أطاحت بالدكتاتور بن علي. كان فراره من البلاد، في 14 يناير 2011، قد أطلق موجة من الحركات الثورية التي اجتاحت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وبعد أن خانت الحكومة التونسية آمال الجماهير، أرادت تجنب إحياء ذكرى ثورة 2011. تشعر الحكومة بأن الأرض تهتز تحت قدميها وتخشى أن يؤدي الاحتفال بالذكرى إلى اندلاع حركة واسعة. لذلك فرضت إغلاقاً وطنياً لمدة أربعة أيام، يمتد من الخميس 14 يناير إلى غاية الاثنين 18 منه.

لكن هذه المناورة لم تمنع انفجار الغضب الجماهيري المكبوت. استمر بركان هائل من الغضب والإحباط يتراكم طيلة سنوات، وصارت مسألة انفجاره حتمية عاجلاً أم آجلاً. تم تسجيل أكثر من 6500 احتجاج خلال الأشهر العشرة الأولى من عام 2020 وحده. وكل تلك الاحتجاجات كانت ضد السياسات الاقتصادية والاجتماعية للحكومة. كما أن ضعف إقبال الناخبين على صناديق الاقتراع شكل أيضاً مؤشراً على أن الجماهير ترفض النخبة السياسية: في 2014 كان الإقبال 68%، وبحلول 2019 تضاعف إلى 42%! من الواضح أن شرعية النظام وصلت مستويات متدنية.

تمكنت الطبقة العاملة التونسية، خلال ثورة 2011، من انتزاع مكتسبات ديمقراطية مهمة، مثل حرية التعبير والبرلمان البرجوازي، وهي الحقوق التي وفرت للجماهير التونسية قنوات جديدة لتطوير نضالاتها. لكن تلك الحقوق الديمقراطية تبقى محدودة، طالما بقي النظام الرأسمالي سليماً. إن الرأسمالية التونسية هشة للغاية وطبقتها السائدة ضعيفة للغاية وتعتمد على رأس المال الأجنبي، مما يجعلها عاجزة عن تقديم أي تنازلات جدية للجماهير. لا تستطيع الرأسمالية التونسية تقديم تنازلات اقتصادية أو حقوق ديمقراطية حقيقية للجماهير.

نجح الشباب والعمال في الإطاحة ببن علي عام 2011، وهو الإنجاز الذي ألهم الجماهير المضطهدة في المنطقة وكل العالم، لكن ورغم الإطاحة

بالدكتاتور وأقرب المقربين منه، استمر الاقتصاد وجهاز الدولة في أيدي الطبقة الرأسمالية. وهكذا بقيت كل التناقضات المادية التي أدت إلى اندلاع ثورة 2011 قائمة. وما تزال المشاكل الاجتماعية والاقتصادية دون حل. لذلك فإن الجماهير التونسية مضطرة الآن إلى التحرك، مرة أخرى، من أجل تغيير حياتها وتغيير المجتمع من حولها. تُظهر تجارب ثورة 2011 أن الطريقة الوحيدة أمام العمال والشباب لتغيير المجتمع وفقاً لمصالح الأغلبية هي استهداف السبب الجذري لجميع مشاكلهم، أي النظام الرأسمالي نفسه.

## ما العمل؟

لقد مرت 10 سنوات على ثورة 2011، وما تزال المشاكل الملحة للجماهير في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا دون حل. وكما قال أحد المتظاهرين لمراسل صحفيي: «النظام بأكمله يجب أن يرحل... سنعود إلى الشوارع وسنستعيد حقوقنا وكرامتنا التي استولت عليها النخبة الفاسدة بعد الثورة»، جيل جديد من الشباب يدخل الآن إلى ساحة النضال. لقد ورث هذا الجيل الجديد دروس ثورة 2011، وبالتالي فإن الثورة المستقبلية لن تكون تكراراً للثورة السابقة، بل ستكون على مستوى أعلى.

لكن وعلى الرغم من أن الشباب يمكنهم أن يلعبوا دوراً ثورياً مهماً، فإنهم بحاجة إلى الارتباط بالطبقة العاملة، التي تمتلك، بفعل دورها في عملية الإنتاج، القوة الاقتصادية في المجتمع. إذا شاركت الطبقة العاملة في الحركة بوسائلها النضالية الخاصة بها، عن طريق الإضرابات واحتلال المصانع، سوف تكسب الحكومة بسهولة.

تُظهر تجارب ثورة 2011 أن التغييرات الطفيفة على جهاز الدولة غير كافية، من الضروري إسقاط الأساس الاقتصادي للمجتمع، أي: النظام الرأسمالي نفسه. وحده استيلاء العمال على السلطة السياسية والاقتصادية في المجتمع، والبدء في إعادة هيكلة المجتمع على أسس اشتراكية، ما سيمكن من تلبية مصالح الأغلبية وإقامة مجتمع ديمقراطي حقيقي. وحده النضال من أجل الاشتراكية ما سيمكن المجتمع من الخروج من المأزق الحالي.

## أندرياس نورجارد 25 يناير 2021



### آثار

عملية اغتيال صمويل باقي، يوم الجمعة منتصف الشهر الجاري، موجة من الغضب في جميع أنحاء البلاد. هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها استهداف معلم بهجوم من هذا النوع. موظفو قطاع التربية الوطنية في حالة صدمة، ممزقون بين الحزن والاشمئزاز والغضب. إننا ندين هذه الجريمة النكراء بدون أي تحفظ. إن هذا الهجوم، مثله مثل كل الهجمات المماثلة، عواقبه رجعية تماما. ولفهم هذا يكفي المرء فقط الاستماع إلى السياسيين والصحفيين الذين انخرطوا منذ يوم الجمعة في حملة استغلال سياسي مقرر لهذه المأساة. ففي موجة من الدعاية العنصرية، قاموا بخلط الدعوات إلى «محاربة الهجرة» والتشكيك في حق اللجوء وحظر ارتداء الحجاب ومعاينة طلاب المدارس الإعدادية والثانوية بتهمة «الاعتداء على العلمانية»، ومعاينة والديهم أيضا، أو حتى طرد العائلة بأكملها، وما إلى ذلك. ويحاول كل واحد منهم أن يجعل مقترحه «أكثر حزما» من مقترح جاره. إن نفس أولئك الذين كانوا، حتى وقت قريب، يشتمون المعلمين بشكل منتظم، ويطلقون عليهم اسم «الكسالى» و«المدللين»، قد جعلوا منهم فجأة أعمدة الجمهورية. وفي نفس الوقت يتم اتهام جزء من المعارضة اليسارية - وخاصة حركة فرنسا الأبية - ب«اليسارية الإسلامية»، هذا إذا لم يتم اتهامها بأنها «متواطئة» مع الإرهاب الإسلامي.

على اليسار والحركة النقابية ألا يقفوا مكتوفي الأيدي في مواجهة هذه الدعاية والإجراءات التي أعلنتها الحكومة أو أعدتها. ففيما يتعلق بهذه المسألة، كما في كل القضايا الأخرى، يعتبر ما يسمى ب«الوحدة الوطنية» مجرد فخ يخدم فقط مصالح الطبقة السائدة الفرنسية، التي تتحمل نصيبا كبيرا من المسؤولية في الهجمات الإرهابية التي تضرب بلادنا بانتظام. يجب على الحركة العمالية أن تؤكد وتستنكر هذه المسؤولية الواضحة على عدة مستويات.

لكن أولا: لماذا لم يتم وضع صمويل باقي تحت حماية الشرطة؟ لقد كانت أجهزة الدولة - بما في ذلك المخابرات الإقليمية - على علم بشكاوى وفيديوهات المعلم. وعلاوة على ذلك فإننا لا نعرف بالضبط الدور الذي لعبه عبد الحكيم الصفرى، المسجل على قائمة إس (Fiche S) وملف تنبهات للوقاية من التطرف الإرهابي (FSPRT)، لكن تورطه الشخصي في الخلاف مع المعلم كان معروفا. ألم يكن ذلك كافيا لاتخاذ قرار بوضع صمويل باقي تحت حماية الشرطة؟ هذا سؤال يتجنبه كل الذين يفضلون أن يظهروا على التلفاز لاستغلال هذه الجريمة لتكثيف دعايتهم ضد كل المسلمين.

إن هذا الهجوم السياسي على المسلمين، والذي استمر لسنوات عديدة، يسعى إلى تقسيم الطبقة العاملة وصرف انتباهها عن المسؤولين الحقيقيين عن الأزمة والبطالة والبؤس. لكن هذا الهجوم هو أيضا أحد العوامل - من بين عوامل أخرى - التي تغذي الأصولية الإسلامية. توجد هنا حلقة مفرغة: مع كل هجوم (وحتى في حالة عدم وجود أي هجوم)، يبث الرجعيون من جميع الأطياف دعايتهم ضد جميع المسلمين؛ لكن في المقابل تشكل هذه الدعاية، مثلها مثل اعتداء الدولة على حرية العبادة (القوانين ضد ارتداء الحجاب)، مادة خام مثالية لدعاية النشطاء الأصوليين. وهكذا فإن هذه الهجمات الإعلامية ضد المسلمين لا تساهم في «محاربة الأصولية»، بل تساعد في تقويتها، أي تزويدها بمؤيدي جدد ومرشحي جدد «للاستشهاد».

هناك عوامل أخرى، بالطبع، غدت وما تزال تغذي سرطان الرجعية الأصولية. ومن أهم هذه العوامل جرائم الإمبريالية - وخاصة الفرنسية - في الشرق

الأوسط وأفريقيا. لكن فرسان الإعلام «المناهضين للتطرف» لا يقولون ولو كلمة واحدة عنها. وذلك لسبب وجيه وهو أن معظمهم دعموا التدخلات الإمبريالية الفرنسية في أفغانستان وليبيا والعراق وسوريا والساحل. لقد لعبت هذه التدخلات، مثلها مثل تدخلات الإمبريالية الأمريكية والبريطانية، دورا حاسما في تطور المنظمات الأصولية، بما في ذلك تنظيم القاعدة وداعش. ازدهرت تلك المنظمات في مستنقع الفوضى الدموية التي خلقها الإمبرياليون في البلدان التي تسكنها غالبية مسلمة. لقد أثارت صور تلك الحروب الإمبريالية غضبا شديدا بين صفوف عدد لا يحصى من المسلمين في جميع أنحاء العالم، ودفعت بعضهم إلى براثن الأصوليين. ففي منطقة الساحل اليوم، تشن الإمبريالية الفرنسية ما يسمى ب«الحرب على الإرهاب»، التي هي في الواقع حرب للدفاع عن مصالح الشركات الفرنسية متعددة الجنسيات، والتي تستمر في زيادة عدد الإرهابيين. في عام 2013، وسيرا على هدي الولايات المتحدة، قامت الإمبريالية الفرنسية بدعم ما يسمى ب«المتطرفين المعتدلين» الذين يقاثلون ضد نظام بشار الأسد في سوريا. ومن المعروف الآن أن هؤلاء «المتطرفين» لم يكونوا أكثر «اعتدالا» من القاتل الذي ذبح صمويل باقي يوم الجمعة الماضي. لقد دعمت الإمبريالية الفرنسية، ماليا وعسكريا، الميليشيات الأصولية التي زرعت الإرهاب في سوريا، وكل ذلك بموافقة من طرف معظم السياسيين الذين يطالبون اليوم بإجراءات «صارمة للغاية» ضد أي شخص يشتبه بظهور أدنى «علامة للتطرف» عليه، بمن في ذلك طلاب المدارس المتوسطة والثانوية! إن كليتهم ونفاقهم لا حدود لهما. وأخيرا، لإكمال هذه الصورة، يجب أن نتذكر أن الإمبريالية الفرنسية تربطها علاقات سياسية واقتصادية وعسكرية ممتازة مع الأنظمة الأشد رجعية - مثل المملكة العربية السعودية وقطر - التي تمول بشكل كبير المنظمات الأصولية. تشكل هذه الأنظمة أكبر معاقل الأصولية. لكن ما يهم، من وجهة نظر حكومة ماكرون (وكذلك الحكومة السابقة)، هو المصالح الأساسية للإمبريالية الفرنسية. وهكذا: «هيا، تفرقوا لا يوجد شيء لتروه»!

إن التدخلات الإمبريالية في الشرق الأوسط وأفريقيا، والدعم المباشر أو غير المباشر من طرف الإمبرياليين للمنظمات الأصولية، والتحرير الدائم ضد المسلمين، ومختلف أشكال التمييز ضدهم، ومعاناتهم أيضا من وطأة البؤس والبطالة ومضايقات الشرطة... هي العوامل الرئيسية التي غدت ورعت الأصولية في فرنسا. وبعبارة أخرى، إن الإرهاب، اليوم كما بالأمس، هو أحد الأعراض المروعة لنظام مريض، لنظام فاسد يجر البشرية إلى مأزق دموي. إن البربرية الأصولية هي الوجه الآخر للهمجية الإمبريالية والرأسمالية. هذا هو ما يجب أن يشرحه قادة اليسار والحركة النقابية، بدلا من الاندفاع إلى ما يسمى ب«الوحدة الوطنية» مع الأحزاب البيمينية التي تتحمل هي أيضا جزءا من المسؤولية عن سرطان الأصولية.

لو قام قادة الحركة العمالية، بدلا من التثبيت بالرأسمالية، بتقديم برنامج ومنظور ثوريين، لتمكنوا من إثارة حماس الكثير من الشباب والعمال المسلمين، بمن فيهم أولئك الذين يستمعون إلى الخطاب الأصولي. كان العديد منهم سيدبرون ظهورهم للمرضيين الرجعيين، ويتجهوا لحشد النضال ضد الاضطهاد وضد الحروب الإمبريالية وضد الاستغلال ومن أجل الاشتراكية. إن انتصار هذا النضال هو وحده ما سيمكن من القضاء على الأصولية، وعلى جميع الأمراض الأخرى التي تفاقمها أزمة الرأسمالية بشكل مستمر.

**إن هذا الهجوم السياسي على المسلمين، والذي استمر لسنوات عديدة، يسعى إلى تقسيم الطبقة العاملة وصرف انتباهها عن المسؤولين الحقيقيين عن الأزمة والبطالة والبؤس**



# الولايات المتحدة الأمريكية

الاشتراكية الثورية  
والنضال ضد رئيس وول ستريت

شعبيته في صفوف قواعد الحزب الديمقراطي. صوت الملايين «ضد ترامب» ليس «لصالح» بايدن.

غالبية الطبقة السائدة في الولايات المتحدة تكره ترامب لكونه شخص لا يمكن التنبؤ بتصرفاته وعامل مزعزع للاستقرار. أظهرت استطلاعات الرأي قبل الانتخابات لكبار المديرين التنفيذيين وسلسلة التبرعات المالية الكبيرة أن بايدن كان مرشح وول ستريت بامتياز. استثمر المليارديرات بمبالغ كبيرة في إيصال رجلهم إلى البيت الأبيض، مع تبرعات صغيرة تمثل أقل من ربع إجمالي المساهمات.

نتيجة لذلك، كانت الانتخابات الرئاسية لعام 2020 هي الأعلى تكلفة في تاريخ الولايات المتحدة. تم إنفاق ما يقدر بـ 14 مليار دولار - أكثر من الانتخابات الرئاسية السابقة والتي تسبقها مجتمعين - وتفوق الديمقراطيون على الجمهوريين من حيث تمويل الحملة الانتخابية بنحو الضعف. على الرغم من هذه الميزة الهائلة في الإنفاق، إلا أن بايدن بالكاد كان يتمتع بنفس هامش الهيمنة الانتخابية الذي حصل عليه ترامب في عام 2016. ومع ذلك، في الأيام التي تلت انتخاب نائب الرئيس السابق، ارتفعت سوق الأسهم إلى مستويات قياسية على الرغم من

**برنامج بايدن قائم بشكل أساسي على ما يلي: «أنا لست دونالد ترامب، وسأعيد البلاد إلى «الأيام الخوالي» في عهد أوباما»**

انتشار فيروس كورونا، والاضطراب الاقتصادي المهول، والتسونامي الذي يلوح في الأفق لعمليات الإخلاء والتشريد.

لقد حطم ترامب

«الحواجز التقليدية» للرئاسة. تتمثل مهمة بايدن في إضفاء الشرعية على المؤسسة والنظام ككل نيابة عن الطبقة الحاكمة. لكنه سوف يرأس دولة منقسمة بشدة، وورث بالفعل تركة غير مسبوقة من الكوارث.

وعلى الرغم من العدد الكبير للأصوات ضده، يزعم بايدن أنه حصل على تفويض شعبي لتشكيل حكومة «مصالحة» و «التعافي» و «وحدة وطنية». حتى لو كانت هذه رسالة يرغب الملايين من الناس في سماعها، يجب أن نكون واضحين أن هذا ما هو إلا وسيلة لإخضاع مصالح العمال لمصالح الرأسماليين. هذه الوحدة مستحيلة في مجتمع منقسم إلى مستغلين ومستغلين.

قد يطبق الرئيس الجديد إجراءات إغاثة قصيرة المدى للفقراء والعاثلين عن العمل والشركات الصغيرة. لكن الدافع الرئيسي لسياساته سيكون دعم وول ستريت. بطريقة أو بأخرى، ستجبر الطبقة العاملة في نهاية المطاف على دفع ثمن أزمة الرأسمالية، إما من خلال التقشف المباشر أو غير المباشر، أو الضغوط التضخمية، أو مزيج آخر من الهجمات على الأجور وظروف المعيشة.

لذا، حتى لو كان هناك عدد قليل من التعديلات التجميلية التي يبدو أنها تخفف القيود قليلاً على المدى القصير، فإن خيبات الأمل الأكبر في انتظار أولئك الذين لديهم أوهام بأن التغيير الحقيقي يمكن أن يأتي من خلال الحزب الديمقراطي. وإذا بدا أن ما أعقب أوباما لا يمكن تصوره، فإن مخلفات مدرسة الديمقراطيين، في نسختها الثانية، ستكون أكثر قسوة. ما لم يتم الإطاحة بالبنى والمؤسسات والأحزاب الرأسمالية، وإلى أن يتم الإطاحة بها، يمكن أن تسوء الأمور دائماً - أسوأ بكثير مما نعتقد.

ربما يكون جو بايدن قد فاز بـ 80,9 مليون صوت (بهامش 4,4%)، لكنه لم يحقق الاكتساح الذي توقعه كثير من المراقبين الليبراليين.

فعلى الرغم من كل شيء، حصل ترامب على أكثر من 74 مليون صوت - وهو أعلى مجموع على الإطلاق لرئيس حالي أو جمهوري. ولم تكن هناك «موجة زرقاء» ولا أي اجتياح ديمقراطي للكونغرس. فقد خسر الديمقراطيون بالفعل عدة مقاعد في مجلس النواب، ولم يتضح بعد من الذي سيسيطر على مجلس الشيوخ. ربما تعرض ترامب لهزيمة شخصية لكن الترابمية ما زالت حية وتركل.

كيف يمكننا أن نفسر هذا؟ وماذا يعني هذا بالنسبة لمستقبل الصراع الطبقي؟ وكما سنرى، لا يمكن فهم جوهر واستمرارية الترابمية - كما تعبر عنها الانقسامات العميقة داخل الطبقة العاملة الأمريكية - بشكل صحيح إلا إذا اتخذنا منظوراً طبقياً في تحليلنا.

## مرشح وول ستريت

مع خروج ترامب من البيت الأبيض، يشعر الملايين من الناس، لأسباب مفهومة، وكأن كابوساً طويلاً وسريالياً قد انتهى. لكن هناك ملايين آخرين يشعرون كما لو أن هذا الكابوس قد بدأ للتو. كانت الاستجابة العاطفية على جانبي الانقسام الانتخابي مدفوعة بالقلق العميق والخوف والانتخاب والمرض والديون والبطالة واليأس من أجل تغيير حقيقي. لكن الرأسمالية لا تستطيع أن تقدم أي مساعدة حقيقية للخروج من هذه المأساة لأنها لا تستطيع توفير وظائف جيدة ورعاية صحية وتعليم وأمان وكرامة للجميع. والحقيقة المرة هي أنه على المدى الطويل، فإن كابوس الرأسمالية البنيوي سيزداد سوءاً بالنسبة للغالبية العظمى من العمال، بغض النظر عن صوتوا له.



برنامج بايدن قائم بشكل أساسي على ما يلي: «أنا لست دونالد ترامب، وسأعيد البلاد إلى «الأيام الخوالي» في عهد أوباما». لكن تلك «الأيام الخوالي» نفسها هي التي أرسى الأساس لبروز ترامب في المقام الأول. قد يكون ترامب هو أكثر الرؤساء الذين لا يحظون بشعبية في تاريخ الولايات المتحدة، لكن بايدن، بصفته ابن المؤسسة السياسية الرسمية طوال حياته، مكروه بشدة أيضاً. جاء في المركز الرابع في المؤتمرات الحزبية في ولاية أيوا والخامس في الانتخابات التمهيديّة في نيو هامبشاير. هذا هو المقياس الحقيقي لمدى

إن الافتقار إلى حزب سياسي جماهيري للطبقة العاملة عامل موضوعي يلقي بثقله على النظرة الذاتية للعمال. ونتيجة لذلك، ينعكس الاستقطاب الشديد في المجتمع بشكل ضبابي متصدع كتقاطب بين الحزبين الرأسماليين الرئيسيين.

فبعد أربع سنوات مضطربة للغاية، يريد الليبراليون العودة إلى ما يرون أنه الوضع الطبيعي. من خلال عدد قليل من الأوامر التنفيذية، سيحاولون طي صفحة عهد ترامب وكأنها لم توجد أبداً. لكن الترابية وُجدت بالفعل، ووُجدت لسبب ما.

بدأت خطوط الصدع التي تميز الطبقة العاملة الآن تتبلور لأول مرة في عام 2016، كما اتضح حينها من هزيمة هيلاري كلينتون في منطقة حزام الصدأ. بعد ثماني سنوات من «الأمل» و «التغيير» الفاشلين واستسلام بيرني ساندرز لمؤسسة الحزب الديمقراطي، اختار العديد من العمال الذين يبحثون عن حلول جذرية منح فرصة غريبة وجريئة. وكانت النتيجة انتخاب ملياردير مناهض للعمال يدعى دونالد ترامب.

يقع اللوم على الارتباك والانقسام الذي يميز الطبقة العاملة بشكل مباشر على عاتق قادة العمال، الذين يتمثل مبدأهم التوجيهي في «ما هو جيد لصاحب العمل هو جيد للعمال». لكن ما هو جيد لأرباب العمل ليس جيداً للعمال - في الواقع، مصالحنا متناحرة ولا يمكن التوفيق بينهما.

ويقف هؤلاء الأشخاص على رأس الملايين من العمال المنظمين عبر عشرات الصناعات الأساسية. فهم لا يملكون القوة لإغلاق الاقتصاد فحسب، بل لديهم أيضاً الوسائل اللازمة لتعبئة أعضائهم ومواردهم خلف الجهود الرامية لبناء حزب جماهيري جديد على أساس طبقي جديد. وبدلاً من ذلك، فهم يتعاونون ويتوافقون ويعقدون مساومات مع أرباب العمل في أماكن العمل وفي صناديق الاقتراع، الأمر الذي أدى إلى دوامة تدهور الأجور الحقيقية والظروف المعيشية والمزايا والمكتسبات. وترك غياب قيادة مناضلة على أساس طبقي مستقل فراغاً ملأه ترامب ورفاقه، غالباً باستخدام خطاب جريء مؤيد للعمال.

نتيجة لذلك، بدأ قادة النقابات يفقدون السيطرة على القواعد العمالية. ربما فاز بايدن بنسبة 57% بين ناخبي النقابات، مع تصويت 40% فقط لصالح ترامب. لكن في الماضي، كانت هذه كتل تصويت ديمقراطية موثوقة - لم يعد الأمر مضموناً بعد الآن. لا يزال العاملون في نقابات الخدمات والقطاع العام يميلون إلى التصويت للديمقراطيين، في حين أن العديد من النقابات الصناعية، وليس من المستغرب في اتحادات الشرطة، يدعمون ترامب بأغلبية ساحقة. على الرغم من أنه يبالغ في تقدير القوة والتأييد الذي يحظى به، فليس من قبيل الصدفة أن أعلن ترامب أن «لقد أصبح الحزب الجمهوري حزب العامل الأمريكي».

من دون شك، من بين مؤيديه حثالة المجتمع: العنصريون المتطرفون، وأنصار نظرية تفوق العرق الأبيض، وجماعة «الفتيان الفخورون»، وما إلى ذلك. يتم جمع هذه العناصر في نوبة من الجنون الآن. إنهم «يقفون» ويستعدون ليتم تعبئتهم كحائط صد فكري ومادي ضد اليسار والعمال في مرحلة معينة. ولكن ليس فقط البرجوازية الصغيرة الغاضبة والعناصر التي رفعت عنها السرية هي التي تدعمه. تضم قاعدته أيضاً ملايين العمال الغاضبين واليائسين. صحيح أنه في المزاج السياسي الحالي، تحول هؤلاء العمال أكثر إلى

**يقع اللوم على الارتباك والانقسام الذي يميز الطبقة العاملة بشكل مباشر على عاتق قادة العمال، الذين يتمثل مبدأهم التوجيهي في «ما هو جيد لصاحب العمل هو جيد للعمال»**

اليمن. لكن هذا فقط لأن الخيارات السياسية المتاحة يمينية فقط. يدعم العديد منهم ترامب لنفس السبب الذي دفعهم إلى دعم أوباما والديمقراطيين في

الماضي - لأنه لا يوجد بديل قابل للتطبيق ومستقل طبقياً. فقط بعد فشل ما يسمى بالقدم اليسرى للرأسمالية قرروا منح الفرصة للقدم اليمنى. إنه أكثر من مجرد ترنح نحو اليمين، فهو يمثل بحثاً محموماً عن مخرج من المأزق. في الأساس، فإن غضبهم وإحباطهم من النخبة الليبرالية هو غضب طبقي مشوه، يتم التلاعب به بشكل ساخر من قبل ترامب والجمهوريين. بالنسبة لمعظم فترة ولايته، كان ترامب محظوظاً عندما يتعلق الأمر بالاقتصاد، ونسب لنفسه الفضل في ذلك. وقد منحه هذا الكثير من المصداقية بين العمال. نظراً لسلطته الشخصية وانعدام الثقة في وسائل الإعلام الليبرالية، فقد نجح في تحميل الصين وفيروس كورونا سبب مشاكله الاقتصادية.

كان الديمقراطيون يعتبرن لعدة عقود، نظراً لرؤساء مثل روزفلت وليندون جونسون، هم الحزب «الصديق للعمال» أو «أهون الشرين». لكن بعد عقود من الإخفاقات والخيانات، حول ملايين العمال ولائهم السياسي. لم يعد الديمقراطيون قادرين على الاعتماد على شريحة من العمال الذين كان بالإمكان اعتبارهم، في وقت سابق، داعمين أساسيين إلى حد ما مسلم: قسم من الطبقة العاملة البيضاء المنقبة، وقبل كل شيء، عمال حزام الصدأ والمناطق الريفية. على الرغم من كونه برجوازيًا، فقد نجح ترامب في استغلال الغضب الشديد من الوضع الراهن، والآن أصبح الحزب الجمهوري مدين بالفضل لترامب، لأنه بتسخير هذا الغضب، منح الحزب فرصة أخرى للحياة. وهذا ما يفسر التملق، الذي يبدو أنه لا يمكن تفسيره، اتجاه كل كلمة وتصريح سخيف يصدر عنه.

كان تركيز ترامب منصباً على إعادة فتح الاقتصاد وإعادة الناس إلى العمل، بغض النظر عن المخاطر التي تهدد الملايين من الأشخاص الذين يعيشون براتب في انتظار الآخر، عبر اغراقهم بالأخلاقيات المهنية من قبل «ما حك جلدك مثل ظفرك». ولقد صور الديمقراطيون بمهارة على أنهم مجموعة من الليبراليين المتدمرين الذين بوسعهم الانتظار حتى انتهاء الوباء بكل راحة - بينما الجميع يخاطر بحياته ويكافح من أجل تلبية احتياجاته.

عندما يسمع العمال في المناطق المنكوبة من البلاد شعاراً مثل «لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى»، فإنهم لا يفكرون في القومية الشوفينية والإمبريالية. إنهم يؤمنون بصدق أن ترامب سيعيد الوظائف الجيدة التي سمحت لآبائهم وأجدادهم بالحصول على جودة حياة لائقة نسبياً خلال فترة ازدهار ما بعد الحرب العالمية الثانية. بالطبع، لا يمكنك ببساطة أن تتمنى عودة الخمسينيات إلى الوجود - فالعديد من العوامل السياسية والاقتصادية جعلت ذلك ممكناً حينها - ولم يستفد الجميع حينها أيضاً.

صحيح أن ترامب فشل في الوفاء بوعدته بإعادة بناء البلاد وخلق مئات الآلاف من وظائف تعدين الفحم والتصنيع. ومع ذلك، فإن رسالته تلقى صدى لدى العمال في الأماكن التي يكون فيها العمل كمدير في متاجر وول مارت أو مطاعم ماكдонаلدز أو الانضمام إلى الجيش هو أفضل ما يمكنك أن تطمح إليه. هناك مناطق في هذا البلد أغرقت فيها مدن ومقاطعات بأكملها فالوحل بسبب العولمة الرأسمالية وتجزئ العمل، ولم تعوض سوى بالبطالة الجماعية والفقر للإنسانيين - ناهيك عن انتشار الأفيون والسمنة وأوبئة الصحة العقلية. يتوعد ترامب بغطرسة في تجمعاته الجماهيرية - التي تذكرنا باجتماعات إحياء المسيح - بإطلاق النار على من تسببوا في ذلك. إنها ظاهرة متناقضة للغاية، فعلى الرغم من أنه الرئيس الحالي، لا زال بإمكان ترامب تصوير نفسه على أنه من خارج المؤسسة السياسية الرسمية. وبينما يهاجم الوضع الراهن، فغنه يعد بالعودة إلى نوع مختلف من الوضع الراهن - نوع يتم فيه إعطاء العمال الصناعيين البيض القليل من الفتات لإقناعهم بمفهوم الشراكة مع أرباب العمل.

عندما تكون هناك ندرة وتنافس على الوظائف والسكن، بل وحتى كرامة الإنسان الأساسية، يؤدي اليأس إلى رؤية ضيقة الأفق. هذا يجعل الناس يتقبلون الرسالة الدينية لشخص مثل ترامب. إنه يعدهم بالعالم ويشحن مشاعرهم بجنون - مع إضافة جرعة هائلة من الخوف والعنصرية وكرهية الأجانب. إن إلقاء اللوم على شرائح أخرى من الطبقة العاملة في أزمات النظام العديدة، هو تكتيك «فرق تسد» الكلاسيكي، الذي يهدف إلى صرف الانتباه عن العدو الطبقي الحقيقي.

ناهيك عن أن المجانين قد استولوا على الحزب الجمهوري. الناس يريدون شيئاً مختلفاً، وهو ليس نفس الشيء القديم. يبحث الناس عن إجابات، وسيلة للخروج من المأزق، وقبل كل شيء، قيادة مقاتلة وغير تقليدية. ترامب عبارة عن قمامة بشرية وعدو لدود للطبقة العاملة. لكنه فاضح ومتحدي - وهذا أكثر بكثير مما يمكن أن يقدمه قادة النقابات أو الليبراليون.

لذا إذا أردنا شرح ومحاربة الترابية، يجب أن نفهمها أولاً. يجب أن نبدأ بفحصها على حقيقتها: تحالف آخر عابر للطبقات يعتمد فيه قطاع من الطبقة الحاكمة على قطاع من الطبقة العاملة لتعزيز مصالحه. يجب فصل العقلاني عن اللاعقلاني في ظاهرة ترامب. هناك الكثير من الأمور غير المنطقية واللاعقلانية - ربما معظمها. لكن استياء الطبقة العاملة المدفون في أعماق ذلك هو نواة صغيرة من البلشفية المحتملة - ليس كأيدولوجيا، ولكن في جوهرها الطبقي الأساسي. هذه هي «المادة المظلمة» لظاهرة تأييد ترامب التي تربك الليبراليين.

### فرصة ضائعة

أما بالنسبة لليساير في هذه الانتخابات، فقد رضخ معظمه للضغوط ودعم «أهون الشرين» المزعوم، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. لقد عمل هذا فقط على زرع الأوهام أن الديمقراطيين أداة محتملة للتغيير الحقيقي. ومع ذلك، فإن دور الاشتراكيين الحقيقيين لا يكمن في إعطاء غطاء يساري لأقدم حزب للرأسماليين، ولكن في مساعدة الطبقة العاملة على الإطاحة به واستبداله.

يتهم الإصلاحيون الماركسيين بأنهم «غير واقعيين» - هذا في ظل أنهم هم من يقتنعون بالوهم السخيف أن الرأسمالية يمكن إصلاحها بشكل هادف وواعي وأن أحزابها ومؤسساتها القائمة يمكن بطريقة ما أن تخدم سيدياً آخر وهدفاً غير أهداف الرأسمالية. كل تلك المنظمات والأفراد الذين طالبوا بالتصويت لبايدن بأي شكل أو طريقة أو صيغة هم متواطئون ويجب عليهم تحمل المسؤولية عما يحدث أثناء إدارته.

منبع جينهم أنهم لا يتقون في الطبقة العاملة وليس لديهم أيديولوجية متماسكة لتوجيههم. من ناحية أخرى، يفهم الماركسيون أن القوة الهائلة للطبقة العاملة هي في نهاية المطاف إلى جانبنا. نحن مسلحون بالأفكار والطريقة التي تسمح لنا باختراق الضباب والارتباك مع إبقاء أعيننا على الصورة الكبيرة والنظرة الطويلة للتاريخ في جميع الأوقات. هذا لا يعني أن استراتيجيتنا ستكون سهلة التحقيق. لكنها على الأقل تستند إلى تحليل علمي لكيفية تحرك المجتمع والتاريخ وكيف يمكن أن يحدث التغيير الأساسي حقاً.

يجب أن نسأل: ما هي بالضبط خطة اليسار من أجل «وضع أقدام بايدن في النار»، و«تحمله المسؤولية»، و«دفعه إلى اليسار»؟

الحزب الديمقراطي ليس وعاء فارغ يمكن ملؤه بمحتوى طبقي مختلف من خلال «الضغط». إنه ممتلئ إلى أقصى حد بالمحتوى الرأسمالي، وبينما يمكنه كحزب تغيير شكله الخارجي لإعطاء الانطباع بالتغيير، يبقى المحتوى الأساسي ثابتاً.

وبعيداً عن دفع الديمقراطيين إلى اليسار، فإن كل الاشتراكيين المعروفين والذين حاولوا دفع الحزب لليساير انجرفوا أكثر إلى اليمين في النهاية. والشيء نفسه سيحدث لكل اشتراكي يحاول تغيير ذلك الحزب من الداخل. هذا بالضبط ما حدث لبييرني ساندرز، الذي فقد مصداقيته الآن عند الملايين.

منذ انتخابه، أوضح بايدن أنه سيحكم من «الوسط» - وهو ما يعني في المصطلحات الرأسمالية من اليمين. وتحت ضغط اليمين المتطرف، سيجبر علي أن يتقدم في نهاية المطاف في هذا الاتجاه اليميني. لقد بدأ بالفعل الهجوم داخل الحزب على مصطلح «اشتراكية» وحتى «تقدمية». حتى أن الإصلاحيين اليمينيين المدافعين عن الرأسمالية مثل ساندرز ووارن تم تنحيهم جانباً. ولم يعودوا مرشحين لمناصب وزارية لأنهم يعتبرون «بعيدون جداً في اتجاه اليسار». هذا هو الجزء الذي يحصل عليه هؤلاء الأشخاص لنجاحهم في التطبيل للعبة «الطعم والتبديل» التي تقام كل أربع سنوات.

من المؤكد أن ملايين الأشخاص لديهم أوهام صادقة وشريفة بأن الشرطة يمكن أن تكون «أكثر لطفاً ورحمة» وأن ما يسمى بالصفقة الخضراء الجديدة يمكن أن توقف كارثة المناخ. غريزتهم الأولية هي محاولة إيجاد حل داخل النظام من خلال الأحزاب والقادة الذين يعرفونهم. هذا جزء طبيعي ومنطقي من عملية تنمية وتجذر الوعي الطبقي.

أثناء الانخراط بشكل إيجابي مع أولئك الذين لديهم مثل هذه الأوهام، فإن مهمة الماركسيين هي استخلاص القضايا والتناقضات الأعمق وشرح أنه لإنهاء الأزمة البيئية، نحتاج إلى تغيير بنيوي. ولتحقيق مثل هذا التغيير بعيد المدى، تحتاج الطبقة العاملة كخطوة أولى إلى تنظيم نفسها سياسياً للتعامل مع أحزاب أرباب العمل بشكل مباشر.

الجمهوريون والديمقراطيون وجهان لعملة رأسمالية واحدة. نحن نرفض فكرة أنهم أقطاب متناقضة. الاستقطاب الوحيد الذي نشجعه ونشيد به وندفع من أجله هو الاستقطاب الطبقي.

كما رأينا، صوت ملايين الأشخاص «ضد» ترامب، وليس «لصالح» بايدن. وبالنسبة لملايين آخرين، فإن التصويت «لصالح» ترامب كان حقاً تصويتاً «لصالح» وظائف وأجور أفضل، وليس بالضرورة «لصالح» ترامب وكل ما يمثله. في حين لم يصوت عشرات الملايين أخرى لأي حزب أو لأي شخص على الإطلاق. ونصف الأمريكيين تقريباً - بما في ذلك أغلبية كبيرة من الشباب - قالوا إنهم سيصوتون لرئيس أو حزب اشتراكي. ودعونا لا ننسى أن 10% من الأمريكيين نزلوا إلى الشوارع وسط جائحة في الصيف الماضي للاحتجاج على مقتل جورج فلويد على يد الشرطة. كان هذا تطوراً استثنائياً مليئاً بالتأثيرات الثورية على المستقبل.

هذا هو الأساس الموضوعي لحزب أغلبية جديد، حزب من الطبقة العاملة ومن أجلها - حزب اشتراكي جماهيري قائم على النقابات. يمكن لحزب عمالي وحكومة عمالية حقيقية، مسلحة بسياسات تعالج مشاكل المجتمع على أساس طبقي، كسب دعم الملايين الذين يصوتون حالياً للأحزاب القائمة أو لا يكلفون أنفسهم عناء التصويت على الإطلاق. الاشتراكية من خلال الأفعال - وليس الليبرالية التي تنتكر بزى الاشتراكية - ستشق كتبتكات الطبقة الحاكمة القائمة على سياسة «فرق تسد». فانطلاقاً من البراغمية المطلقة، فإن ملايين الأمريكيين العاديين سيدعمون في نهاية المطاف السياسات التي ستفيدهم بشكل ملموس وتفيد عائلاتهم - سواء تم تصنيفهم على أنهم اشتراكيون أم لا.

العمال هم الأغلبية و سيضطرون في النهاية إلى بناء آلة سياسية خاصة بهم. لا يمكننا معرفة التركيبة الدقيقة للقوى أو الشكل أو التوقيت الذي سيتخذه مثل هذا الحزب. ولكن بمجرد أن تشرع أعداد كافية من العمال في هذا العمل، فمن المؤكد أنها ستنتج بقوة وتصميم. سيكون الماركسيون هناك معهم، ويدافعون بصبر عن سياسات وهياكل مستقلة طبقية.

في مثل هذه الأوقات المضطربة، تكون هناك ضمناً فترات هائلة في الوعي. على المدى القصير، من المرجح أن تستمر الانقسامات السامة بل وتتفاقم. سوف يستغرق الأمر بعض الوقت والكثير من الخبرة المريرة لحل التناقضات المعقدة. لكن يجب أن نكون واثقين من أن السؤال الطبقي سيحتل الصدارة في النهاية. هذا هو المنظور الذي يجب على اليسار ككل أن يناضل من أجله.





### النضال من أجل الثورة الاشتراكية!

هناك الكثير لتحليله عندما يتعلق الأمر برئاسة بايدن: من تشكيل حكومته إلى سياسته الخارجية إلى علاقته بالحركة العمالية وحركة حياة السود مهمة، وأزمة الصحة العامة، وأكثر من ذلك. سوف نستكشف كل هذا في المقالات والافتتاحيات المستقبلية.

لكن بالنسبة لنا، هناك شيء واضحاً تماماً: عدم الاستقرار المستمر وعدم اليقين هو الوضع الطبيعي الجديد، ولا يمكن أن تستمر لعبة كرة الطاولة في نظام الحزبين إلى ما لا نهاية. لا شيء يدوم إلى الأبد، وعلينا استخلاص النتائج السياسية والتنظيمية وحتى النفسية اللازمة.

بعد الأحداث التي هزت الوعي الجمعي في عامي 2008 و 2016، يمثل عام 2020 نقطة تحول أخرى على الطريق نحو الثورة الاشتراكية الأمريكية. الأحداث التي وقعت في الاثني عشر شهراً الماضية هي بمثابة اختبار ضغط هائل للنظام - وبالمناسبة الضغوط الأشد لم تأت بعد. كل شيء يتحول في النهاية إلى نقيضه. أصبحت الدولة الأكثر استقراراً في العالم هي الأكثر اضطراباً، وفي مرحلة معينة، ستصبح القوة الأكثر رجعية على وجه الأرض هي الأكثر ثورية.

بالنسبة للماركسيين، هناك الكثير في السياسة أكثر من الانتخابات البرجوازية. التصويت مرة كل بضع سنوات لا يكفي لتغيير المجتمع. يتم حل جميع المشاكل الأساسية في نهاية المطاف في ساحة النضال، في أماكن العمل والشوارع والثكنات، وغالباً ليس في صناديق الاقتراع. كما أوضح لينين، السياسة هي تعبير مكثف عن الاقتصاد. السياسة هي النضال من أجل أجور وظروف عمل أفضل، وفي نهاية المطاف، النضال لتغيير العلاقات الاقتصادية الأساسية للمجتمع.

على الرغم من طبيعته الملتوية، فإن الاستقطاب الحاد هو في النهاية مقدمة للثورة - ربما ليس الأسبوع المقبل، ولكن في وقت أقرب بكثير مما يعتقد معظم الناس. يجب أن نكون مستعدين للتغيرات الحادة والمفاجئة

وصعود وهبوط الأحداث والأرقام والحوادث العرضية. مع الأخذ في الاعتبار ما قاله تروتسكي ذات مرة: «يجب على الماركسيين، ولا سيما أولئك الذين يطالبون بالحق في القيادة، أن يكونوا قادرين ليس على الدهشة ولكن على التبصر».

يمكننا أن نرى على وجه التحديد ما سيحدث إذا لم يتم بناء بديل عمالي جماهيري في الفترة المقبلة. لا ينبغي أن نشعر بالصدمة أو المفاجأة إذا عاد ترامب نفسه أو أي شخص آخر أكثر رجعية منه إلى البيت الأبيض في عام 2024 أو 2028. يجب أن نوضح باستمرار أنه إذا لم نقم ببناء بديل مستقل طبقياً عن الديمقراطيين، سوف يعود حينها ما يسمى بالشر الأعظم، أعظم ووأكثر شراً من أي وقت مضى.

يمكن أن تكون الولايات المتحدة دولة محيرة ومذهلة. قال الصحفي بول كروغمان مؤخراً: إذا حدث هذا كله في أي بلد آخر، فسيتم اعتباره دولة فاشلة. لكن الشيء الرئيسي هو هذا: قوانين الصراع الطبقي تنطبق هنا أيضاً، وأساسياته واضحة بشكل جلي. يبدأ كل شيء بفهم أن مصالح العمال والرأسماليين متعارضة تماماً وأنه يجب الحفاظ على الاستقلال الطبقي والنضال من أجله في جميع الأوقات.

يمثل التيار الماركسي الذاكرة التاريخية للطبقة العاملة. يجب أن نتعلم وننقل دروس الصراع الطبقي الأممي إلى الطبقة العاملة الأمريكية، وتطبيق هذه الدروس بشكل جدي على الظروف الملموسة التي نعيشها ونعمل فيها اليوم. مهمتنا الفورية هي التواصل مع الشرائح المتقدمة والثورية، واكتساب المناضل تلو الآخر لصف النظرية الماركسية والتيار الماركسي الأممي، مع التحريض على الانفصال عن أحزاب أرباب العمل والحاجة إلى بناء حزب اشتراكي جماهيري عمالي.

ربما يكون ترامب قد تعرض للهزيمة في صناديق الاقتراع هذه المرة، لكن الترابية والنظام الذي يدافع عنه هو والديمقراطيون لم ينته بعد. قلنا ذلك في عام 2016، ونقول مرة أخرى: الاشتراكية فقط هي التي يمكنها هزيمة ترامب - والرابية!

# بريطانيا: بعد عام من الانتخابات حكومة بوريس المأزومة

## حكومة

بوريس جونسون تتولى السلطة منذ عام واحد. لكنها غارقة بالفعل في الاضطرابات والانقسامات، حيث أن أزمة الرأسمالية تلقي بظلالها عليها. نحن بحاجة إلى معارضة مناضلة تقاوم لطرده حزب المحافظين.

قبل عام واحد، في 12 ديسمبر/ كانون الأول، حقق حزب المحافظين فوزاً ساحقاً في الانتخابات العامة لعام 2019. وعد بوريس جونسون وحزب المحافظين بـ «إنهاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي» في أسرع وقت، وحصلوا على 43,6% من الأصوات، مما منحهم أغلبية 80 مقعداً في البرلمان.

توقع المعلقون والمراقبون من اليمين واليسار أن حكومة جونسون الجديدة لن تكون قابلة للتحدى ولن يوقفها شيء. وأن رئيس الوزراء سيدخل التاريخ كزعيم غير مشهود السياسة البريطانية إلى الأبد.

بعد مرور 12 شهراً، تحوم الرأسمالية البريطانية الآن فوق هوة سحيقة، وتواجه عاصفة كاملة من الأزمات، من خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والوباء، والانهيار الاقتصادي الحاد. لكن هذه الأزمة ليست قصيرة، إنها مجرد بداية أزمة طويلة الأمد وعميقة للنظام.

وهذا بدوره يؤدي إلى تمزيق حكومة المحافظين «القوية والمستقرة». بوريس جونسون بالفعل ستذكره كتب التاريخ، لكن لأسباب مختلفة، مثل أنه رئيس الوزراء الذي أشرف على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والاستجابة الفاشلة المميتة للوباء والأزمة الصحية، ومن المحتمل جداً- تفكك المملكة المتحدة.

كما توقعنا قبل عام، تكشف أزمة الرأسمالية جميع التناقضات الضمنية داخل الوضع، وتكشف ان حكومة جونسون «عملاق بأقدام من طين»، وتوضح أن هذه الأغلبية العظمى من المحافظين في البرلمان على ما يبدو «بنيت والديناميت مزروع بأساسها».

ومع توقع اشتداد الأزمة وتعميقها، تنتظرنا أحداث متفجرة وصراعات طبقية حادة.

## إيذاء النفس

نظراً لضعف الرأسمالية البريطانية، كان انهيار الاقتصاد البريطاني بسبب أزمة فيروس كورونا أكبر من أي دولة في مجموعة الدول السبع.

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي -فكرة مجنونة فيما يتعلق بمصالح الشركات الكبرى- يؤدي إلى تفاقم الأزمة، وقطعت عن الرأسمالية البريطانية حرية الوصول إلى السوق الموحدة والاتحاد الجمركي.

**كما توقعنا قبل عام، تكشف أزمة الرأسمالية جميع التناقضات الضمنية داخل الوضع، وتكشف ان حكومة جونسون «عملاق بأقدام من طين»**

الاحتمال الوشيك لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون اتفاق يربع الجناح المهيمن للطبقة الرأسمالية. في هذه المرحلة، حتى الصفقة التي يتم التفاوض عليها ستكون محدودة، وستظل تضر بشكل خطير بأرباح أرباب

العمل. سيؤدي هذا «الإيذاء الذاتي» إلى إلحاق أضرار لا حصر لها بالرأسمالية البريطانية، وتعطيل التجارة وسلاسل التوريد مع أوروبا، والتي كانت تمثل ما يقرب من 50% من الصادرات البريطانية.

لكن أزمة الرأسمالية البريطانية لم تبدأ مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أو الوباء. في الواقع، كانت الرأسمالية البريطانية في حالة تدهور منذ أكثر من 100 عام، حيث خضعت «للانحلال البطيء المشين»، كما وصف كارل



ماركس ذات مرة زوال إسبانيا.

ستؤدي كارثة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى تفاقم وتيرة تدهور الرأسمالية البريطانية. إن الحديث عن تحرير بريطانيا لغزو الأسواق الخارجية في جميع أنحاء العالم هو حلم غير منطقي، وسيصبح ذلك واضحاً قريباً جداً.

## التدهور

في الماضي، كانت وجهات النظر الماركسية مبنية على فكرة أن الطبقة الحاكمة وممثليها السياسيين سيتبعون مصالحهم الطبقة الخاصة. سيكون في الأغلب هناك تفكير عقلائي وراء قراراتهم. لكن هذا ليس هو الحال الآن. تتصرف الزمرة الحاكمة التي تحكم بريطانيا بأكثر الطرق اللاعقلانية. لقد تدهوروا تماماً وأصبحوا مخمورين بدعايتهم القومية. هذا خداع تماماً. إنهم مثل القوارض يتجهون نحو المنحدر. إنه يذكرنا بالأيام الأخيرة للإمبراطورية الرومانية - ولكن في هذه الحالة آخر أيام البله السياسي.

لقد دافع بوريس جونسون وحزب المحافظين بحماس، عن جنون خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، بشعارات مثل «استعادة السيطرة» و«الفوز بحريتنا».

هذا الحزب البرجوازي المتميز استولى عليه الحمقى الرجعيون. كان حزب المحافظين البريطاني هو الأكثر نجاحاً في أوروبا، إن لم يكن في العالم. لكن ذلك كان منذ فترة طويلة.

نتيجة رعب الشركات الكبرى، تم تحويله إلى حزب إنجليزي ضيق الأفق من المشككين في أوروبا؛ حزب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في كل شيء ما عدا الاسم، يهيمن عليه أكثر أنواع السياسيين رجعية وحمافة.

بشرت تاتشر بعملية التدهور هذه، لكنها اكتملت في عهد بوريس جونسون ومستشاره الرئيسي السابق دومينيك كامينغز.

وصف ديفيد كاميرون الحزب في الوقت الراهن، على نحو ملائم، بأنهم «مجنونون ذوو أعين دوارة». في العقود الأخيرة، سُمح لهؤلاء الرعايا باختيار زعيم الحزب. وقد نتج عن ذلك حكومة المحافظين الأكثر فساداً وإفلاساً سياسياً في التاريخ، بقيادة زمرة من مؤيدي البريكسيت المتطرفين مع مهرج سياسي كملك لهم.

وهي أيضاً صورة توضح كيف فقدت الطبقة الحاكمة فعلياً السيطرة على حزبها التقليدي الذي حكمت به البلاد. تطورت عملية ماثلة في الولايات المتحدة، مع غزو ترامب للحزب الجمهوري وإعادة تشكيله على صورته، مما أثار رعب الطبقة الحاكمة الأمريكية.

## انقلابات وتكتلات

تكافح الطبقة الحاكمة لاستعادة السيطرة على الوضع في حزب المحافظين، من الواضح أنهم دبروا «الانقلاب» ضد كامينغز وعصبته التي سيطرت على «10 داوينج ستريت».

لقد وضع هؤلاء الصعاليك أنفسهم فوق القانون. فكامينغز وأنصاره داسوا بخشونة على كل شيء، مما أثار قلق المؤسسة الرأسمالية.

فصح هذا الحدث المقزز القذارة الموجودة في قمة الدولة البريطانية، وكشف نظام الترهيب الذي كان يعمل في مركز الحكومة. لقد كان ذلك بقيادة طغمة من أنصار البريكست المتعصبين الذين أحاط جونسون نفسه بهم. مع رحيلهم أو تهيمشهم إلى حد ما، كان البرجوازيون يأملون في إعادة فرض سيطرتهم. لكن لا يزال هناك طريق طويل لتحقيق هذا الهدف، نظراً لانحطاط حزب المحافظين.

## «علاقة خاصة»

على مدى عقود، شهدت البرجوازية البريطانية تدهوراً حاداً في ثروات وقوة الرأسمالية البريطانية، والتي تحولت في النهاية إلى ظل لما كانت عليه في السابق.

مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، تم تقليص المملكة المتحدة إلى قوة غير مهمة على أطراف أوروبا، وتفقدت إلى «علاقة خاصة» مع الولايات المتحدة أو أي أحد آخر.

كل الثروة حول «بريطانيا العظمى» التي تحررت من قيود الاتحاد الأوروبي، وعلى الاستعداد لغزو أسواق العالم، هي هذيان كبير. المؤسسة البريطانية وممثلوها في حزب المحافظين يعانون من أوهام العظمة المزممة التي لا أساس لها في الواقع.

سيتم تقويض «العلاقة الخاصة» مع الولايات المتحدة - العلاقة بين الكلب وسيده - مع رئاسة بايدن الجديدة. نتيجة لذلك، لن يكون هناك اتفاق تجاري سريع مع واشنطن. لقد حذر بايدن جونسون بالفعل من خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وسيهتم أكثر بالتعامل مع أوروبا بشكل مباشر.

كانت هناك صيحات غاضبة وصاخبة من الشركات الكبرى بشأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. لكن حكومة جونسون رفضت الاستماع إلى مثل هذه الشكاوى من قبل مركز ترويج الواردات وآخرين. في العديد من المناطق، ظل الرؤساء في الظلام - لا سيما فيما يتعلق بالأمور الحيوية لمصالحهم.

لم يكن هناك وضوح بشأن العلاقات التجارية المستقبلية للمملكة المتحدة مع أوروبا. كان رجال الأعمال يشدون شعرهم بينما تنتقل الحكومة من كارثة إلى أخرى. إنهم يعيشون في حالة من الرعب بينما تبخر بريطانيا في هذه المياه العاصفة و تقودهم حكومة تصم أعينها عن احتياجاتهم ومصالحهم.

## انشقاقات وانقسامات

من الواضح أن حكومة حزب المحافظين هذه على وشك الارتطام بالأرض بضجة، حيث يعاني الاقتصاد - البعيد عن التعافي - من مزيد من التدهور. الموانئ البريطانية مزدحمة بالفعل، وهذا قبل أن تبدأ الفوضى في 1 يناير 2021. لقد حدث هذا في أسوأ فترة على الإطلاق. أدت الضغوط والتوترات داخل الحكومة إلى سلسلة من التحولات المفاجئة: من درجات الامتحانات إلى الوجبات المدرسية المجانية.

تتمتع حكومة جونسون بجميع سمات حكومة الأزمة، على الرغم من حصولها على أغلبية مريحة تبلغ 80 مقعداً. حتى أنها اضطرت إلى الاعتماد على أصوات حزب العمال لتمرير بعض تشريعاتها.

الحكومة تتعرض لضربات متتالية من الأحداث. في هذه الأثناء، يعاني حزب المحافظين من انقسامات وانشقاقات، والتي تم التعبير عنها في تكاثر «مجموعات» ضغط جديدة - من مجموعة الأبحاث الأوروبية سيئة السمعة، إلى مجموعة الصين للأبحاث التي تم تشكيلها حديثاً، ومجموعة الأبحاث الشمالية، مجموعة مكافحة الإغلاق.

وبالتالي، فإن هذه الحكومة ستسجل في التاريخ على أنها أقل الحكومات كفاءة وأكثرها كرهاً في التاريخ.

## الاستقلال الاسكتلندي

إن الحكومة والطبقة الحاكمة مرعوبتان من احتمالات البطالة الجماهيرية والاضطرابات الاجتماعية التي ستنتج عنها. المشقة والاستياء يتصاعدان بالفعل في كل مكان. لن تكون هناك أي «تسوية» بالنسبة للشمال أو لأي مكان آخر. وفي غضون ذلك يواصل أصحاب الملايير وأصدقاء حكومة حزب المحافظين مراكمة الثروات من الأزمة.

هناك خوف وحتى ذعر بين نواب حزب المحافظين فيما يسمى بمقاعد «الجدار الأحمر»، الذين بدأوا يشعرون بالضغط. كما هو متوقع، ستكون هذه المناطق المتروكة هي الأكثر تضرراً على الإطلاق.

يمكننا أن نضيف لمسة أخرى إلى هذا السيناريو: التفكك المحتمل للمملكة المتحدة، مع احتمال انفصال اسكتلندا وحتى شمال أيرلندا.

تؤيد أغلبية ثابتة الآن الاستقلال الاسكتلندي، الذي يحاول المحافظون بشدة منعه. هذا يمكن أن يؤدي إلى وضع على غرار كاتالونيا في اسبانيا. في مايو، سيحصل الحزب الوطني الاسكتلندي على أغلبية كبيرة من الأصوات والمقاعد في انتخابات هوليرود، التي ستدور حول قضية الاستقلال. إن حكومة حزب المحافظين الشريفة في وستمنستر - مع رئيس وزراء قومي إنجليزي يعتقد أن انتقال السلطة كان «كارثة» - لن يؤدي إلا إلى تكتيف الرغبة في الاستقلال.

لقد تبخرت الأرض الوسطى. لقد توسل أمثال جوردون براون الاسكتلنديين للبقاء داخل الاتحاد. لقد تم تهيمش حزب العمال الاسكتلندي، الذي يعارض استفتاء ثانٍ على مغادرة المملكة المتحدة (Indyref2). لقد انهار الإجماع المؤيد للوحدويين. «يسار» حزب العمال جزء من هذا التحالف غير المقدس، الذي يكشف عن عجزه.

سوف يزداد دعم الاستقلال فقط. إذا رفض حزب المحافظين عقد استفتاء جديد، فسوف يزداد الدعم أكثر. هذا يمكن أن يؤدي إلى صدامات دستورية. ستكون الطبقة السائدة يائسة في التمسك بالاتحاد وستفعل كل ما في وسعها لتقويض إرادة الشعب الاسكتلندي.

بصفتنا ماركسيون، نحن ندافع عن حق الأمم في تقرير مصيرها. لكن الاستقلال على أساس الرأسمالية لا يمثل أيضاً حل للمشاكل التي تواجه العمال والشباب في اسكتلندا. بدلاً من ذلك، يجب أن نناضل من أجل فكرة جمهورية العمال الاسكتلندية، المرتبطة بفدرالية اشتراكية لهذه الجزر، والولايات المتحدة الاشتراكية في أوروبا.

## هجمات على العمال

في جميع أنحاء بريطانيا، بدأت الاحتكاكات والبنوك العملاقة الآن في التخلص من العمالة معدّل ينذر بالخطر. سيكون لإلغاء نظام الإجازة أثر كبير على الطبقة العاملة.

في غضون ذلك، يتم سحق الشركات الصغيرة وإخراجها من العمل. فقد الكثيرون كل شيء ويكافحون لتغطية نفقاتهم.



وبعد عقد من التخفيضات في قيمة الأجور الحقيقية، من المقرر أن يواجه العمال ضغوطاً أكبر على الأجور في الفترة المقبلة.

صرحت هايدي شير هولز من معهد السياسة الاقتصادية: «عندما تكون فرص العمل نادرة، كما هي الآن، فإن نفوذ العمال يتلاشى. ببساطة لا يتعين على أصحاب العمل الدفع عندما يعرفون أن العمال ليس لديهم خيارات أخرى.»

يشعر آخرون بالقلق من التأثير على الاقتصاد حيث يتم تقليل الإنفاق، مما يؤدي إلى زيادة تقويض الطلب.

قال ديفيد بيچ، الخبير الاقتصادي في شركة Axa Investment Managers «إن الفترة الممتدة من ارتفاع معدلات البطالة والعمالة الناقصة مع وجود جيش من العمال المحبطين ينتظرون على الهامش، يهدد الانتعاش، لأنه سيؤخر نمو الأجور ودخل الأسرة والإنفاق.»

## ديون وعجز

أودى الوباء بحياة أكثر من 60 ألف شخص في بريطانيا. على الرغم من التوصل إلى اللقاح، لا يزال كوفيد-19 موجوداً ولم تنته أزمة الوباء. وسوف نشعر بالآثار لفترة طويلة، حيث يتحدث الاقتصاديون البرجوازيون عن «ندوب» الاقتصاد. من المحتمل تماماً أن تكون هناك موجات متكررة من الوباء والمزيد من الإغلاق للاقتصاد.

إن حكومة حزب المحافظين، التي أنفقت مليارات الجنيهات لإنقاذ النظام الرأسمالي، عالقة بين المطرقة والسندان. تم دفع المليارات لشركات الأدوية الخاصة للتوصل إلى لقاح.

كما تم دفع مليارات أخرى للشركات مقابل معدات للوقاية الشخصية اتضح أنها غير فعالة.

كما أجبرت الحكومة على دفع أجور الإجازة ودعم التوظيف. المزيد والمزيد من الناس عاطلين عن العمل ويعيشون على إعانات الدولة. وفي الوقت الذي يرتفع فيه الإنفاق الحكومي، يتراجع فيه الدخل من الإيرادات الضريبية. من المقرر أن يتضخم عجز الميزانية إلى 400 مليار جنيه إسترليني هذا العام، وهو رقم لم نشهده في وقت السلم من قبل. وبالمقارنة، في عام 2008، بلغ العجز 150 مليار جنيه إسترليني. كان هذا حينها إيذاناً ببدء عقد من النقش.

ستكون الفترة القادمة أقسى بكثير من أي وقت مضى. ارتفع الدين العام إلى أكثر من 2 تريليون جنيه إسترليني، أي أكثر من 100% من الناتج المحلي الإجمالي - أي أكثر مما نتججه في عام كامل. ومن المقرر أن يزداد هذا أكثر في الأشهر المقبلة.

ومن سيدفع ثمن كل هذا؟ كما في السابق، يُطلب من الطبقة العاملة دفع الفاتورة. وبعد عقد من التخفيضات في الأجور، هناك المزيد من التخفيضات في الأجور.

لقد تم بالفعل الإعلان عن تجميد رواتب القطاع العام، باستثناء بعض القطاعات. سيتم تخفيض الخدمات بشكل كبير وستزيد الضرائب - خاصة الضرائب غير المباشرة التي تقع على القطاعات الأكثر فقراً في النهاية.

مع أعمق أزمة منذ 300 عام، لن يكون حجم الهجمات مثل أي شيء رأيناه من قبل. صرح ريشي سوناك أنه يتعين عليه بصفته مستشار حزب المحافظين «موازنة الحسابات».

ويدعو الاستراتيجيون البرجوازيون إلى تأجيل ذلك على الأقل حتى يعود الاقتصاد للوقوف على قدميه. لكن مثل هذا الانتعاش مستبعد في أي وقت قريب، إن وجد أصلاً، خاصة مع عواقب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. في الماضي، اتخذت الحكومات تقليدياً الإجراءات المؤلمة في البداية، من أجل

تهيئ الطريق لانتخابات أخرى. لقد جعلت أزمة الوباء هذه الاستراتيجية صعبة الاستخدام. لقد مضى العام الأول بالفعل. السنة الثانية والسنة الثالثة ستكون ضرورية لإصلاح الشؤون المالية. لا يمكن تأخير النقش أكثر إذا كان لديهم أي أمل في إعادة انتخابهم في عام 2024.

سيحاولون تجنب كلمة «نقش». لكن الوردية بأي اسم آخر لها رائحة جيدة. يمكنهم تسميته كما يحلو لهم، لكن الأمل سيكون له نفس التأثير.

## تخفيضات المجلس

يتمزق النسيج الاجتماعي للمجتمع البريطاني بشكل مطرد. أي فكرة عن «الاستقرار» انتهت بشكل مفاجئ. نحن نواجه عودة إلى ظروف ديكنزية، حيث يضطر الملايين إلى ترك العمل.

15,2 مليون شخص يعيشون بالفعل تحت خط الفقر، والرقم أخذ في الارتفاع. تعيش العائلات دون وجبات لإطعام أطفالها. الملايين معدمون. ستة ملايين في الوقت الحاضر على قائمة الائتمان الشامل.

عندما ينتهي مخطط الإجازة في مارس، ستتضم أعداد كبيرة إلى أولئك الذين تم إلقاؤهم بالفعل في أكوام الخردة. تمت زيادة الفوائد مؤقتاً، ولكن ذلك سيتوقف قريباً. وسيواجه آخرون الإخلاء، وينضمون إلى أولئك الذين أجبروا بالفعل على النوم في ظروف قاسية في أماكن إقامة مؤقتة أو في الشوارع. من خلال عقود من التخفيضات والخصخصة، أصبح هناك تراجع كبير في دولة الرفاه. في عام 2010، كان الإنفاق العام 42% من الناتج المحلي الإجمالي، اليوم هو 35%.

تم تخفيض ميزانيات السلطات المحلية. وهم الآن يعتمدون كلياً على الأعمال المحلية وضريبة المجلس على الدخل. مع انخفاض مصادر الدخل هذه، لا سيما في المناطق الأكثر فقراً، تواجه المجالس المحلية الإفلاس. أحدث مثال على ذلك هو كرويدون.

سيترك هذا في جميع أنحاء البلاد، مما يؤدي إلى تقليص الخدمات الأساسية وفصل العمال وخفض الأجور وظروف المعيشة.

في مواجهة الأزمة المالية، أقال مجلس حزب العمال، في تاور هامليتس، قواه العاملة وأعاد توظيفهم بشروط أسوأ. لقد أصبحت سياسة «التسريح وإعادة التوظيف» منتشرة بشكل متزايد. ينتظر العاملون في مجلس كرويدون مصيراً مماثلاً الآن. وكما هو الحال في تاور هامليتس، سيؤدي ذلك إلى تحركات نزالية من جانب القوى العاملة.

## أحداث ثورية

في ظل هذه الأزمة على جميع المستويات، فإننا نواجه احتمال حدوث اضطرابات وصراع طبقي غير مسبوق في الأشهر والسنوات المقبلة.

يمكن بسهولة إسقاط حكومة جونسون، التي تغرقها الأزمات والانقسامات. لكن بدلاً من حشد العمال ضد حزب المحافظين وأجندتهم التقشفية، انشغل كبير ستارمر واليمين في حزب العمال بمحاولة تطهير الحزب من اليسار.

بأخذ أوامره من المؤسسة الحاكمة، يتطلع «السير» ستارمر إلى جعل حزب العمال «مساعداً أمنياً» للشركات الكبيرة. وهذا يفسر سبب عدم إمكانية وجود «وحدة» مع اليمين في حزب العمال، الذي يعارض بشكل أساسي كل ما تمثله حركة كوربين - ولماذا يجب أن يكون هناك صراع سياسي لطرد ستارمر واليمين، وتأسيس حزب العمال باعتباره حزب اشتراكي واضح.

في بريطانيا وعلى الصعيد العالمي، ندخل في مرحلة ضبابية. يفتح أمامنا فصل جديد من الأحداث الثورية. يجب أن نبنى بشكل عاجل قوى الماركسية وأن نرتقي إلى مستوى التحديات التي تنتظرنا.

# الأرجنتين قانون الحق في الإيقاف الطوعي للحمل انتصار للحركة النسائية!

## في الصباح الباكر من يوم 30 دجنبر، تم التصويت

والموافقة على قانون يبيح الإنهاء الطوعي للحمل. تمت الموافقة عليه أولا في مجلس النواب، ثم تم تمريره إلى مجلس الشيوخ، وحصل على 38 صوتا لصالحه مقابل 29 ضده، مع امتناع واحد عن التصويت. ينص القانون على أنه في إطار ممارسة حقوق الإنسان، يحق للنساء، أو الهويات الأخرى، اتخاذ قرار طوعي بوقف الحمل خلال مدة أربعة عشر أسبوعا من الحمل.

تم تقديم مشروع القانون عام 2018، لكنه لم يحصل على عدد الأصوات اللازمة للموافقة عليه في مجلس الشيوخ، وفي نفس العام تم أيضا تنظيم وقفة احتجاجية كبيرة أمام مقر البرلمان، خلال الحركة المعروفة بالمد الأخضر من أجل إقرار الحق في إجهاض قانوني وآمن ومجاني، وحيث بدأ استخدام

الوشاح الأخضر كرمز للنضال النساء من أجل الحق في الإنهاء الطوعي للحمل. إن قانون الإجهاض هو ثمرة كفاح جماعي لآلاف النساء الأرجنتينيات، اللاتي نزلن إلى الشوارع للنضال مرات عديدة على مر السنين لجعل هذا المشروع حقيقيا. تعود جذور هذه الحركة إلى اللقاء الوطني للنساء. في لقاء عام 2003، في روزاريو، التقت ورشة العمل الاستراتيجية من أجل الحق في الإجهاض، وكان كل لقاء يختتم باستخدام الشعار الذي سيصير شعار الحملة وهو: «من أجل الحق في التقرير» وتوفير وسائل منع الحمل من أجل تفادي الإجهاض، وتشريع الإجهاض من أجل تفادي الموت».

النضال من أجل الحق في الإجهاض في الأرجنتين متواصل منذ عقود. في عام 2005 تم تنظيم حملة من أجل الحق في الإجهاض القانوني والآمن والمجاني، وفي عام 2007 تم عرض مشروع القانون لأول مرة على مجلس النواب. وعام 2018 تمت إعادة مشروع قانون الوقف الطوعي للحمل إلى مجلس النواب، بتوقيع 70 نائبا، ومع ذلك لم تتم الموافقة عليه في مجلس الشيوخ.

لقد جاءت أغلبية الأصوات المؤيدة من جانب أعضاء مجلس الشيوخ المنتمين إلى جبهة Frente de Todos، إضافة إلى عشرة أصوات من حركة Juntos por el Cambio.

لقد حقق النضال المستمر والتعبئة المتواصلة انتصارا تاريخيا ليس فقط للنساء بل لكل الطبقة العاملة والشباب في الأرجنتين. إن قانون وقف الحمل وخطة الألف يوم يمثلان تنازلات اضطرت حكومة ألبرتو فرنانديز إلى تقديمها للجماهير لكي تتمكن من البقاء في السلطة. هذه المكاسب، إلى جانب المساهمة التضامنية للثروات الكبرى، خلقت تعاطفا كبيرا من جانب الجماهير، وتمثل محاولة لاحتواء الأزمة العميقة للرأسمالية في الأرجنتين والمنطقة حيث تتدهور ظروف حياة الطبقة العاملة أكثر فأكثر. كما تحاول الحكومة بهذه التدابير الحفاظ على دعم قاعدتها الاجتماعية، في ظل ظرفية الأزمة الحادة للرأسمالية الأرجنتينية.

**لقد حقق النضال المستمر والتعبئة المتواصلة انتصارا تاريخيا ليس فقط للنساء بل لكل الطبقة العاملة والشباب في الأرجنتين.**

إن قانون الحق في الإجهاض في الأرجنتين ليس مجرد حق آخر تم الحصول عليه، بل هو نتيجة للنضال الجماعي لآلاف النساء والرجال، ومئات الآلاف من



الشباب من أجل حقوق المرأة. إنه تغيير عميق ظل يتخمر منذ عدة أجيال من النساء.

يجب أن نكون واضحين لقد حققنا مكسبا، لكنه ما يزال يتعين علينا قطع شوط طويل لتحقيق المساواة بين الجنسين والحق في اتخاذ القرار بشأن أجسادنا. لا يمكننا أن ننسى أن النساء ما زلن ضحايا للاغتصاب والقتل، وأنهن ما زلن يتقاضين أجورا أدنى من أجور الرجال، حتى ولو كن يقمن بنفس المهام في أماكن العمل.

إن الحق في الإجهاض القانوني والآمن والمجاني هو وسيلة لحماية الصحة الجسدية والعقلية للنساء، وهو ما يجب ربطه مع سياسة أوسع يتم من خلالها ضمان التثقيف الجنسي وتيسير الوصول إلى وسائل تنظيم الأسرة، كطريقة لمكافحة الإجهاض السري الذي تضطر إليه العديد من النساء، وهو أيضا وسيلة لإنقاذ الأرواح.

إن انتزاع الحق في الإجهاض هو بلا شك لحظة تاريخية في الأرجنتين وأمريكا اللاتينية، ويضع الأرجنتين في طليعة بلدان أمريكا اللاتينية ومنطقة بحر الكاريبي. فالأرجنتين توجد الآن إلى جانب أوروغواي وكوبا وغويانا وغويانا الفرنسية وبورتوريكو، التي هي بلدان تم فيها بالفعل إلغاء تجريم الإجهاض. لكن الاستقلالية الحقيقية وحرية القرار بشأن أجسادنا لا يتم اكتسابهما فقط من خلال الحق في الإجهاض، بل من خلال تدمير هذا النظام الذي يخضعنا ويستغلنا. إن مهمة القوى الماركسية الثورية الآن هي التواصل مع أفضل عناصر الحركة النسوية لكسبهن إلى الموقف البروليتاري.

يجب أن يكون الكفاح من أجل المساواة بين الجنسين، وكذلك الكفاح من أجل حرية القرار بشأن أجسادنا، مرتبطين بالنضال من أجل إنهاء تسيير العمال، وإنهاء انعدام الأمن الوظيفي، وكذلك من أجل جودة الصحة والتعليم، كما يجب أن يرتبط بالنضال من أجل الاشتراكية، لأنه فقط في ظل المجتمع الاشتراكي حيث سيكون لنا الحق في أن نكون كما نريد، وحيث سنمتلك الحق الكامل في القرار.

**أرييل إيفتين**

**التيار الاشتراكي المناضل، الفرع الأرجنتيني للتيار الماركسي الأممي**

**01 يناير 2021**

## حول مفهوم الحزب الثوري

لقد كان تاريخ البشر دائماً، منذ انقسام المجتمع إلى طبقات، هو تاريخ انتفاضات جماهيرية ومحاولات تحرر جماعية. تاريخ الرأسمالية نفسه هو سلسلة كاملة من التشنجات الاجتماعية والثورات التي فشل أغلبها في تغيير المجتمع. لكن هناك بعض النماذج المضيئة والبطولية مثل الثورة الروسية في أكتوبر 1917، التي أثبتت -وهي كانت واحدة في قلب حقبة ثورية- أن الطبقة العاملة قادرة على إسقاط الرأسمالية والاستيلاء على السلطة السياسية.

نتيجة الأفكار التي زرعتها الطبقة الحاكمة في المجتمع حول نهاية التاريخ والقمة النهائية لتطور المجتمع البشري وما إلى ذلك من الهراء، وهذا طبيعي كل نظام اجتماعي يظن أنه نهاية التاريخ. باختصار، مهمة الحزب الثوري هو حل التناقض بين النزعات الثورية للطبقة العاملة والأفكار المحافظة والرجعية -أفكار الطبقة الحاكمة- الراسخة في المجتمع. خصوصاً في أوقات الثورة حينما تصعد الجماهير خشبة مسرح التاريخ لكنها مازالت محملة بإرث الماضي الغابر بجميع تناقضاته ومخلفاته. كم أننا نحتاج الحزب لتنظيم الصفوف والقوي الطبقة للعمال، كما قال ماركس «الطبقة العاملة بدون حزب هي مادة خام للاستغلال»، الحزب الثوري هو تلك المنظمة التي تحتوي على دروس الطبقة العاملة المحلية والعالمية وتضم أفضل عناصر وجنرالات الثورة والعمال.

### أي حزب نريد؟

تاريخ الماركسية ملئ بالنقاشات وأحياناً المعارك حول، أي حزب على الماركسيين أن يبنوا؟ وما طبيعة أعضائه وقياداته؟ ومن أهم الدروس التاريخية هو تاريخ بناء الحزب البلشفي، ونضال لينين ضد الاقتصادية والصيغة الفضفاضة الخاصة بـ مارتوف والمناشفة. كان هناك تيار ومازال ينادي بأن العمال لا يهتمون إلا بالقضايا المعيشية أو الخبزية، يصرخون بأن العمال لا يهتمون بالقضايا السياسية والنظرية، وينصحون بأنه إن كنا نريد كسب تأييد العمال فعلينا أن لا يتعدى حديثنا مسائل زيادة الأجور وشروط العمل... الخ، أما الحديث عن الاشتراكية والماركسية والعمل المأجور والدولة الرأسمالية.. الخ، فهذا سينفر منا العمال.

في هذه المزاعم تحقير مزدوج، فهي تحقير للعمال بوصفهم أنهم لن يفهموا المسائل النظرية، وهو أيضاً تحقير للنظرية الماركسية بكونها لا تلي تطلعات العمال ولا تجيب على أسئلتهم. بالتالي نحن ندافع عن شكل مختلف تماماً من التنظيم الحزبي، تنظيم حزبي نابع من أهدافنا، فليس هدفنا النهائي هو رفع الأجور أو تقليص الضرائب على العمال والفقراء، رغم أهمية هذه المطالب ودعمنا لها والنضال من أجل انتزاعها، ولكن هدفنا الأسمى هو إسقاط الرأسمالية، إلغاء عبودية العمل المأجور، إلغاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. لذلك فطبيعة الحزب الثوري مختلفة عن العمل النقابي التقليدي.

الفارق الجوهرى بين الثورة الروسية في أكتوبر 1917 والثورة الألمانية التي قامت بعدها بعام واحد فقط في عام 1918، هو الحزب الثوري والقيادة الثورية الجاهزة في روسيا إبان الثورة. الثورتين كانتا عمليتين، بل إن الطبقة العاملة الألمانية أكثر قوة كماً وكيفاً من الطبقة العاملة الروسية خصوصاً في حينها، الثورتين انتجتا مجالس عمالية، وانتجتا وضع «ازدواجية سلطة»، كان الفارق أن في روسيا كان هناك الحزب البلشفي، حزب ماركسي ثوري له علاقات وثيقة بالطبقة العاملة، حزب كان يتميز بالوضوح والحزم النظري والبوصلة السياسية الثورية والصحيحة التي تهدف لإسقاط النظام الرأسمالي وليس عقد تحالفات مع البرجوازية.

اليوم بعد أن شهدنا كثيراً من الثورات المهزومة، خصوصاً في منطقتنا، ونحن نشهد بداية صعود ثوري جديد على الصعيد الإقليمي والعالمي، هناك حاجة ماسة لأن نتعلم أحد أهم دروس الثورات التاريخية والمعاصرة، هو أن ثورة بلا قيادة ستؤول السلطة في النهاية لأعداء العمال والفقراء.

### لماذا نحتاج إلى حزب؟

نحن، الماركسيون، نعتقد اعتقاداً تاماً أن تحرر الطبقة العاملة هو بيد الطبقة العاملة نفسها، وأن الطبقة العاملة ذات غريزة اشتراكية وثورية، لكنها في نفس الوقت ندرك أن الأفكار السائدة في المجتمع هي أفكار الطبقة السائدة والحاكمة، هذا هو التناقض الذي من المنوط بالحزب الثوري حله.

الطبقة العاملة ليست جسم صامت ومتناسق، الطبقة العاملة تحمل خليط من الأفكار بعضها ثوري وتقدمي وبعضها الآخر محافظ ورجعي. هناك قسم من العمال -أقلية- يؤيدون الرأسمالية وتقسيم المجتمع إلى طبقات والعمل المأجور، وهم غالباً البيروقراطية المنتفعة وكبار الموظفين والمدراء، وهناك قسم آخر -أقلية في الأوقات العادية والمستقرة فقط- يرفض النظام الرأسمالي ويناضل من أجل إسقاطه، وهؤلاء هم الثوريون. أما الأغلبية، لا يتبعون رؤى فكرية معينة في الأوقات العادية، فهم يرفضون جزء من أفكار الطبقة الحاكمة وممارستها مثل الظلم والقمع والإفقار لكنهم يتشبعون ويستسلمون للبعض الآخر من الأفكار. هذا الخليط داخل الطبقة

العاملة الواحدة هو المعضلة التي يتوجب على الماركسيين وحزبهم حلها. هذا بالإضافة إلى أن الطبقة العاملة المستغلة تناضل دائماً من أجل تحسين حياتها، لكنها في أغلب الأحيان تكون فاقدة للإيمان بإمكانية تغيير المجتمع،



نحن نسعى لبناء أحزاب تضم طليعة العمال والشباب الثوري، هؤلاء الذين يناضلون في الصفوف الأمامية في الإضرابات والاحتجاجات، هؤلاء الذين يبحثون عن حل ثوري لأزمة المجتمع. وهذا يحيلنا إلى نقطة الاختلاف بين لينين ومارتوف حول عضوية الحزب والذي كان فاتحة كثير من الخلافات النظرية التي أدت إلى انشقاق الحزب فيما بعد.

كان البلاشفة بقيادة لينين يناهون بأن عضو الحزب لا بد أن يكون موافقاً على برنامجه ويقدم دعمه المادي للحزب ويشارك شخصياً في عمل أحد أجهزة الحزب. أما مشروع المناشفة بقيادة مارتوف فكان يختلف عن مشروع لينين في شيء واحد فقط، في الوقت الذي كان يطالب لينين فيه أن يشارك العضو في عمل أحد أجهزة الحزب، كان مارتوف يطالب بصورة أكثر غموضاً وتراخي، كان يطالب بتعاون شخصي ومنظم تحت أجهزة الحزب. قد يكون الفارق لا يذكر، لكنه كان يمثل الفارق بين الثورية والصلابة من ناحية والإصلاحية والتراخي والانتهازية من ناحية أخرى، كان يمثل الفارق بين الانتصار والهزيمة.

لينين أراد تحقيق وحدة ومركزة حزبية قصوى عبر إلزام الأعضاء بحضور الاجتماعات الحزبية رغم روتينيتها في أوقات ما قبل الثورة وبيروقراطيتها في أوقات العمل الثوري. اليوم يجب أن نتمسك بهذه الركيزة، ركيزة أن يكون أعضاء الحزب أشخاصاً طلائعيين وفاعلين عن طريق ديمومة الاجتماعات

**نحن نسعى لبناء أحزاب تضم طليعة العمال والشباب الثوري، هؤلاء الذين يناضلون في الصفوف الأمامية في الإضرابات والاحتجاجات، هؤلاء الذين يبحثون عن حل ثوري لأزمة المجتمع. وهذا يحيلنا إلى نقطة الاختلاف بين لينين ومارتوف حول عضوية الحزب والذي كان فاتحة كثير من الخلافات النظرية التي أدت إلى انشقاق الحزب فيما بعد.**

الحزبية إذا كنا نسعى لبناء تنظيم ثوري يمثل نواة المجتمع الجديد داخل المجتمع الرأسمالي.

على الجانب الآخر، يجب أن يبذل الحزب الثوري قصارى جهده لكي لا يقع في خطر الاستبدالية والنخبوية. صحيح أن الوعي داخل الطبقة العاملة متفاوت، وصحيح أن الحزب الثوري يسعى لكسب طليعة العمال والجماهير لصفوفه، العناصر الأكثر شجاعة وكفاحية والأشد تصميمياً على الانتصار ووعياً لمهمتهم الطبقية، لكن في نفس الوقت الحزب الثوري يسعى لكسب تأييد الطبقة العاملة، وإقناع أكبر عدد ممكن من العمال بأن الطريق الثوري هو الحل. فكما قلت في البداية نحن ندرك أن التحرر الحقيقي والتام للطبقة العاملة هو بيد الطبقة العاملة، لذا لا يمكن أن يكون الحزب هو كل الطبقة العاملة. مهمة الحزب الذي يضم طلائع العمال والجماهير هو إرشاد بقيتهم الذين مازالوا يحملون أرث الماضي طريق الانتصار.

لذا لا يجب أن يتوهم الحزب الثوري أنه قادر على إنجاز مهمة التغيير الثوري للمجتمع بدون تأييد والاشتباك النشط والواعي للطبقة العاملة. الحزب هو أحد مصادر الطبقة العاملة للتعليم بوصفه ذاكرتها، إلا أنه في نفس الوقت يتعلم منها ليؤكد صحة نظريته وتكتيكاته أو يعدلها.

وهناك أمثلة كثيرة عن خطر الاستبدالية ومآلاتها، برغم ثورية ونقاء وإخلاص الأشخاص الذين وقعوا في هذا الخطأ. انتهى بهم المطاف إما بالانعزال عن الجماهير والعصبوية المدمرة، وإما في حالة النجاح والاستيلاء على السلطة، يتحول هؤلاء في أحسن الأحوال لمسخ بيروقراطي في أعلى هرم السلطة.

مسألة أخرى مهمة يجب أن يوليها الحزب الثوري أهمية قصوى، وهي مسألة الحزم النظري. النظرية هي أساس التنظيم الحزبي، هي التي تجعل من الممكن قيام تنظيم حزبي من الأساس، وأي تطور لاحق ستكون النظرية هي أساسه لامحالة وإلا لن يحدث. كما أنه في معرض اشتباك الحزب مع الجماهير هو معرض دائماً للضغط وخطر التنازل أو التأثر بالأفكار السائدة والمحافظة، الضمانة لعدم تذييل العمال والجماهير هو التكوين النظري الصلب والحزم النظري داخل التنظيم الحزبي.

أخيراً، كما قال الماركسي البريطاني تيد غرانت، يجب أن يتحلى الحزب بروح النسبية، أن يعلم ويحدد جيداً أين هو، وما هي قواه، وما هي إمكانياته وإمكانات أعضائه، وما هو مدى تأثيره ونفوذه في الطبقة العاملة والمجتمع، ليستطيع أن يحدد التكتيكات المناسبة، لكي لا يقع في فخ اليسارية المتطرفة أو الاحساس المبالغ فيه بالأهمية، فينتهي به الحال بتكتيكات وخطابات طفولية تؤدي حتماً للانعزال والتحطم.

لأن يهول الحزب من قدراته فيتحول لمجموعة من المراهقين الثوريين الذين يريدون الاستيلاء على السلطة وهم لا يتعدون بضعة عشرات، ولا أن يهون من قدراته فتبلع أعضائه البيروقراطية ويتجاوزهم الزمن ويتحولوا إلى نادي من القراء المطلعين، وما أكثرهم هذه الأيام. على التنظيم الحزبي أن يحدد لنفسه دائماً أهداف طموحة ويسعى لتحقيقها، ولكنها متناسبة مع قدراته الكمية والكيفية والظرف الموضوعي.

## الحزب والإصلاحات

هذا التصور عن الحزب يعطي أحياناً انطباع خاطئ أن الحزب الماركسي هو حزب دغمائي، يرفع دائماً وأبداً شعار الاستيلاء على السلطة، ولا يهتم بالتضالعات المطالبية والنقابية، هذا تصور خاطئ تماماً عن الماركسيين وحزبهم، نحن ندعم كل المكاسب الممكنة انتزاعها، نحن لسنا طفوليين أو دغمائيين، ونعرف أن الثورة هي استثناء التاريخ وليس قاعدته.

الحزب الثوري يناضل من أجل الإصلاحات ومن أجل انتزاع كل المكاسب الممكنة مع العمال والجماهير، مثل رفع الأجور أو مطالبة بدعم أو تقليل البطالة أو حملة للإفراج عن المعتقلين... الخ نحن ندعم أن تنتزع الجماهير كل تلك المكاسب من النظام وندفع من أجل انتزاعها إن أمكنتنا قوانا، وهذا من بين الاختلافات النظرية بين الماركسيين واللاسلطويين.

ولكننا أيضاً نختلف عن الإصلاحيين في أننا لا نرى تلك الإصلاحات هي النهاية أو الهدف في ذاتها، وإنما نرى في النضال من أجل انتزاع تلك الإصلاحات أفضل مدرسة نضال للعمال والجماهير، يستطيعون أن يتعلموا من خلالها الكثير عن المجتمع وطريقة سيره وعن الدولة ومن تحمي ومن تقمع. كما أننا في معرض اشتباكنا ونضالنا الدائم مع العمال والجماهير من أجل انتزاع الإصلاحات نربط دائماً بينها وبين هدفنا النهائي، وهو إسقاط النظام الرأسمالي، نستغل كل حدث وكل احتجاج من أجل انتزاع إصلاحات ومن أجل الدعاية المضادة للرأسمالية.

**الحزب الثوري يناضل من أجل الإصلاحات ومن أجل انتزاع كل المكاسب الممكنة مع العمال والجماهير، مثل رفع الأجور أو مطالبة بدعم أو تقليل البطالة أو حملة للإفراج عن المعتقلين... الخ**

## آلية عمل الحزب الثوري

لنتحدث الآن عن كيف يسير الحزب عمله؟ ما هي آلية اتخاذ القرارات وانتخاب القادة وآلية المحاسبة وضمان عدم انحراف القادة.

أحد أهم المفاهيم الماركسية في التنظيم هو مفهوم «المركزية الديمقراطية»، بمعنى أكبر قدر من النقاش والسجال وتصارع الأفكار والرؤى قبل اتخاذ القرار مع أكبر قدر من الفاعلية والوحدة والانضباط بعد اتخاذ القرار. والعلاقة بين المركزية والديمقراطية في الحزب الثوري هي علاقة جدلية وليست ثابتة.

نحن لسنا طفوليين ونذكر أنه في ظروف معينة لا وقت للنقاش والاجتماع مثل الهجمات الأمنية أو أن تباغتتنا الحركة، حينها يجب أن تترجح كفة المركزية لضمان أكبر قدر من الوحدة الممكنة، ثم بعدها يأتي وقت تقييم ومحاسبة القادة، وهنا يأتي مبدأ مهم هو حق الانتخاب والعزل للمسؤولين في الخلايا الثورية داخل التنظيم أو الحزب، أن يخضع كل مسؤول تنظيمي للرقابة والمحاسبة.

في المؤتمر الحزبي على سبيل المثال تترجح كفة الديمقراطية بشكل كامل، فيحدث أكبر قدر من النقاش ليتحدد الخط السياسي للحزب، لكن بمجرد التصويت واتخاذ القرارات ديمقراطياً، ويجب أن نأتي لحظة ونضطر لوقف النقاش ولننهي المسائل بالتصويت لكي لا يتحول الحزب لساحة استعراض اللغة والخطابة ويبدأ العمل، حينها يجب أن يخضع الجميع لقرار الأغلبية، التي ستتخذ قيادة تؤيد الخط السياسي والاستراتيجية المتفق عليهم وتضع مهام وتكتيكات لتدفع باتجاهه، مع الحفاظ على حق الأقلية في التعبير عن وجهات نظرها داخلياً وفي الاجتماعات الحزبية، لأن القيادة السياسية والثورية سلطتها الأساسية هي معنوية وليست سلطة بيروقراطية أو مكتنية، سلطتها الأساسية تتبع من صحة وجهات نظرها السياسية وصحة تكتيكاتها

وليست من تحكمها في آلة الحزب.

المركزية الديمقراطية بجانب دورية الاجتماع والنقاش هو الضمانة لخط سياسي سليم، وخط دفاع أساسي ضد الانحرافات داخل الحزب سواء في القيادات أو القواعد.

## خاتمة

نحن نعيش في فترة زمنية شديدة الاضطراب، أزمة اقتصادية واجتماعية طاحنة. وسنشهد مزيد من الانتفاضات والثورات الجماهيرية في أنحاء مختلفة من العالم، لم تعد أي بقعة في العالم في مأمن من احتدام الصراع الطبقي. الرأسمالية وصلت إلى طريق مسدود وكل الشروط الموضوعية أصبحت ناضجة على المستوى العالمي بما فيه الكفاية لتغيير المجتمع العالمي، ما ينقص هو العامل الذاتي، الحزب الثوري والقيادة الثورية. كما قال ليون تروتسكي «الأزمة التاريخية التي تعانيها الانسانية تتلخص في أزمة القيادة الثورية». هذه هي المهمة الوحيدة التي تستحق أن يفني فيها المرء حياته، هي أشرف وأهم مهمة على الماركسي الواعي أن يظطلع بها.

ابنوا الخلايا والتنظيمات الثورية في كل مكان  
من أجل بناء تنظيمات وأحزاب ماركسية ثورية  
تسقط حكومات رجال الأعمال  
تسقط قوات قمع الجماهير (الشرطة والجيش)  
لا حل سوى انتصار الثورة الاشتراكية بحكومة عمالية



# الخلاف بين غرامشي وبورديجا

خلال الأيام الأولى للحزب الشيوعي وموضوعات ليون



وفيما يتعلق بالمنظورات السياسية، فقد رأى الحزب الشيوعي الإيطالي في الأفق انفتاح مرحلة اشتراكية ديمقراطية في إيطاليا. اعتقدوا أن الحزب الاشتراكي الديمقراطي سيجمع كل الأحزاب الأخرى في حكومة وحدة وطنية. وقد اتفقت الغالبية العظمى من قيادة الحزب على هذا المنظور. انظروا إلى هذه الكلمات التي كتبها غرامشي:

«ستحدث نفس السيرورة في إيطاليا كما في بقية البلدان الرأسمالية الأخرى. حيث سيتشكل ضد تقدم الطبقة العاملة تحالف بين جميع العناصر الرجعية من الفاشيين إلى الحزب الشعبي والاشتراكيين، بل إن الاشتراكيين سيصبحون في الواقع طليعة الردة الرجعية المعادية للبروليتاريا لأنهم يعرفون بشكل أفضل نقاط ضعف الطبقة العاملة» .

يجب الاعتراف، كما فعل تروتسكي لاحقاً، بأن غرامشي كان الوحيد الذي لم يستبعد إمكانية انتصار الفاشية في إيطاليا. لكن تكتيكات الحزب الشيوعي الإيطالي، في 1921-1922، كانت توجهها مواقف خاطئة وعصبوية. كان الاعتقاد بأن الاشتراكية الديمقراطية والفاشية ستعقدان صفقة وتصبحان جزءاً من المعسكر نفسه، يجعل من الواضح أن تكتيك الجبهة الموحدة ضد الفاشية عديم الجدوى؛ وكان من الطبيعي أن يتم رفضه حتى من طرف أولئك الذين، على عكس بورديجا، لم يعتبروا القطيعة مع الاشتراكية الديمقراطية مسألة مبدأً. لقد انتقد الكومنترن، بمبادرة تروتسكي، هذه الأطروحات بشدة. انظروا هذه الرسالة من هيئة الرئاسة إلى الحزب الشيوعي الإيطالي:

«نحن ندعو الحزب الشيوعي للنضال من أجل حل مجلس النواب من أجل تنصيب حكومة عمالية. على الشيوعيين من خلال طرحهم لبرنامج الحد الأدنى للمطالب التي يجب على حكومة العمال أن تلبّيها، أن يعلنوا استعدادهم لتشكيل كتلة مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي ودعمه، بقدر ما يدافع عن مصالح الطبقة العاملة. إذا قبلت قيادة الحزب الاشتراكي ذلك، ستبدأ النضالات التي ستنقل من مجال العمل البرلماني إلى مجالات أخرى. وبهذا نجيب على الاعتراض بأن شعار الحكومة العمالية لا يعني أكثر من تحالف برلماني. لكن إذا رفض الحزب الاشتراكي اقتراحنا، ستقتنع الجماهير بأننا أظهرنا لهم طريقاً مملوساً إلى الأمام، في حين أن الحزب الاشتراكي لا يعرف ماذا يفعل» .

يشرح هذا المقال الخلافات والأخطاء السياسية التي شابت السنوات الأولى للحزب الشيوعي الإيطالي. كان مؤتمر ليون، عام 1926، تنويجاً للطبيعة المتناقضة للحزب الشيوعي الإيطالي - التي تفاقمت بسبب الانحطاط البيروقراطي للأمية الثالثة - مما ساهم بشكل مأساوي في هزيمة الشيوعيين الإيطاليين، إلى جانب بقية الحركة العمالية، على أيدي الفاشية.

كانت السنوات الأولى للحزب الشيوعي الإيطالي، الذي نشأ عن انقسام الحزب الاشتراكي الإيطالي، في ليفورنو عام 1921، (بعد أن لعبت قيادة الحزب الاشتراكي، قبل ذلك ببضعة أشهر، دوراً خيالياً خلال نضالات احتلال المصانع)، صعبة جداً. كان على هذا الحزب الشاب وعديم الخبرة أن يواجه تحديات لم يسبق لها مثيل بالنسبة للحركة الشيوعية: كيفية محاربة الفاشية - التي كانت ظاهرة رجعية غير مألوفاً - وكيفية التعامل مع الأممية الشيوعية (التي تم تحديد توجهها الاستراتيجي والتكتيكي خلال المؤتمرين الثالث والرابع، والذي لم يكن الحزب الشاب يتفق معه) التي تعرضت بعد ذلك بوقت قصير لنفس سيرورة الانحطاط البيروقراطي التي كان يعرفها الحزب الرائد داخل الأممية، أي الحزب الشيوعي الروسي.

كان الحزب الذي تأسس في ليفورنو تحت هيمنة أفكار أماديو بورديجا (13 يونيو 1889 - 23 يوليو 1970) (الذي كان مؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي وزعيمه). لعب بورديجا دوراً رئيسياً في تنظيم الجناح الثوري الأكثر راديكالية داخل الحزب الاشتراكي الإيطالي، وبالتالي كان يتمتع بسلطة كبيرة داخل صفوف الحزب الجديد. لكن وعلى الرغم من أنه كان ثورياً عظيماً، فإنه تبنى مع الأسف موقفاً يسارياً متطرفاً ورفض تكتيك الجبهة الموحدة الذي نصحته به قيادة الأممية الشيوعية.

لقد كان الأكثر تصميمًا في التحضير للانفصال عن الحزب الاشتراكي الإيطالي. وقد نجح في توحيد التيار الشيوعي اليساري في ميلانو (مع قائديه الرئيسيين فورتيشياري وريوسوي، ومجموعة من الوسطيين الراديكاليين المتعلقين حول جيناري، ومجموعة النظام الجديد) حول نفسه وفصيله، ممثلاً بجريدة «السوفييت» . كان غرامشي وتيراسيني في اللجنة المركزية منذ البداية. لكن الانقسام، على الرغم من أنه ضروري، لم يحل من تلقاء نفسه مشكلة بناء قيادة ثورية في إيطاليا، إذ لم يعمل سوى على إيجاد الأساس الذي يمكن البناء عليه.

## المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الإيطالي

لم تكن النقاشات داخل الكومنترن، ولا سيما الجدال حول صحة تكتيك الجبهة الموحدة كوسيلة لكسب قواعد الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية، مجرد خلاف نظري فضفاض، بل كانت له عواقب عملية هامة للغاية، كما اتضح بشكل مأساوي في إيطاليا آنذاك.

عبر المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الإيطالي، الذي عقد في روما في مارس 1922، عن جوهر الفكر البورديجي: رفض أي شكل من أشكال التعاون مع الاشتراكية الديمقراطية ورفض تبني شعار «من أجل حكومة عمالية». لم يقبل الشيوعيون الإيطاليون بتكتيك الجبهة الموحدة إلا في مجال النضال النقابي؛ كانوا يقبلون العمل مع داراغونا (زعيم نقابة CGL) لكنهم رفضوا العمل مع توراني (زعيم الجناح اليميني داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الإيطالي).



صفوف الحزب الاشتراكي الديمقراطي كوسيلة لتوحيد كل الفئة الطليعية للطبقة العاملة حول راية الحزب الشيوعي] وتوجيه الحزب على هذا الأساس. أسفرت هذه المواجهة عن توجيه أول الإملاءات التنظيمية تجاه الحزب الشيوعي الإيطالي، من طرف زينوفيف الذي استخدم سلطته لتعيين لجنة تنفيذية جديدة ضمت ثلاثة أعضاء من الأغلبية القديمة (فورتشيارى وسكوشيامارو وتوغلياتي) واثنين من اليمين (تاسكا وفوتا). كانت تلك هي المرة الأولى التي يستخدم فيها الكومنترن سلطته لتعيين قادة فرع وطني من فوق، دون موافقة القادة المعينين أنفسهم.

وتجدون في ما يلي فكرة عن الحالة الذهنية لتلك القيادة الجديدة:

«يستند أماديو على أساس وجهة نظر أغلبية أممية، ويجب علينا أن نستند على أساس وجهة نظر أغلبية وطنية».

«ما هو الموقف الذي يجب أن نتخذه سياسياً؟ (...) إذا كان الحزب قد شفي من هذه الأزمة قبل المؤتمر الخامس، وإذا كانت لديه نواة تأسيسية ومركز يحظى بثقة الجماهير الإيطالية بفضل ممارساته وليس بفضل الوضع الأممي، ستكون عندئذ لدينا رفاهية الانتقاد. أما في الوقت الحالي فيبدو لي أنه من الأفضل لنا أن نتجنب المسألة ونعمل على كسب الوقت».

وقد كان لهذه «الانتهازية» عواقب وخيمة على الحزب الشيوعي الإيطالي.

### كونفرانس كومو

دافعت المجموعة المتحلقة حول غرامشي عن خط سياسي أكثر صحة من خط البوردغيين، لكنهم كانوا أقلية ولم يجدوا أنفسهم في قيادة الحزب إلا بسبب الظروف وإرادة موسكو. أما الكوادر الوسيطة داخل الحزب، هؤلاء الذين يقودون الفروع المحلية، فقد كانوا جميعهم تقريباً مع بورديجا. وقد جاء الدليل على ذلك في الكونفرانس، الذي عقد في كومو في يونيو 1924، وحضره أمناء الفروع المحلية، وأمناء الأقاليم وأعضاء اللجنة المركزية. كانت هناك ثلاث وثائق مطروحة للنقاش: واحدة قدمها الجناح اليميني بقيادة تاسكا، وواحدة من «الوسط» قدمها غرامشي، وثالثة من اليسار موقعة من بورديجا. حصل بورديجا على 33 صوتاً من أصل 45 أمين محلي، وأربعة من أصل خمسة أمناء أقاليم، وممثل من اتحاد الشباب وعضو واحد في اللجنة المركزية. بينما حصل تاسكا على أصوات خمسة أمناء محليين وأمين إقليمي واحد وأربعة أعضاء من اللجنة المركزية؛ أما غرامشي فقد حصل على أصوات أربعة أمناء محليين وأربعة أعضاء من اللجنة المركزية.

أدى هذا التصويت إلى نزع شرعية «الوسط» الذي كان يقود الحزب حتى ذلك الحين. لكن وحتى بعد هذه النتيجة الواضحة، لم يفكر غرامشي وفصيله في السماح بأي تحد لقيادتهم. لم يروا أنه من المستحيل قيادة حزب شيوعي لا تتفق قواعده مع خط القيادة. لكن تلك السياسة كانت في النهاية هي التي أملتتها سكرتارية الكومنترن، والتي سميت على نحو مناسب بالزینوفیوفاية [نسبة إلى زینوفیوف]، أي سياسة حل المسائل السياسية بالأساليب التنظيمية. كان لذلك أن يؤدي على المدى البعيد إلى تهديد الطريق لنمو البروقراطية داخل الحزب.

تدخلت موسكو بشكل مباشر لإعادة تنظيم الحزب: فبعد المؤتمر الخامس للكومنترن تم توسيع اللجنة المركزية لتشمل 17 عضواً: تسعة من الوسط وأربعة من اليمين وأربعة من جناح «تيرزيني» (أعضاء أميين من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الإيطالي انضموا إلى الحزب الشيوعي الإيطالي). تألفت اللجنة التنفيذية من خمسة أعضاء، حيث كانت للوسط -غرامشي وتوغلياتي وسكوشيامارو- الأغلبية. وهكذا تم استبعاد اليسار كلياً من الهيئات القيادية والتنفيذية للحزب.

في مؤتمر روما كانت الأصوات المعارضة لا تمثل سوى أقلية يمكن التعرف عليها بسهولة في «يمين» الحزب المتحلق حول تاسكا، الذي حافظ على تصور واضح المعالم طوال الفترة التي سبقت مؤتمر ليون. كانت المجموعة المتحلقة حول جريدة «النظام الجديد» تتفق مع المواقف التي وضعها بورديجا ورفاقه. لقد عبرت تلك المواقف عن الشعور السائد بين صفوف قواعد الحزب بضرورة القطيعة الجذرية ليس فقط مع المواقف المعتدلة لتوراتي (زعيم الجناح الإصلاحية الصريح داخل الحزب)، بل أيضاً مع الوسط الراديكالي بزعامة سيراتي، الذي أثبت أنه غير قادر على قيادة الطبقة العاملة وبالتالي مهد الطريق للفاشية. كانت لهذه النزعة العصبوية العديد من الأفكار الصحيحة: مهمة القيادة الشيوعية ينبغي أن تكون هي تثقيف قواعد الحزب للحد من تلك الدوافع والقضاء عليها في النهاية؛ لكن البوردغيون قاموا بتأجيل نيران التطرف اليساري.

لم تصمد «أطروحات روما» أمام اختبار الزمن، حيث أن وصول الفاشية إلى السلطة، بعد الزحف الفاشي على روما في أكتوبر 1922، قد بين خطأ المنظورات التي طرحها القيادة.

كان إنشاء حركة مناهضة للفاشية مثل Arditi del Popolo، التي كانت مثلاً ممتازاً عن الجبهة الموحدة المنظمة من تحت، قد بدأ بالفعل في تحديد الاختلافات الأولى بين بورديجا وغرامشي بعد ليفورنو.

كتب غرامشي:

«هل يقف الشيوعيون ضد حركة Arditi del Popolo؟ كلا، بل على العكس تماماً. إنهم يناضلون من أجل إنشاء قوة بروتيتارية مسلحة قادرة على هزيمة البرجوازية والإشراف على تطوير وتنظيم القوى المنتجة الجديدة التي خلقها الرأسمالية».

كان هذا بعيد جداً عن الموقف الرسمي الذي تبنته اللجنة التنفيذية للحزب، والذي يمكن رؤيته من خلال ما يلي:

«لا يسعنا إلا أن نشجب حقيقة أن بعض الرفاق كانوا على اتصال بأعضاء Arditi del Popolo في روما لتقديم مساعدتهم وطلب التعليمات. إذا تكرر هذا سيتم اتخاذ تدابير أشد قسوة. إن اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الإيطالي وفدرالية الشبيبة الشيوعية في إيطاليا تنبه جميع الرفاق وجميع المنظمات الشيوعية ليكونوا حذرين للغاية من أي شخص يقترح، شخصياً أو من خلال المراسلة، تأسيس وحدات لـ Arditi del Popolo أو العمل معها».

يمكننا أن نرى من خلال هذه الحادثة وحدها كل حدود طريقة تفكير بورديجا والدوغمائية، فبالنسبة له لا يمكن أن تكون هناك أي مرونة تكتيكية في طريق كسب غالبية البروليتاريا إلى البرنامج الشيوعي. كان تصلبه هذا هو السبب وراء مواقفه العصبوية ومعارضته للجبهة الموحدة في المجال السياسي. وعلاوة على ذلك فإن بورديجا، لم يكن يرى أي اختلافات جوهرية بين الديمقراطية البرجوازية وبين الديكتاتورية البونابرتية أو الفاشية، حيث أن كلاهما شكلان من أشكال هيمنة رأس المال.

كان بورديجا يعتقد أن طليعة البروليتاريا ستقتنع من تلقاء نفسها بصحة أفكار الشيوعيين، وعندها ستندمج إلى الحزب، وأنه يكفي الانتظار وتثقيف الكوادر اللازمة لكي يكون الحزب مستعداً عندما تندلع الثورة. لكن هذا النوع من الانتظار المسياني لا علاقة له بالماركسية.

### اندلاع المواجهة

كانت مسألة الجبهة الموحدة على وجه التحديد هي النقطة الأولى التي فجرت الاختلافات بين غرامشي وبورديجا. كان المؤتمر الرابع للكومنترن قد عرض بالفعل خط الحزب الشيوعي الإيطالي لانتقادات شديدة، وطالب القيادة الإيطالية بقبول خط المؤتمر [أي تبني تكتيك الجبهة الموحدة الذي يستهدف

يمكننا القول إن تشكيل القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الإيطالي قد تم من خلال سلسلة من المناورات التنظيمية القسرية، والتي أثرت بشكل كبير على مستقبل الحزب.

ردت المعارضة المتحلقة حول بورديغا بتنظيم نفسها بشكل أكثر فأكثر صراحة. وفي أبريل 1925 أنشأوا «لجنة الوفاق» (Comitato d'Intesa) لتجميع كل عناصر اليسار. لكن القيادة عملت، في نوبة من الغضب، على إقالة جميع أعضاء الوفاق من كل المناصب القيادية التي شغلوها. تمت إقالة فورتيجياري، على سبيل المثال، من منصب السكرتير المحلي في ميلانو.

الخلافات بين القيادة وبين اليسار امتدت عمليا إلى جميع جوانب السياسة الإيطالية والأممية، بما في ذلك الموقف من الصراع الذي كان يدور في الاتحاد السوفياتي بعد وفاة لينين.

وبالفعل ففي مؤتمر كومو حاول غرامشي أن يربط بين معارضة بورديغا وبين موقف تروتسكي. وقد أصبحت موافقتهما أكثر تباينا عندما دافع بورديغا علانية عن مؤسس الجيش الأحمر في مقال بعنوان «مسألة تروتسكي»، وهو مقال كتب في فبراير 1925، تم حظره لعدة أشهر من قبل القيادة، قبل أن ينشر أخيرا في يوليو، في ذروة الحملة ضد اليسار.

وفي حين أن غرامشي لم يكن يهتم بالقضايا الأممية إلا لاستخدامها في الصراع الداخلي بين الفصائل داخل الحزب الإيطالي، فإن بورديغا كان من بين أوائل القادة الشيوعيين خارج الاتحاد السوفياتي الذين أدركوا خطر انحطاط الثورة الروسية ووضع نفسه بحزم ضده.

لقد أدرك بورديغا أن الهجوم الذي شنته البيروقراطية السوفياتية الناشئة على تروتسكي لم يكن سوى أوضح أعراض انحطاط الاتحاد السوفياتي، والذي بدأ بالفعل في إصابة الأممية أيضا.

وحول هذه المسألة، التي كانت المسألة الأكثر أهمية بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية في ذلك الوقت، خاض تروتسكي وبورديغا معا معركة داخل الأممية والتقى عدة مرات في سنوات 1924-1926.

لكن ذلك النضال المشترك لم يتطور إلى تحالف سياسي مستقر، لأنه كانت هناك العديد من نقاط الاختلاف بين البلاشفة اللينينيين (أنصار تروتسكي) وبين اليسارية المتطرفة العقائدية للبورديغيين.

## اغتيال ماتيوتي

تعرض جياكومو ماتيوتي للاغتيال أثناء المؤتمر الخامس للكونغرس. كان ماتيوتي عضوا في البرلمان عن الحزب الاشتراكي الموحد، حزب الإصلاحيين بقيادة توراني الذي طرد من الحزب الاشتراكي الإيطالي، في أكتوبر 1922، بسبب كسره للحظر المفروض على إقامة تحالفات مع الأحزاب البرجوازية. لقد دفع ثمن إدانته لاستخدام الفاشيين للتزوير والترهيب خلال انتخابات أبريل 1924 في خطاب ألقاه في البرلمان، فقتل على يد عصابة من الفاشيين.

أدى ذلك إلى اندلاع غضب شعبي كبير، مما أدى إلى فترة أزمة للنظام الفاشي استمرت بضعة أشهر. وفي 14 يونيو 1924 قرر نواب أحزاب المعارضة مقاطعة البرلمان وشكلوا «لجنة المعارضة». أصبح ذلك الانسحاب معروفا باسم «انسحاب أفنتين»، والذي سمي على اسم التل الذي يُعتقد أن العوام، في عصر الإمبراطورية الرومانية، قد أطلقوا منه حركة انفصاهم عن الأرستقراطيين.

انضم الحزب الشيوعي في البداية إلى هذه الكتلة المكونة من جميع الأحزاب البرجوازية المعارضة (باستثناء اليمين بقيادة أورلاندو وسالاندرنا وجيوليتي) بالإضافة إلى الماكسيماليين والإصلاحيين.

كانت لجنة المعارضة حركة ديمقراطية وقانونية. لقد رفضوا مطلب الشيوعيين بتنظيم إضراب عام، إذ كانوا يعتقدون أن مهمة عزل موسوليني من

منصبه تعود إلى الملك وجهاز القضاء. فغادرت المجموعة الشيوعية اللجنة، وعندما أعلنت نقابة CGL، في 27 يونيو 1924، توقفها عن العمل لمدة 10 دقائق احتجاجا، كان الشيوعيون هم الوحيدون الذين دعوا إلى تحويل الخطوة إلى إضراب عام ليوم واحد.

لكن الحزب الشيوعي تبنى بعد مغادرته لكتلة أفنتين موقفا غير واضح برفعه لشعار: «تسقط حكومة القتلة!»، والذي افتقر إلى الوضوح فيما يتعلق بما الذي سيحل محل الحكومة الفاشية، وبالتالي ترك الباب مفتوحا للتعاون مع المعارضة [البرجوازية].

طور بورديغا موقفا نقديا صحيحا جزئيا، وهو أنه على الشيوعيين إما أن يكونوا جزءا من لجنة المعارضة أو أن يناضلوا ضدها. إلا أنه لم يربط الخيار الثاني بأي اقتراح موجه إلى الماكسيماليين والإصلاحيين الذين أظهرت الانتخابات، التي جرت قبل بضعة أشهر، أنهم كانوا ما يزالون يمتلكون قاعدة مهمة داخل الطبقة العاملة.

في انتخابات 06 أبريل 1924 حصل الحزب الاشتراكي الموحد على 415.000 صوتا، والماكسيماليون على 341.000 والشيوعيون على 268.000. كانت تلك نتيجة مرضية للشيوعيين، حيث حصلوا على 19 مقعدا في البرلمان.

في 15 أكتوبر، أطلقت اللجنة المركزية شعار «مناهضة البرلمان»، أي تحويل المعارضة الأفنتينية إلى مجلس برلماني لقوى المعارضة:

«يعتقد الحزب الشيوعي أن تجميع كل الكتل البرلمانية المعارضة في مجلس ينعقد على أساس اللوائح البرلمانية، كبرلمان معارض للبرلمان الفاشي، سيكون له معنى مختلف تماما، لأنه سيطيبل أمد الأزمة وسوف يعيد تعبئة الجماهير، التي هي الشرط الأساسي لمحاربة الفاشية بشكل فعال. وبالتالي فإنه يدعو قوى المعارضة لعقد هذا التجمع».

تم رفض الاقتراح، بطبيعة الحال، من جميع الأحزاب الأخرى. كان الشعار الذي أطلقه الحزب الشيوعي يحاول تجاوز سلبية المعارضة الأفنتينية، لكنه كان يحاول القيام بذلك بصيغة فتحت الباب للتعاون بين أحزاب تمثل طبقات مختلفة (بما في ذلك الجمهوريون والليبراليون، إلخ). هذه السياسة حتى لو نجحت ما كانت لتطعم أوهام الجماهير في الديمقراطية البرجوازية، ولا أن تخلص العمال في الحزبين الاشتراكي والاشتراكي الموحد من قادتهم الإصلاحيين. وبينما كان يسار الحزب الشيوعي يعيد التأكيد على مبدأ الامتناع عن التصويت، عمل على تذكير الآخرين بأن خط الأممية الثالثة هو استغلال المنصة البرلمانية بطريقة ثورية. في النهاية قبلت القيادة ذلك، وفي 12 نوفمبر 1924 ألقى لويجي ريبوسي، أحد النواب الشيوعيين، خطابا قويا، مشيرا بإصبع الاتهام إلى الحكومة الفاشية.

لم يأت هذا القرار دون تداعيات: فقد منح الكونغرس الشيوعيين من العودة إلى البرلمان، ثم طالبهم بإرسال نائب واحد ومندوب واحد فقط إلى لجنة المعارضة. لكن هذه الأخيرة رفضت أن تستقبل حتى غرامشي! تم تطبيق تكتيكات الكونغرس المتذبذبة، التي ميزت قيادة زينو فيفي، في إيطاليا أيضا، وكانت لها نتائج مشؤومة.

لم تكن لدى الملك أية نية في التخلص من موسوليني وهكذا استنزفت تجربة أفنتين نفسها بشكل بائس. موسوليني الذي تجاوز الآن فترة الأزمة انتقل إلى الهجوم. ففي خطاب شهير في البرلمان في دجنبر 1925، أعلن مسؤوليته الكاملة عن اغتيال ماتيوتي وأصدر سلسلة من المراسيم، عُرفت فيما بعد باسم Leggi fasciissime (قوانين فاشية استثنائية)، أسفرت عن سجن المئات من أعضاء المعارضة والقضاء المبرم على الحريات المدنية، وبالتالي تأسيس نظام دكتاتوري قائم على الحزب الوحيد.

صارما للتنظيم ومحددا بشكل مسبق، وأدت بشكل موضوعي إلى إحكام قبضة الجهاز بالشكل الأكثر صرامة.

كانت أطروحات ليون تعبيرا عن التناقضات التي تواجه قيادة الحزب الشيوعي في ذلك الوقت. فقد كانت من جهة تجسيدا للنضال من أجل تطبيق قرارات المؤتمرين الثالث والرابع للكونغرسين على الوضع الإيطالي، وخاصة فيما يتعلق بالتكتيكات. وكانت من جهة أخرى تحت تأثير تداعيات المسار الجديد للأمية، خاصة من الناحية التنظيمية، ودافعت عن الأخطاء السياسية التي ارتكبت في إيطاليا منذ اغتيال ماتيوقي.

لقد تبنت الأطروحات تعاليم الثورة الروسية بشكل كامل عندما أكدت أن:

«الرأسمالية هي العنصر المهيمن في المجتمع الإيطالي، والقوة الحاسمة في تحديد تطوره. إن هذه الحقيقة الأساسية تعني أنه لا توجد إمكانية لأي ثورة في إيطاليا باستثناء الثورة الاشتراكية» .

لقد أدى هذا الموقف إلى استبعاد أي ضرورة لقيام مرحلة ديمقراطية بقيادة البرجوازية، وذلك في تعارض تام مع الخط الذي روج له تولياني منذ عام 1943 وما بعده.

وأضافت أن:

«إيطاليا تأكيداً للنظرية القائلة بأن أفضل الظروف للثورة البروليتارية لا توجد بالضرورة دائماً في تلك البلدان التي وصلت فيها الرأسمالية والتصنيع إلى أعلى مستوى من التطور، بل قد تنشأ حيث يكون نسيج الرأسمالية أقل مقاومة، بسبب ضعفه النيوي، أمام هجوم الطبقة الثورية وحلفائها» .

كما تم التأكيد بقوة على دور البروليتاريا باعتبارها قائدة الثورة الإيطالية:

«تظهر البروليتاريا على أنها العنصر الوحيد الذي يمتلك طبيعته قدرة توحيد وتنسيق المجتمع بأسره. إن برنامجها الطبقي هو «البرنامج الوحدوي» الوحيد» .

كانت أطروحات ليون هي أول وثيقة مؤتمرية للحزب الشيوعي تطرح الحاجة إلى تطبيق تكتيك الجبهة الموحدة، كما تم تطويره خلال المؤتمرين الثالث والرابع للكونغرسين:

«يرتبط تكتيك الجبهة الموحدة كنشاط سياسي (مناورة)، مصمم لفضح ما يسمى بالأحزاب والمجموعات البروليتارية والثورية التي لها قاعدة جماهيرية، ارتباطاً وثيقاً بمسألة كيفية قيادة الحزب الشيوعي للجماهير وكيف يمكنه كسب الأغلبية» .

بالإضافة إلى ذلك انتقد الحزب المخطط البوردويغي، من خلال القول بأن:

«الحزب يكافح المفهوم القائل بأنه ينبغي على المرء الامتناع عن دعم التحركات الجزئية أو المشاركة فيها لأن المشاكل التي تهم الطبقة العاملة لا يمكن حلها إلا من خلال الإطاحة بالنظام الرأسمالي وبتحرك عام من جانب جميع القوى المناهضة للرأسمالية» .

لكن، وفي الوقت نفسه، لم تؤد هذه التحاليل النظرية الصحيحة إلى طرح شعارات فعالة بنفس القدر، حيث تم طرح مطالب مثل «الجمعية الجمهورية على أساس لجان العمال والفلاحين» التي تم اعتبارها «صيغة تركيبية لكل نشاط الحزب، هدفها إنشاء جبهة موحدة منظمة للطبقة العاملة» .

وقد انتقد تروتسكي هذا الشعار سواء في مراسلاته مع المجموعة البوردويغية Prometeo ، أو مع تريسو وليونيتي ورافازولي، وهم القادة الشيوعيون الثلاثة الذين انضموا لاحقاً إلى تروتسكي والمعارضة اليسارية الأممية.

في الوقت الذي كان فيه موسوليني يشدد قبضته الشمولية، انعقد المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الإيطالي، في ليون خلال الفترة من 21 إلى 26 يناير 1926. كانت قد مرت أربع سنوات على مؤتمر روما، وكانت جميع التغييرات التي تم إجراؤها داخل الحزب في ذلك الوقت قد ظهرت بكامل الوضوح.

يمكن ملاحظة ذلك أولاً في طريقة تسيير المؤتمر وطريقة التصويت المعتمدة. كانت هناك وثيقتان للمناقشة: واحدة من الوسط (والتي أصبحت تُعرف باسم «أطروحات ليون») والأخرى من اليسار البوردويغي.

حصلت وثيقة الوسط، التي صاغها غرامشي، على أكثر من 90 % من الأصوات، بينما حصل اليسار على 9.2 % فقط. وهكذا يبدو أن غرامشي قد قلب موازين القوى بشكل كامل منذ كونفرانس كومو الاستثنائي. لكن هذا صحيح جزئياً فقط، نظراً لأنه تم عد الأصوات في الفروع المحلية بطريقة «غريبة» جداً، حيث تم اعتبار جميع الأعضاء الذين لم يصوتوا لليسار على أنهم صوتوا تلقائياً لصالح الوسط.

كما أنه كان على الرفاق الذين لم يتمكنوا من الحضور إلى المؤتمر وأرادوا التصويت لصالح بوردويغا، أن يقوموا بذلك عن طريق التصويت بالبريد (الشيء الذي لم يكن معروفاً في إيطاليا في ذلك الوقت)، وإلا فسيتم اعتبارهم من أنصار الوسط. تم تصميم هذه القاعدة لتمكين لجنة الحزب التنفيذية من الفوز بأغلبية واسعة وإتمام عملية ما يسمى بـ«بلشفة» الحزب، وهو الشعار الذي اختتم به المؤتمر الخامس للكونغرسين أشغاله.

غير أن هذا «البلشفة» لم تكن قائمة على تكوين الكوادر سياسياً على قاعدة الدروس المستفادة من تاريخ الحزب البلشفي تحت قيادة لينين، وإنما من فرض التجانس في الممارسة والمواقف السياسية بشكل قسري على أساس إملاءات الأممية الشيوعية التي كانت تسير في اتجاه الانحطاط البيروقراطي.

كتب تروتسكي في كتابه الأممية الثالثة بعد لينين، قائلاً:

«اتخذت سياسة «البلشفة» التي بدأت عام 1924 طابعاً كاريكاتورياً بالكامل. تم إشهار مسدس في معابد الأجهزة القيادية للأحزاب الشيوعية مع أمر بتبني موقف نهائي من الخلافات الداخلية للحزب الشيوعي السوفييتي على الفور ودون أي معلومات أو أي نقاش؛ وإلى جانب ذلك كانوا مدركين مسبقاً أن إمكانية بقائهم في الكونغرسين من عدمها رهينة بالموقف الذي يتخذونه» .

وفي ليون تم حظر الفصائل بشكل صريح:

«إن مركزية الحزب وتماسكه تتطلبان عدم وجود أي مجموعات منظمة داخله تأخذ طابع فصائل. [...] إن وجود الفصائل والصراع بينها يتعارضان في الواقع مع جوهر الحزب البروليتاري، لأنهما يكسران وحدته ويفتحان طريقاً لدخول تأثير الطبقات الأخرى» .

أضافت الأطروحات أن التيارات ممكنة، لكن ليس من الصعب إيجاد التشابه بين هذه الكلمات وبين تلك التي استخدمها ستالين فيما يتعلق بالمعارضة اليسارية داخل الحزب الشيوعي السوفييتي. كانت هذه الكلمات في سياق الصراع بين الفصائل داخل الحزب الشيوعي الإيطالي بمثابة تهديد من قبل الأغلبية بالطرده (وهو الشيء الذي تم تطبيقه لاحقاً بالفعل). وقد تم توضيح هذا التهديد من خلال القول بأن: «النزعة اليسارية المتطرفة [...] يجب محاربتها على هذا النحو، ليس فقط من خلال الدعاية، بل ومن خلال العمل السياسي، ومن خلال التدابير التنظيمية إذا لزم الأمر» .

كما أن الوثيقة عارضت المنظمات المحلية القائمة على أساس أماكن الإنتاج (خلايا المصنع) بالفروع الإقليمية، التي فرضتها عملية البلشفة، والتي لم تكن لها في الواقع أية علاقة بالنهج البلشفي الحقيقي، حيث أنها فرضت نموذجاً



# روزا لوكسمبورغ

## مناضلة ثورية حقيقية



إحتفاء بالذكرى 150 لميلاد روزا لوكسمبورغ، نشر هذا المقال الذي كتب تخليدا للذكرى المئوية لاغتيالها، وهو ما كان بمثابة قطع لرأس الثورة الألمانية. ومن خلال هذا المقال للرفيقة بياتريس بالميري، نعمل على تذكير حياة هذه المناضلة الثورية ونضالها وأفكارها.

قلة هي الشخصيات التاريخية التي تعرضت لذلك القدر من سوء الفهم والتحريف الذي تعرضت له روزا لوكسمبورغ، الزعيمة الماركسية الثورية، البولندية المولدة، التي قُتلت مع رفيقها كارل ليبكنخت، على يد قوات الدولة الألمانية قبل مائة عام، في الخامس عشر من يناير عام 1919.

بحلول الذكرى المئوية لاغتيالها، حان الوقت لوضع الأمور في نصابها الصحيح بخصوص "روزا الحمراء" وحياتها وأفكارها. والأهم من ذلك هو أنه من الضروري أن نتعلم دروس الثورة الألمانية، حتى لا تذهب تضحيات لوكسمبورغ ورفاقها سدى.

كتب تروتسكي:

«بالحديث عن ذلك، أليس إركولي (Ercoli) [الاسم المستعار لتولياني في الكومنترن] هو الذي يحاول تكييف فكرة «دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية» مع السياق الإيطالي في شكل شعار جمعية تأسيسية على أساس «مجلس العمال والفلاحين»؟» .

وأضاف: «تذكرني أنني انتقدت في ذلك الوقت مطلب: «جمعية جمهورية على أساس لجان العمال والفلاحين» الذي أطلقه الحزب الشيوعي الإيطالي. تخبرني أن هذا المطلب كان ذا طابع عرضي محض، وأنه قد تم التخلي عنه حاليا. ومع ذلك أود أن أخبرك لماذا أعتبر هذا المطلب شعارا سياسيا خاطئا، أو غامضا على الأقل. إن «الجمعية الجمهورية» هي، بدون شك، هيئة للدولة البرجوازية. فما هي لجان العمال والفلاحين من ناحية أخرى؟ من الواضح أنها تعادل إلى حد ما سوفيتات العمال والفلاحين. لذلك يجب ذكر هذا بوضوح. إنها بطبيعتها كأجهزة طبقية للجماهير العمالية والفلاحية الفقيرة - بغض النظر عما إذا كنت تسميها سوفيتات أم لجان - تشكل دائما منظمات للنضال ضد الدولة البرجوازية، لتصبح بعد ذلك أجهزة للانتفاضة وتتحول في النهاية إلى أجهزة لدكتاتورية البروليتاريا. كيف يمكن في ظل هذه الظروف أن تقوم الجمعية الجمهورية - التي هي جهاز أعلى للدولة البرجوازية - على قاعدة أجهزة الدولة البروليتارية؟» .

تكمّن المأساة الرئيسية لمؤتمر ليون في تبنيه للمواقف التي تعكس السمات الأساسية للخط الذي أقرته الأممية الثالثة خلال مؤتمراتها الأربعة الأولى... لكن ذلك كان في اللحظة «الخاطئة». لو تم تبني هذا الخط السياسي في الوقت المناسب (أي في عام 1921) لكان منع صعود الفاشية إلى السلطة مسألة ممكنة، وكان سيسمح بإعادة تنظيم البروليتاريا الإيطالية. أما في عام 1926 فقد كانت اللحظة «الخاطئة» لأنها تزامنت مع الانحطاط البيروقراطي للأممية الثالثة، والذي سيترك حتما بصمته على التطور المستقبلي للحزب الشيوعي الإيطالي.

كان مؤتمر ليون، من وجهة نظر التوازن الداخلي للقوى، بمثابة هزيمة نهائية لليسار البوردغبي داخل الحزب الشيوعي الإيطالي. وقد عانى بوردغيا من نفس المصير على المستوى الأممي في فبراير 1926، عندما تمت تنحيته من اللجنة التنفيذية الموسعة للكومنترن.

في غضون ذلك، كان الحزب الشيوعي الإيطالي طوال عام 1926 يعاني من قمع واسع النطاق على يد الحكومة الفاشية مع اعتقال وسجن جزء كبير من القيادة، بمن فيهم غرامشي، الذي توفي عام 1937 دون أن يرى الحرية مرة أخرى.

أما الأفكار التي طرحها تروتسكي والمعارضة اليسارية فقد تبناها بعد بضع سنوات ثلاثة أعضاء من قيادة الحزب الشيوعي الإيطالي - تريسو ورافازولي وليونيتي -. لكن هذه النقطة سيتم تناولها في مقال آخر. يكفي أن نقول إن الأساليب البيروقراطية الزينوفيفية غير الصحية التي تم استخدامها لهزم بوردغيا، ورغم أنها كانت لفرض الموقف الصحيح للجهة الموحدة، قد مهدت الطريق للتبقرط الستاليني للحزب بقيادة توغلياني.

روبيرتو سارتي (منظمة Sinistra Classe Rivoluzione -  
الفرع الإيطالي للتيار الماركسي الأممي)

الخلاف بين غرامشي وبوديجا

## إصلاح أم ثورة

ولدت روزا لوكسمبورغ عام 1871 لعائلة يهودية بولندية، في زاموسك، في بولندا التي كانت، في ذلك الوقت، تحت سيطرة الإمبراطورية القيصرية الروسية. انخرطت في الحركة الثورية في سن السادسة عشرة، واضطرت إلى الفرار من البلاد، عام 1889، لتجنب الاعتقال بسبب نشاطها السياسي غير القانوني.

ذهبت إلى زيورخ حيث درست في الجامعة وبقيت منخرطة في الحركة الثورية الألمانية. وعملت، مع ليو جوغيشيس وماركسين آخرين، على تأسيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي لمملكة بولندا وليتوانيا.

عندما انتقلت إلى برلين، عام 1898، للمشاركة في الحركة العمالية الألمانية التي كانت في ذلك الوقت الأكثر تقدماً وثباتاً في أوروبا- وانضمت إلى الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني. وهناك دافعت باستمرار عن أن السبيل الوحيد للخروج من مأزق المجتمع الرأسمالي هو أن تأخذ الطبقة العاملة السلطة بأيديها وتنظم المجتمع بما يخدم مصالحها الطبقية.

لقد كانت منظمة ومحاضرة ماهرة، وجعلتها مواقفها الثورية تدخل في صدام حاد مع أمثال إدوارد بيرنشتاين، الذي كان في ذلك الوقت الممثل الأكثر وضوحاً وربما للتيار التحريفي (أي الإصلاحية) داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

نشر بيرنشتاين سلسلة من المقالات أكد فيها أن الرأسمالية قد تغلبت على تناقضاتها من خلال توسيع مجال الاقتراض وغيرها من الآليات الأخرى، وبالتالي فإن الأساليب التقليدية للنضال الطبقي قد أصبحت متجاوزة، ودعا الطبقة العاملة والحزب الاشتراكي الديمقراطي إلى التعاون مع أرباب العمل من أجل إصلاح النظام.

فقامت لوكسمبورغ بتحطيم تلك الأفكار في كراسها الشهير "إصلاح اجتماعي أم ثورة"، والذي ما زال تحليلاً ذا راهنية كبرى في الدفاع عن ضرورة الإطاحة الكاملة بالرأسمالية وليس إدخال التحسينات عليها.

## الإضراب الجماهيري

كان الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني يبدو لبقية بلدان أوروبا الأخرى، حيث كان الاشتراكيون الديمقراطيون يكافحون من أجل تجميع ولو نواة الحزب الثوري، يبدو وكأنه النموذج المثالي الذي يجب اتباعه. لكن محاولة بيرنشتاين لمراجعة الماركسية كانت انعكاساً لمشاكل خطيرة داخل الحزب.

تأسس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني عام 1875، في سياق طفرة هائلة للرأسمالية الألمانية بعد توحيد البلاد عام 1871. فخلال الفترة الممتدة من

سبعينيات القرن التاسع عشر إلى العقد الأول من القرن العشرين نما الإنتاج الصناعي الألماني ستة أضعاف.

خلق نمو الرأسمالية في تلك الفترة الأساس لحركة اشتراكية قوية متجذرة في الطبقة العاملة. كما أدى إلى فترة من السلام الطبقي النسبي، من هزيمة كومونة باريس عام 1871، حتى نهاية الانتعاش الاقتصادي عام 1912، وهي الفترة التي شكلت النظرة المحافظة لقادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني. كما أصبح الجهاز البيروقراطي الهائل مجالاً جذاباً للصويين من أمثال بيرنشتاين.

وضعت روزا لوكسمبورغ نفسها في الخط الأمامي للكفاح ضد ذلك الانحطاط البيروقراطي. وفي عام 1905 اشتبكت مع كارل كاوتسكي، الذي كان المنظر البارز للحزب والألمانية الثانية، حول مسألة الإضراب السياسي العام. كان من الواضح تأثرها بالأحداث التي كانت تعرفها روسيا في ذلك العام، عندما طرحت الإضراب السياسي كسلاح مهم للنضال في ألمانيا أيضاً.

قدم كاوتسكي كل أنواع المبررات لتأكيد استحالة الإضراب السياسي العام. لقد كان، في الواقع، قد فقد ثقته في قوة الطبقة العاملة وفضل اتباع الأسلوب المسالم لتشكيل معارضة برلمانية شرعية.

## المذبحة الكبرى

شكل اندلاع الحرب العالمية الأولى الاختبار النهائي لسياسة الحزب. عندها عوضاً من الدعوة إلى مقاومة المذبحة الدموية، صوت نواب الحزب في الرايخستاغ لزيادة اعتمادات الحرب لصالح الحكومة الإمبراطورية. لم يرتفع سوى صوت واحد بين الفصيل البرلماني للحزب ضد الحرب: صوت كارل ليبكنخت.

شكل ليبكنخت، إلى جانب كل من روزا لوكسمبورغ وفرانز ميهرينغ وكلارا زيتكن، ما ظهر في البداية وكأنها مجموعة معارضة ثورية صغيرة داخل الحزب. إلا أن المجموعة ازدادت قوة مع تصاعد المعارضة للحرب بين صفوف العمال والجنود والبحارة.

بحلول منتصف عام 1916، كان التيار قد بدأ يحول مساره، وتمكن السبارتاكيون (كما كانت تسمى تلك المجموعة الثورية) من توجيه المزاج المناهض للحرب لآلاف العمال. ومع استمرار الحرب وتفاقم الظروف المعيشية في ألمانيا، لم يظهر أي أفق لذلك النصر السريع الموعود. ازداد وضع الجماهير الألمانية سوءاً خلال العامين التاليين، وكان الضغط يتصاعد. عندما تمرد البحارة في كيل يوم 03 نوفمبر 1918، انتشرت حركة جماهيرية في جميع أنحاء البلاد: كانت الثورة الألمانية قد بدأت.

وضعت روزا لوكسمبورغ نفسها في الخط الأمامي للكفاح ضد ذلك الانحطاط البيروقراطي. وفي عام 1905 اشتبكت مع كارل كاوتسكي، الذي كان المنظر البارز للحزب والألمانية الثانية، حول مسألة الإضراب السياسي العام.

## لقاءات مع بعض فروع التيار الماركسي الأممي عبر العالم ابتداء من الصفحة 46





## الثورة الألمانية

بدأت مجالس العمال والجنود في الاستيلاء على السلطة أولاً في هامبورغ وبريمن، ثم لايبزيغ وفرانكفورت وشتوتغارت ونورمبرغ وميونخ، وأخيراً في برلين يوم 09 نوفمبر.

أخذ العمال بين أيديهم السلطة لتغيير المجتمع والقضاء على الرأسمالية بشكل نهائي، لكنهم كانوا يفتقرون إلى قيادة ثورية قادرة على توجيههم لإنجاز هذه المهمة، فسلمت المجالس (أي السوفيات) السلطة لقادة العمال التقليديين، أي الاشتراكيين الديمقراطيين.

لم تكن لدى قادة الحزب أية نية للقطع مع الرأسمالية، بل إنهم، في الواقع، تحالفوا مع أسوأ عناصر النظام القديم -الجنرالات الرجعيين- لنزع سلاح الحركة الجماهيرية.

لكن لا يمكن للثورات أبداً أن تقف في منتصف الطريق، إذ يجب أن تحصل إحدى الطبقتين على اليد العليا في النهاية. الشيء الذي كان مطلوباً في ذلك السياق هو حزب ثوري صلب يميز نفسه عن الأحزاب الإصلاحية ويشرح للطبقة العاملة الحاجة إلى استكمال الثورة.

أدركت لوكسمبورغ وليبنكخت الحاجة إلى إكمال الثورة، وحاولا بناء قيادة بديلة من خلال رابطة سبارتاكوس، التي صار اسمها فيما بعد الحزب الشيوعي الألماني.

لكن ورغم أنهم تمكنوا من استقطاب العمال الأكثر ثورية ووعياً، فإنه لم يكن لديهم وقت كاف لتدريب حزب قادر على الجمع بمهارة بين مجموعة متنوعة من التكتيكات لكسب أغلبية الطبقة العاملة. ولذلك فقد ارتكب الحزب الشاب عدداً من الأخطاء اليسارية المتطرفة.

كانت كوادر الحزب البلشفي في روسيا قد تعلمت المزج الصحيح بين الأساليب الشرعية وغير الشرعية عبر أكثر من عشرين عاماً من الخبرة. لم يكن لدى الحزب الشيوعي الشاب في ألمانيا مثل ذلك الوقت، لأنه لم يظهر إلا في 30 دجنبر 1918، أي في خضم الثورة.

### بناء حزب على النموذج البلشفي

حاولت روزا لوكسمبورغ تلطيف مواقف الجناح اليساري المتطرف للسبارتاكين

الشباب. لكن حقيقة أنها لم تكن قادرة على تثقيف وتصليب حزب ثوري، لم تكن ترجع فقط إلى ضيق الوقت وتعرضها للاعتقال بشكل متكرر بتهمة التحريض ضد الحرب.

لقد قيل الكثير عن خلافات لوكسمبورغ مع لينين، من قبل اللاسلطويين والإصلاحيين على حد سواء، ويستعملون في ذلك على وجه الخصوص انتقاداتها للثورة الروسية -التي كتبتها عندما كانت مسجونة ومعزولة- لإثبات أنها كانت معادية للينينية ومعادية للبلشفية.

لكنها كانت تدرك أن تحليلها للثورة الروسية سيكون ناقصاً ورفضت بشدة نشر أي شيء كتبه عنها أثناء وجودها في السجن، لعلمها أن أعداء الثورة سيضوون مواقفها. وعلى الرغم من جميع انتقاداتها فقد أنهت كراستها تلك بالكلمات التالية: "المستقبل في كل مكان للبلشفية".

لقد تمكنت في أواخر حياتها من إدراك أهمية بناء قيادة ثورية منضبطة، وانطلقت هي وليبنكخت في سباق مع الزمن لبناء حزب بلشفي في ألمانيا،

لكنهما دفعا بشكل مأساوي ثمن خسارة هذا السباق بحياتيهما.

### مناضلة ثورية حقيقية

في يناير 1919، تم اعتقال لوكسمبورغ وليبنكخت وقتلهما على يد جماعة شبه عسكرية يمينية، بأمر من حكومة الحزب الاشتراكي الديمقراطي، في أعقاب انتفاضة عفوية فاشلة لعمال برلين. سلطت حكومة الحزب الاشتراكي الديمقراطي قمعا دمويًا على الحركة العمالية، مستخدمة في ذلك القوات اليمينية والملكية، في حملة سميت بحق: "الإرهاب الأبيض".

ألقي القبض على الكثير من القادة الشيوعيين ووضعت جائزة قدرها 100.000 مارك ألماني مقابل رأسي لوكسمبورغ وليبنكخت. يوم 13 يناير، تم العثور عليهما واعتقالهما على يد ضباط فريكورب (مرتزقة رجعيون توظفهم الدولة) وتم اقتيادهما للاستجواب. زعموا فيما بعد أن ليبنكخت أصيب برصاصة "أثناء محاولته الفرار"، بينما بقي مصير لوكسمبورغ مجهولاً حتى تم العثور على جثتها في قناة لاندوير في برلين، بعد عدة أشهر (في 31 ماي). الحقيقة هي أن كلاهما تعرض للقتل بوحشية على يد بلطجية الشرطة. وقد أظهر جسد لوكسمبورغ دليلاً واضحاً على تعرضها للضرب على رأسها بمؤخرة بندقية عند اعتقالها. وهكذا عانت الطبقة العاملة الأممية خسارة اثنين من الرفاق القياديين.

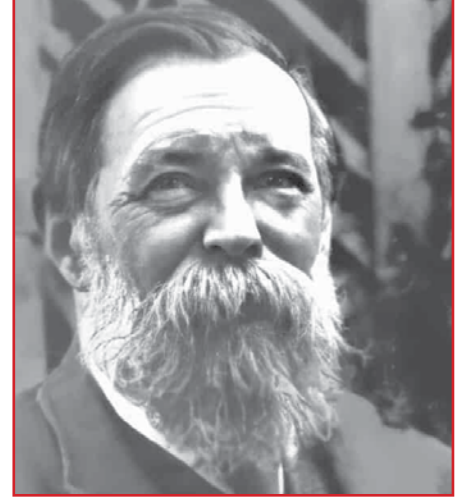


إن جميع الذين يصورون روزا لوكسمبورغ على أنها لا سلطوية أو إصلاحية، أو أي شيء أقل من أنها ماركسية ثورية، يرتكبون ضدها ظلماً فادحاً. لم تسقط روزا في تلك الأخطاء، ومهما كانت الخلافات التي كانت لديها مع لينين وتروتسكي فقد جاءت من موقع مناضلة ثورية نزيهة حقيقية. وكما قال لينين عنها، رداً على منتقديها، الذين ارتكبوا الكثير من الأخطاء: "قد تنزل النور أحياناً إلى مستوى أقل من الدجاج، لكنه من المستحيل على الدجاج أن يرتقي إلى ارتفاع النور... وعلى الرغم من أخطائها، فإن روزا كانت بالنسبة لنا -وستبقى- نيراً".

بياتريس بالميري، يناير 2019



# فريدريك إنجلز في ذكراه المئوية الثانية



في الاحتفال

بالذكرى المئوية الثانية لميلاد فريدريك إنجلز، المؤسس لأفكار الاشتراكية العلمية، إلى جانب كارل ماركس بالطبع، يجب أن ننتهز هذه الفرصة للتطرق إلى حياة هذا الرجل العظيم والمساهمات الرائعة التي قدمها. على الرغم من أن الماركسية تحمل

اسم ماركس، إلا أنه يجب ألا ننسى أبداً المساهمة الحيوية التي قدمها إنجلز، والعلاقة العضوية بين حياة هذين الرجلين. من دون شك، امتلك إنجلز عقلاً موسوعياً يشمل المعرفة بمجالات متنوعة مثل الفلسفة والاقتصاد والتاريخ والفيزياء وعلم اللغة وعلم الحرب. معرفته بالأخير أكسبته لقب «الجنرال». في كثير من الأحيان، يُنظر إلى إنجلز على أنه يلعب دوراً ثانوياً بجانب ماركس. بينما كان ماركس عملاقاً، كان إنجلز أساسياً في هذه العلاقة أيضاً. كان إنجلز متواضعاً للغاية، وينزل عند عظمة ماركس. لكن عندما نقرأ المراسلات الضخمة بين الرجلين، فإن مساهمة إنجلز المتميزة لا يمكن تفويتها. كان هو أيضاً، بجانب ماركس، عملاقاً سياسياً.

## الحياة المبكرة

تمت كتابة عدد من السير الذاتية لحياة إنجلز، بعضها جيد وبعضها الآخر سيء. ومن أحدثها الطنانة الفكرية والكتابية التي كتبها تريسترام هانت، بعنوان «الشيوعي المغلف بالمعطف»، والتي تبرز باعتبارها وصفاً سيئاً لحياة إنجلز.

لكن ما الذي يمكن أن نتوقعه أكثر من هؤلاء الناس؟ المؤرخون البرجوازيون لديهم فؤوسهم للتقطيع، خاصة عند الكتابة عن ماركس وإنجلز. تريسترام هانت الصغير ليس استثناء. ليس لدينا ما نتعلمه من ثروة مثل هؤلاء المثقفين الزائفين.

وُلد إنجلز الشاب في عائلة من مصنعي المنسوجات في راينلاند، وانسلخ عن أصله الطبقي ووضع نفسه في صف الطبقة العاملة. منذ ذلك الحين، كرس نفسه للإطاحة بالرأسمالية وتحرير الطبقة العاملة. إلى جانب ماركس، الذي جاء أيضاً من خلفية برجوازية، أصبح أحد أعظم قادة الطبقة العاملة. في أوائل العشرينيات من عمره انحاز إنجلز علانية إلى المذهب الشارقي الثوري وكتب كتابه الشهير «حال الطبقة العاملة في إنجلترا». لقد أجرى اتصالات مباشرة مع الحركة العمالية في إنجلترا وهنا أصبح إنجلز شيوعياً مؤكداً.

في كتابات إنجلز المبكرة، كما ذكر ماركس نفسه، «صاغ بالفعل مبادئ عامة معينة للاشتراكية العلمية»، على الرغم من عدم اكتمالها بالكامل.

## ماركس

بدأ لقائه وصداقته مع ماركس في أغسطس 1844. أدى ذلك إلى تعاون سياسي ونظري مدى الحياة، والذي كان من شأنه تغيير العالم. وكما ذكر إنجلز لاحقاً:

«عندما التقينا مرة أخرى في ربيع عام 1845 في بروكسل، كان ماركس قد

في نهاية شهر نوفمبر 2020 احتفلنا بالذكرى المئوية الثانية لولادة فريدريك إنجلز، وتخليداً لهذه الذكرى نشر موقع «الدفاع عن الماركسية» يوم 28 نوفمبر مقالاً لروب سيويل، محرر موقع «النداء الاشتراكي» سلط خلاله الضوء على مساهمات إنجلز المهمة في التأسيس لأفكار الاشتراكية العلمية.

طور بالفعل نظريته المادية للتاريخ بشكل كامل في سماتها الرئيسية... وقد كرسنا أنفسنا الآن لتفسير تفصيلي للنظرة المكتسبة حديثاً في الاتجاهات الأكثر تنوعاً.

هذا التعاون أتي ثماره في سلسلة من الأعمال النظرية، مثل كتاب «الأيدولوجيا الألمانية»، وبلغت ذروتها بعد سنوات قليلة في «البيان الشيوعي». في هذه العملية أيضاً، اشتبك الرجلان مع آخرين يحملون كل أنواع الأفكار والمفاهيم المشوشة.

كتب إنجلز: «إنه لأمر مخرز أن يضطر المرء إلى تحريض نفسه ضد مثل هذا الهراء». «لن أسمح للزملاء بالرحيل حتى أقوم بطرد جرون [الاشتراكي الطوباوي] من الميدان وأكنس خيوط العنكبوت من أدمغتهم». أصبحت العلاقة الوثيقة بين الرجلين أوثق من أي وقت مضى. على حد تعبير لينين:

«تحتوي الأساطير القديمة على العديد من الأمثلة المؤثرة للصدقة. يمكن للبروليتاريا الأوروبية أن تقول أن علمها قد تم إنشاؤه من قبل اثنين من العلماء والمقاتلين، وتتفوق علاقتهما ببعضهما البعض على القصص الأكثر إثارة للقدماء حول الصداقة الإنسانية».

تروتسكي، الذي درس كل جانب من جوانب حياة ومساهمة إنجلز، قدم أيضاً تقييماً مناسباً لإنجلز:

«إنجلز بلا شك من أفضل الشخصيات وأكثرها تكاملاً ونبلاً في معرض الرجال العظماء، إعادة إنشائه صورته ستكون مهمة مرضية. إنه أيضاً واجب تاريخي ...

كم يكملان [ماركس وإنجلز] بعضهما البعض! أو بالأحرى، كيف يسعى إنجلز بوعي إلى استكمال ماركس؟ طوال حياته كرس نفسه من أجل هذه المهمة. اعتبرها رسالته ووجد فيها رضاه الشخصي. وهذا بدون احساس بالتضحية بالنفس - دائماً هو نفسه، دائماً مليء بالحياة، دائماً متفوقاً على بيئته وعمره، مع اهتمامات فكرية هائلة، بشعلة حقيقية من العبقرية التي تشتعل دائماً في قفل الفكر.

على خلفية حياتهم اليومية، يكتسب إنجلز مكانته بشكل هائل مقارنة بماركس - على الرغم من أن مكانة ماركس لم تتضاءل بسبب هذا بالطبع. أتذكر أنني بعد قراءة مراسلات ماركس - إنجلز في قطاري العسكري، تحدثت إلى لينين عن إعجابي بشخصية إنجلز. كانت وجهة نظري هي أنه عند النظر إليها من خلال علاقته مع العملاق ماركس، فإن فريدريك المخلص يكتسب - بدلاً من أن يتضاءل - مكانة.

لقد أعرب لينين عن موافقته على هذه الفكرة بحماسة، حتى بسعادة. لقد أحب إنجلز بعمق، وخاصة من أجل كمال شخصيته وإنسانيته الشاملة. أتذكر كيف فحصنا بشيء من الإثارة صورة إنجلز عندما كان شاباً، واكتشفنا فيها السمات التي برزت في حياته اللاحقة.

عندما يكون لديك ما يكفي من نثر الإصلاحيين والستالينيين، عندما تبتلع حشو ميكروبات التفاهة والوقاحة، والذل والجهل، لا توجد طريقة أفضل من أجل تنقية رثيتك من قراءة مراسلات ماركس وإنجلز لبعضهما البعض ومع الآخرين. تلميحاتهم وخصائصهم التفسيرية، متناقضة في بعض الأحيان، ولكن دائماً ما تكون مدروسة جيداً وواضحة، هناك الكثير من الإرشادات، والكثير من النضارة الذهنية وهواء الجبل! لقد عاشوا دائماً في المرتفعات.

يكمل تروتسكي:

«إن توقعات إنجلز دائماً متفائلة. ليس من النادر أن يستبق المسار الفعلي للأحداث. ولكن من الممكن بشكل عام عمل تنبؤات تاريخية - باستخدام تعبير فرنسي - لن تحرق بعض المراحل الوسيطة؟

زودت بمواد غنية للغاية ومتنامية يوماً لهذا الاختبار، وبالتالي أثبتت في التحليل الأخير أن عملية الطبيعة جدلية وليست ميتافيزيقية.»

### أوضح إنجلز أن

«الفكرة الأساسية العظيمة، هي أن العالم لا ينبغي فهمه على أنه مجموعة معقدة من الأشياء الجاهزة، ولكن كمجموعة معقدة من العمليات، حيث يبدو أن الأشياء مستقرة بما لا يقل عن صور أذهاننا في رؤوسنا، المفاهيم، تمر بتغيير غير منقطع للوجود والموت... لقد تغلغل هذا الفكر الأساسي العظيم، خاصة منذ زمن هيجل، تماماً في الوعي العادي لدرجة أنه في هذه العمومية نادراً ما يتناقض.

لكن الاعتراف بهذا الفكر الأساسي بالكلمات وتطبيقه في الواقع بالتفصيل على كل مجال من مجالات التحقيق هما شيان مختلفان... بالنسبة للفلسفة الديالكتيكية، لا شيء نهائي، مطلق، مقدس. تكشف الفلسفة الديالكتيكية الطابع العابر لكل شيء وفي كل شيء؛ لا شيء يمكن أن يدوم قبلها باستثناء عملية الصيرورة المستمرة والموت، والصعود الانهائي من الأسفل إلى الأعلى. والفلسفة الديالكتيكية بعد ذاتها ليست أكثر من مجرد انعكاس لهذه العملية في دماغ المفكر.»

لذلك، وفقاً لماركس وإنجلز، فإن الديالكتيك هو «علم القوانين العامة للحركة، في كل من العالم الخارجي والفكر البشري».

### رأس المال

فما تأثير ماركس وإنجلز مع نمو الحركة. بعد وفاة ماركس، استمر إنجلز في العمل وحده كمستشار وقائد للحركة الاشتراكية الأوروبية، التي أصبحت قوة جماهيرية. تم السعي وراء نصيحته بشغف، واستند إلى معرفته وخبرته الواسعة في شيخوخته.

مثل ماركس، عرف إنجلز العديد من اللغات الأجنبية وأجرى مراسلات ضخمة حول العديد من المسائل. بشكل لا يصدق، يغطي هذا 13 مجلداً من الأعمال المجمعة، تصل إلى 3957 رسالة. هذه الرسائل تكشف عن الروابط الوثيقة الرائعة بينهم وبين عملهم المشترك.

مات ماركس قبل أن يتمكن من وضع اللمسات الأخيرة على عمله الضخم في الاقتصاد السياسي. باستخدام المسودات التي تركها ماركس، وضع إنجلز أبحاثه جانباً وتولى المهمة الهائلة المتمثلة في إكمال أعمال ماركس وتحرير ونشر المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال». هو وحده القادر على فك رموز خط ماركس غير المفهوم. كما كتب إلى لافروف:

«أنا قلق للغاية لأنني الوحيد على قيد الحياة القادر على فك رموز هذا الخط ومختصرات الكلمات والجمل.»

لإنجاز هذه المهمة، كان يستغرق في العمل كل يوم من الساعة 10 صباحاً حتى 5 مساءً. كان عليه أيضاً تعديل الكتاب وإجراء الإضافات اللازمة. وهكذا سعى إلى استكمال العمل «بروح المؤلف». فيما يتعلق بالمجلدين الثاني والثالث من «رأس المال»، كتب لينين باستحسان: «هذان المجلدان من رأس المال هما عمل رجلين: ماركس وإنجلز.» كما أوضح تروتسكي:

«لم يكن إنجلز مجرد رجل عبقرى، بل كان أيضاً روح الضمير. في العمل الأدبي وكذلك في الشؤون العملية لم يستطع تحمل التراخي وعدم الدقة. لقد فحص كل فاصلة (بالمعنى الحرفي للمصطلح) لعمل ماركس بعد وفاته، وأجرى مراسلات حول موضوع الأخطاء الإملائية الثانوية.»

### قائد

اعتبر إنجلز كتابه «أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة»، الذي كتب بعد عام من وفاة ماركس، بمثابة «تحقيق» لـ «وصية» ماركس. يمكن اعتبار هذا العمل أحد الأعمال الأساسية للاشتراكية الحديثة. بعد وفاة ماركس، أصبح إنجلز الزعيم المباشر والأوحد للاشتراكية العالمية حتى وفاته بعد اثني عشر عاماً.

في التحليل الأخير، كان إنجلز دائماً على حق. ما قاله للسيدة فيشنيفسكي حول تطور إنجلترا والولايات المتحدة تم إثباته بشكل كامل في حقبة ما بعد الحرب، بعد أربعين أو خمسين عاماً. ولكن تم إثبات ذلك بالتأكيد! مَنْ مِنْ بين رجال الدولة البرجوازيين العظام كان لديه حتى فكرة عن الوضع الحالي للقوى الأنجلوسكسونية؟ لويد جورج، وبالدينز، وروزفلت، ناهيك عن عائلة ماكدونالدز، يبدون حتى اليوم (في الواقع، اليوم أكثر من أمس) مثل الجراء العمياء إلى جانب إنجلز العجوز بعيد النظر. وما مدى صعوبة كل هؤلاء الكينزين في إعلان أن التكهنات الماركسية قد تم دحضها!

(تروتسكي، مذكرات في المنفى، ص 27 - 29)

### المادية

وكشابين، كان كل من ماركس وإنجلز من أتباع الفيلسوف الألماني العظيم هيجل. كانت تعاليمه بلا شك ثورية. أصبح منهج هيجل الديالكتيكي حجر الزاوية في نظرتهم، لكنهم أزالوا من منهج هيجل المثالية ووضعوه على قدميه. من خلال فيورباخ، أصبحوا ماديين. تشرح الفلسفة المادية أن المادة هي الأساس، وأن الأفكار هي انعكاس للعالم المادي.

كانوا أول من أوضح أن الاشتراكية لم تكن من اختراع الحالمين، بل كانت متجذرة في تطور القوى المنتجة والصراع الطبقي. أصبحت الاشتراكية أخيراً علماً. أوضح إنجلز أنه «بدون الفلسفة الألمانية، لم تكن الاشتراكية العلمية لتتواجد على الإطلاق.»

ساهم إنجلز بشكل خاص في فلسفة الماركسية في أعماله اللاحقة، وبالتحديد كتب «لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية»، و«دوهرينغ»، و«ديالكتيك الطبيعة».

أدرك إنجلز وماركس أهمية الطبقة العاملة. في كتابه «حال الطبقة العاملة في إنجلترا»، الذي نُشر عام 1845، يوضح أن البروليتاريا ليست فقط طبقة تعاني، ولكنها طبقة تناضل من أجل تحررها. عمله المشترك مع ماركس، البيان الشيوعي، جعل هذه الأفكار تؤتي ثمارها.

### الديالكتيك

مع فشل ثورة 1848، وجد ماركس وإنجلز نفسيهما في إنجلترا، ماركس في لندن وإنجلز في مانشستر. ذهب إنجلز إلى مانشستر للعمل في شركة والده، «التجارة الملغونة»، لتقديم مساعدة مادية لماركس.

كانت المراسلات بين الرجلين تتم بشكل شبه يومي. تبادلوا عبر رسائلهم أفكارهم وخواتمهم واكتشافاتهم بكل ثرائها.

في عام 1870، انتقل إنجلز أخيراً إلى لندن حتى يتمكن هو وماركس من المشاركة مباشرة في تعاونهما الفكري المشترك، وكذلك المشاركة بنشاط في عمل الأهمية الأولى. كان لهذا العمل أهمية كبيرة في ربط العمال المتقدمين من جميع البلدان معاً في منظمة واحدة.

بحلول ذلك الوقت، كان ماركس قد أنهى المجلد الأول من كتابه «رأس المال»، وكان يطور مادة أولية لمجلدين آخرين. عندما أنهى المجلد الأول في أغسطس 1867 كتب إلى إنجلز:

«إذن، هذا المجلد انتهى. أنا مدين لك وحدك بأن ذلك أصبح ممكن! لولا تضحيتك بالنفس من أجلي لم أكن لأتمكن من إدارة العمل الهائل المطلوب.»

بينما قضى ماركس معظم وقته في كتاب «رأس المال»، انخرط إنجلز في جدالات ومجالات أخرى، مما سمح له بتحديد المفاهيم الأساسية للماركسية. وشمل ذلك كتاب «ضد دوهرينغ»، الذي تعمق في الفلسفة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية. كما كتب «أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة»، حيث طبق المفهوم المادي على الماضي البعيد للتاريخ البشري. وقد صاغ «لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية».

كتب إنجلز:

«كان ماركس وأنا، الوحيدان اللذان نجحنا في إنقاذ الديالكتيك الواعي (من تدمير المثالية، بما في ذلك الهيغلية) وتطبيقه في المفهوم المادي للطبيعة. الطبيعة هي إثبات الديالكتيك، ويجب أن يُقال أن العلوم الطبيعية الحديثة

في يونيو 1884، عندما اشتكى له برنشتاين وكاوتسكي من ضغوط مختلف «المتقنين» التافهين في الحزب، أجاب إنجلز، «الشيء الرئيسي هو عدم التنازل عن أي شيء، بالإضافة إلى التزام الهدوء المطلق».

طوال هذا الوقت، تولى إنجلز الدفاع عن الاشتراكية العلمية، مجيباً على التشوّهات والمفاهيم الخاطئة.

كتب إلى جوزيف بلوخ في سبتمبر 1890

«وفقاً للمفهوم المادي للتاريخ، فإن العنصر المحدد في النهاية في التاريخ هو إنتاج وإعادة إنتاج الحياة الواقعية. أكثر من هذا لم يأكد لا أنا ولا ماركس على الإطلاق .

ومن ثم، إذا قام شخص ما بتحويل هذا إلى القول بأن العنصر الاقتصادي هو العنصر الوحيد المحدد، فإنه يحول هذا الطرح إلى عبارة مجردة، لا معنى لها. الوضع الاقتصادي هو الأساس، ولكن العناصر المختلفة للبنية الفوقية - الأشكال السياسية للصراع الطبقي ونتائجه، على سبيل المثال: الدساتير التي وضعتها الطبقة المنتصرة بعد معركة ناجحة، وما إلى ذلك، والأشكال القانونية، وحتى ردود الفعل على هذه بالنضالات الفعلية في أدمغة المشاركين والنظريات السياسية والقانونية والفلسفية والآراء الدينية وتطورها إلى أنظمة عقائد - تمارس تأثيرها أيضاً على مسار النضالات التاريخية وفي كثير من الحالات تفوق في تحديد شكلها».

## تواضع

كان إنجلز ساخطاً ضد هؤلاء «الماركسيين» الجدد، الذين اعتقدوا أنهم يفهمون الماركسية ويمكنهم تطبيقها، دون التمكن من مبادئها.

كتب إنجلز إلى يوهان فيليب بيكر:

«في حياة ماركس، لقد فعلت ما كنت أقوم به - لعبت دور لاعب الكمان الثاني - وأعتقد أنني قمت بذلك بشكل جيد. لقد كنت سعيداً جداً لأن لدي لاعب كمان أول رائع مثل ماركس.

والآن بعد أن دُعيت بشكل غير متوقع إلى استبدال ماركس في الأمور النظرية وألعب دور لاعب الكمان الأول، لا يمكنني القيام بذلك دون أن أخطئ في زلات لا أحد يدركها أكثر مني.

ولكن لن نقدر حقاً ما فقدناه بموت ماركس حتى تأتي الأوقات العصيبة. لا أحد منا لديه هذا الاتساع من الرؤية التي كان يمتلكها، كلما كان من الضروري التصرف بسرعة، فعل الشيء الصحيح وتناول القضية الحاسمة. صحيح، في أوقات السلم، حدث في بعض الأحيان أن الأحداث أثبتت صواب وجهة نظري، لكن في اللحظات الثورية كان حكمه غير قابل للنقاش».

بهذا التواضع أظهر إنجلز حبه لماركس وتقديسه لذكراه. كتب إلى فرانز ميرينج:

«إذا كان المرء محظوظاً بما يكفي لقضاء أربعين عاماً في التعاون مع رجل مثل ماركس، فإنه يميل، خلال حياته، إلى الحصول على تقدير أقل مما يشعر به المرء بسببه؛ عندما يموت الرجل الأعظم، على أية حال، من السهل المبالغة في تقدير الأقل شأناً - وهذا هو بالضبط ما حدث في حالتي؛ كل هذا سيتم تصحيحه في النهاية من خلال التاريخ، وبحلول ذلك الوقت سيكون المرء بعيداً عن الطريق بأمان ولا يعرف شيئاً عنه على الإطلاق».

(14 يوليو 1893)

## انتهازية

لعب إنجلز دوراً هاملاً في المساعدة على توجيه قوى الأممية الثانية. حضر المؤتمر الأممي الثالث في زيورخ. في الجلسة الختامية، خاطب المندوبين أولاً باللغة الإنجليزية، ثم بالفرنسية، ثم بالألمانية.

درس في صحف فروع الأممية الظروف الخاصة بكل دولة. كتب رسائل واستقبل العديد من الزوار إلى منزله في شارع ريجنت بارك. كان بإمكانه التحدث بحرية باللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، ويمكنه قراءة الإسبانية وجميع اللغات السلافية والاسكندنافية تقريباً.

في سنواته الأخيرة، لم يكن خائفاً من تحدي الأفكار الانتهازية التي ظهرت في الفروع القوية للأممية الثانية، الألمانية والفرنسية. لقد ألقى قبلة على الانتهازيين بمقدمة جديدة لكتاب ماركس «الحرب الأهلية في فرنسا». وشدد في هذا الصدد على أن الدولة

«ليست أكثر من آلة لاضهاد طبقة من قبل طبقة أخرى، وفي الواقع الجمهورية الديمقراطية ليست أقل من النظام الملكي في هذا الشأن».

على سبيل المثال، أشار إلى الولايات المتحدة، حيث كتب:

«عصابتين كبيرتين من المضاربين السياسيين، اللتان تستوليان بالتناوب على سلطة الدولة وتستغلانها بأكثر الوسائل فساداً ومن أجل أكثر الغايات فساداً - الأمة عاجزة أمام هذين الكتلتين الكبيرتين من السياسيين، الذين هم، في الظاهر، في خدمتها، ولكنهم، في الواقع، يسيطرون عليها وينهبونها».

وختتم مقدمته لكتيب ماركس بالكلمات التالية الموجهة إلى الانتهازيين في الاشتراكية الديمقراطية الألمانية:

«في الآونة الأخيرة، استبد رعب كاسح مرة أخرى بالتافهين ضيقي الأفق من الاشتراكيين الديمقراطيين، ناتج عن كلمتي: دكتاتورية البروليتاريا. حسناً، أيها السادة المحترمون، هل تريدون أن تعرفوا كيف تبدو هذه الدكتاتورية؟ انظروا إلى كومونة باريس. كانت تلك دكتاتورية البروليتاريا».

وأُتبع ذلك بهجوم على الإصلاحية و«المركزية البرلمانية» في الحزب. حذف البيروقراطيون في قيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي عدة فقرات لتخفيف انتقاداته وجعله مدافعاً عن النزعة السلمية.

إن ما كان يرفضه إنجلز لم يكن العمل الثوري بشكل عام، بل بالأحرى الهبات المفاجئة لأقلية صغيرة، وأشكال من قتال الشوارع لا تتوافق مع الظروف التكنولوجية الجديدة. عندما اكتشف ما حدث باسمه، كان غاضباً. أدت هذه الاتجاهات الانتهازية فيما بعد إلى ظهور البرنشتاينية والتحريفية، مما أدى في النهاية إلى خيانة أغسطس 1914.

## شيوعي

على الرغم من تقدمه في السن، كان إنجلز شاباً في القلب وكان يتمتع بالتأكيد بروح الدعابة، قائلاً إنه «ما زال رشيقاً أكثر من دبابيسه». وكتب في رسالة أخرى:

«هذا هو موقفي: 74 عاماً بدأت أشعر بها، وأعمل بما يكفي لرجلين يبلغان من العمر 40 عاماً. نعم، إذا كان بإمكانني تقسيم نفسي إلى فريديريك إنجلز ذو 40 عاماً وفريديريك إنجلز ذو 34 عاماً، والتي ستكون 74 فقط، فإننا يجب أن نكون بخير قريباً. ولكن كما هو الحال، كل ما يمكنني فعله هو العمل مع ما هو أمامي والتغلب عليه بقدر ما أستطيع». (رسالة من إنجلز إلى لورا (لافارح 18 ديسمبر 1894).

في إحدى رسائله الأخيرة إلى لافروف، قال:

«لا يمكنني الشكوى، لكنني للتو بدأت أدرك أن 74 ليست 47. ومع ذلك، يجب أن تساعدنا الأحداث في الحفاظ على قوتنا الحيوية، أوروبا بأكملها تزداد اشتعلاً، والأزمات تختمر في كل مكان، لا سيما في روسيا. لا يمكن أن يستمر الوضع هناك لفترة أطول. هذا أفضل بكثير». (94/12/18)

ويخلص في رسالة إلى ببيل: «وأثناء تمرير قرار بشأن هذه النقاط، عليك أن تشرب زجاجة من النبيذ الجيد؛ افعلوا ذلك كذكري لي». كان هذا نموذجاً لإنجلز، الذي عاش الحياة بالكامل.

توفي إنجلز في الخامس من أغسطس عام 1895 - وهو شيوعي ثوري حتى النخاع. تم إلقاء رماده في البحر قبالة بيتشي هيد في إيستبورن. لا شك في أن روحه الثورية تعيش في التيار الماركسي الأممي الذي يدافع عن إرثه ويناضل من أجل الاشتراكية العالمية.



## هيروني موس بوش وفن احتضار الفيودالية

يعتبر هيروني موس بوش واحدا من أبرز الرسامين وأكثرهم أصالة في كل العصور. رسم أعماله قبل خمسمائة عام، لكنها ما تزال تبدو معاصرة بشكل مذهش، وتستبق السريالية. يمثل فن عالم في حالة اضطراب، عالم مزقته تيارات متناقضة، عالم انطفأ فيه نور العقل وسيطرت عليه الغرائز الحيوانية. عالم الرعب والعنف والطاعون، أو باختصار: عالم يشبه عالمنا اليوم، خاصة مع انتشار الوباء الحالي. يدرس آلان وودز في هذا المقال هيروني موس بوش من وجهة نظر المادية التاريخية. وكان المقال قد نشر في الأصل بتاريخ 23 دجنبر 2010.

بالدمار، حتى كاد الصراع بين هذه المصالح المتضاربة أن يتحول، في بعض الأحيان، إلى حرب أهلية. لم يتم اكتشاف بوش إلا خلال القرن العشرين، بعد أن عانى من النسيان لما يقرب من ثلاثة قرون. وهذا ليس صدفة. لم تستطع الأجيال السابقة فهم ذلك الفن الغريب. إنه فن عالم في حالة اضطراب، مزقته تيارات متناقضة: عالم انطفأ فيه نور العقل وسيطرت عليه الغرائز الحيوانية. عالم رعب وعنف، كابوس حقيقي، أي باختصار: عالم يشبه كثيرا عالمنا الحالي.

### فترة انتقالية

على الرغم من أن أعمال بوش تعود لمرحلة تباعدت عن عالمنا المعاصر بأكثر من خمسمائة عام، فإنها قادرة على أن تقول لنا أكثر مما يمكن أن نقوله لنا الكثير من أعمال الفن التي تنتج اليوم. إنها أكثر صلة بالعالم الذي نعيش فيه. لهذا الفن جمال غريب ورائع، لكنه يبدو مفتقرا للمنطق. إنه يتحدى العقل البشري في كل خطوة. الواقع فيه يقف على رأسه. تواجهنا فيه صور لا تصدق،



تفاصيل الجبال في لوحة "حديقة المسرات الأرضية"

وبسبب كونها مناقضة لرؤيتنا الطبيعية للعالم، تجعلنا نشعر بالدوار. وهنا تأتي عبارة هيجل لتصدنا بكل قوة: "المعقول يصير غير معقول".

الغرابة هي جوهر هذا الفن. إنه انعكاس لعالم لم يعد منسجما مع نفسه، عالم ممزق على كل المستويات.

حيث لم تعد الأرض صلبة تحت الأقدام. الشيء الصلب يتحول إلى سائل والعكس بالعكس. حتى الجبال في لوحة "حديقة المسرات الأرضية" تحولت إلى نباتات وحشية تتفتح بنضج غير طبيعي. كل شيء يتغير إلى نقيضه، أو، على حد تعبير هيراكليطس: "كل شيء يكون ولا يكون، لأن كل شيء في حالة تدفق مستمر". من وجهة نظر الأسلوب، لا يبدو عمل بوش مشابها لفن العصور الوسطى أو لفن عصر النهضة. على الرغم من وجود عناصر من هذين الفنين، إلا أن فن بوش يذهلنا بكونه معاصرا لنا بشكل مذهل. الصور مثيرة للدهشة، بل إنها صادمة، التراكيب جد متناقضة وغير متوقعة، بحيث يتعين على المرء أن ينظر إلى عالم السريالية لكي يعثر على شيء يشبهها إلى حد ما. في الواقع إن جودة الرعب في تلك الصور لها تأثير أكبر بكثير مما نجده في لوحات [سلفادور] دالي: الجذوع المعذبة والساعات العرجاء.

لا نعرف سوى القليل عن حياة الرجل الذي نعرفه باسم هيروني موس بوش. بل حتى الاسم ليس اسمه، بل اللقب المستعار الذي كان يوقع به أعماله. كان اسمه الحقيقي هو جيروين أنتونيزون فان أكين، وقد ولد حوالي 1450، في المدينة التجارية الهولندية المزدهرة، سيرتوخيمبوس، بالقرب من الحدود الألمانية. كانت مدينة مزدهرة يبلغ عدد سكانها حوالي 25.000 نسمة. كان النسيج أهم صناعة فيها، لكنها كانت معروفة أيضا بصناعة الأرعن (آلة موسيقية)، وصناعة الأجراس، وصناعة الطابعات، وصناعة السكاكين والأسلحة والمسامير والدبابيس. وكان حوالي 90% من السكان يشتغلون في الفلاحة.

عاش بوش خلال الفترة التي أطلق عليها هويزينجا اسم فترة اضمحلال العصور الوسطى. وتزامنت مع بداية تلك الصحوة الثقافية العظيمة التي نسميها عصر النهضة. ازدهرت الاكتشافات والبحوث العلمية في جو من الفضول الفكري. وخلف مظاهر المواقب الدينية والحج والتقوى، كان الناس قد صاروا أكثر تشككا تجاه الكنيسة وكانت لديهم شكوك حول صحة وقوف الله وراء ترتيب الأشياء. وبفضل اختراع المطبعة انتشر التعليم بين فئات واسعة من الناس.

كانت تلك نقطة تحول رئيسية في التاريخ. كانت تلك فترة بدأت فيها الرأسمالية تقوض أسس الإقطاع، كما أوضح ماركس وإنجلز:

«من أفتان العصور الوسطى نشأ سكان أولى البلدات. ومن سكان البلدات هؤلاء تكونت العناصر الأولى للبرجوازية.

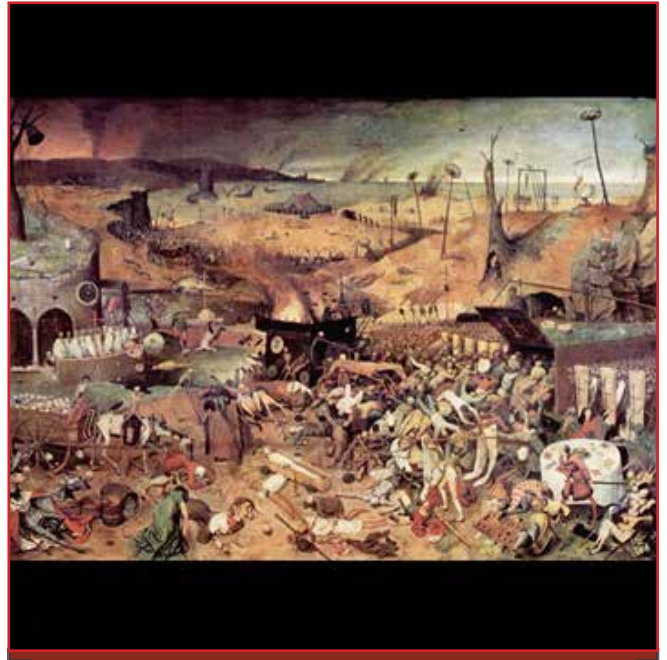
لقد فتح اكتشاف أمريكا والممر عبر رأس الرجاء الصالح، أرضية جديدة للبرجوازية الصاعدة. إن أسواق الهند الشرقية والصين واستعمار أمريكا والتجارة مع المستعمرات، وزيادة وسائل التبادل والسلع بشكل عام، أعطت للتجارة والملاحة والصناعة، دفعة لم يسبق لها مثيل، وأعطت، بالتالي، تطورا سريعا للعنصر الثوري داخل المجتمع الإقطاعي المتداعي.

لم يعد نمط الاستثمار الإقطاعي في الصناعة، الذي كان الإنتاج الصناعي فيه محتكرا من قبل طوائف حرفية مغلقة، كافيا لسد الحاجات المتنامية للأسواق الجديدة، فحل نظام المانيفاكتورة محله، فتم دفع أصحاب الورشات الحرفية جانبا من طرف أصحاب المانيفاكتورات البرجوازيين المتوسطين؛ وأُخلى تقسيم العمل بين الطوائف الحرفية المختلفة المكان أمام تقسيم العمل داخل الورشة الواحدة». (البيان الشيوعي. برجوازيون وبروليتاريون)

يعود ازدهار سيرتوخيمبوس إلى إدخال الأساليب الرأسمالية. خلال العصور الوسطى كان تنظيم جميع الأنشطة الحرفية يتم من قبل الطوائف الحرفية. لكن خلال الفترة التي ناقشناها كان أرباب العمل قد أدخلوا أساليب إنتاج جديدة. تمكن أولئك الذين نجحوا من تحقيق أرباح أكثر من المعلمين التقليديين لمختلف الحرف اليدوية، وجمعوا ثروات كبيرة. تحالف الحكام الأرستقراطيون في هولندا مع البرجوازية وأخذوا حصتهم من أرباح نمط الإنتاج الرأسمالي الجديد. لكن الطوائف الحرفية قاومت التغييرات التي هددتهم

كانت المدن مثل سبرتوخيموس ممتلئة بالمشانق والسجون. في ذلك العصر، عصر العنف العشوائي الذي لا معنى له، كان الموت رفيقا دائما ومعترفا به. كانت صورته المبتسمة تظهر في كل كنيسة. وفي خلفية تلك اللوحات يكون الموت دائما موجودا، عادة على شكل هيكل عظمي. وقد اقتفى أثر هذا المذهب خليفة بوش الحقيقي الوحيد، بيتر بروغل، كما هو الحال في لوحته "انتصار الموت".

أدى تفكك الإقطاع، الذي رافقته كل أنواع المآسي - الحروب والمجاعة والطاعون - إلى خلق كتلة كبيرة من الفقراء المتحللين طبقيًا: فلاحون بلا أرض وعاهرات ومنتسولون وبائعون متجولون ومتشردون وجنود مطرودون وقطاع طرق مستعدون للقتل مقابل بضع بنسات. في ألمانيا أصبح العديد من النبلاء الإقطاعيين أنفسهم قادة عصابات يعتدون على الفلاحين. ويجد كل حثالات المجتمع هؤلاء انعكاسا لهم في لوحات بوش.



لوحة "انتصار الموت" لبيتر بروغل

الطاعون الذي أهلك أوروبا في القرن الرابع عشر، قضى على ثلث السكان على الأقل. وأعقبته مجاعة قتلت كثيرين آخرين. وما تلا ذلك كان عالمًا من الظلام والفوضى والاضطرابات. اعتقد الناس أن المرض سببه الشياطين وأن الطاعون كان علامة أكيدة على الغضب الإلهي. وبالنسبة لعقل العصور الوسطى، الغارق في عالم التصوف الديني والأشباح والخرافات، بدا أن نهاية العالم تقترب. كان هناك اعتقاد شائع أن نهاية العالم ستحل عام 1500. كان الجحيم قاب قوسين أو أدنى، وبالنسبة لمعظم البشرية لم يكن هناك من احتمال للخلاص.

## نهاية العالم؟

كان من الواضح للجميع أن العالم القديم كان في حالة من الانحطاط السريع وغير القابل للعلاج. كان الناس تتقاذفهم تيارات متناقضة. تحطمت معتقداتهم وضاعوا في عالم بارد ولإنساني وعدائي وغير مفهوم. إن الشعور بأن نهاية العالم قريبة شعور يميز كل فترة تاريخية تشهد دخول نظام اجتماعي اقتصادي معين في مرحلة انحطاط لا رجعة فيه. كتب بيتر بيغل:

كان ترتيب الأشياء يتداعى عندما ولد بوش. ارتبط الأمن الوحشي للإقطاعية في اعتقاد عام بأن ترتيب الأشياء تم بأمر إلهي. فالرب العظيم شكل العالم على صورة إقطاعية، وقسم الأراضي والسلطة بين أتباعه العظماء، الباباوات والأباطرة والملوك

لكن، فجأة، انهارت كل تلك اليقينيات. كان الأمر كما لو أن العالم سفينة فقدت مرساتها. وكانت النتيجة هي الاضطرابات المرعبة والشكوك. وبحلول منتصف القرن الخامس عشر بدأ نظام المعتقدات القديم في الانهيار. لم يعد الناس يتطلعون إلى الكنيسة ليحصلوا على الخلاص والراحة والعزاء. وبدلاً من ذلك ظهرت الخلافات الدينية بأشكال مختلفة، والتي كانت بمثابة غطاء للمعارضة الاجتماعية والسياسية.

هناك العديد من نقاط التشابه بين عالم بوش وبين عالم اليوم، لكن هناك أيضاً فجوة كبيرة بينهما. ففي الوقت الحاضر، على الأقل في الغرب، تتراجع سلطة الدين بوضوح. لكن في أواخر العصور الوسطى كان الدين مهما للغاية. لذلك كان من الطبيعي أن تعبر السياسة والصراع الطبقي عن نفسيهما بأشكال دينية. كان الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعل حياة الجماهير محتملة هو الأمل في الحياة الآخرة.

كان من المفترض أن تقدم الكنيسة المقدسة الراحة للفقراء والأمل في حياة أفضل وراء هذا العالم المنحط الحزين. لكن حتى الكنيسة صارت فاسدة ومنحطة كما نرى من خلال واحدة من أعظم روائع بوش. كانت تلك فترة صارت فيها قيم الزهد القديمة التي ألهمت الرواد الأوائل لحياة رهبانية مجرد ذكرى بعيدة. تنافس أسياد الكنيسة في البذخ وتجاوزوا الملوك في أسلوب حياتهم الفاخر وثوراتهم الرائعة.

كان ذلك واقعا صادما ترك أخطر الآثار على الناس آنذاك. لأنه إذا كانت هذه الحياة رهيبة، فإن العزاء الوحيد كان هو التمسك بالأمل في حياة أفضل في العالم الآخر. لكن بمجرد ما يزول هذا الاعتقاد لا يبقى سوى اليأس القاتم. أصبحت سلطة الكنيسة موضع تشكيك متزايد. ومن مظاهر التفكك والانحلال الوشيك للنظام القديم، أن الناس بدأوا في البحث عن الخلاص خارج الكنيسة في جميع أنواع الحركات الخرافية والصوفية، والتي كانت المعتقدات الدينية غير التقليدية للعديد منها ستاراً لحركات اجتماعية خطيرة ومدمرة.

تميزت تلك الفترة بخروج عدد كبير من الرجال إلى الطرق، حفاة ويرتدون برقع التوبة، ويجلدون أنفسهم حتى تسيل دماؤهم. كانت الطوائف السائدة تنتظر نهاية العالم، التي كانت تتوقع بقلق حدوثها من ساعة إلى أخرى. لكن في النهاية ما حدث لم يكن نهاية العالم، بل نهاية الإقطاع فقط، وما جاء لم يكن الألفية الجديدة، بل النظام الرأسمالي فقط. لكن لا يمكن أن نتوقع منهم أن يفهموا ذلك.

أدى انحطاط المجتمع الإقطاعي وظهور الرأسمالية إلى تخمر للأفكار وأزمة إيمان تجلت في صعود تيارات دينية معارضة مثل اللولاديين وجون ويكيليف في إنجلترا والهيستين [أتباع جون هيس] في بوهيميا. كان عالماً على حافة ثورة اجتماعية ودينية. ظهر العالم القديم بكونه فاسد ومتعفن حتى النخاع. عالم يتداعى في انتظار الإطاحة به. عالم لا يستحق البقاء.

إن روح تلك اللوحات هي نفس الروح التي دفعت بهؤلاء الذين يجلدون أنفسهم إلى الطرق. إنهم مشبعون بروح الموت. كان مشهد طوائف الجلد التي تشق طريقها عبر البلدات والقرى مع صيحات فظيعة "للتوبة" يقطعها الصراخ والآهات بينما السياط تمزق لحم ظهورهم النازفة، علامة من علامات ذلك الوقت. كتب يوهان هوزينجا في كتابه الشهير "انحسار العصور الوسطى":

كان الشعور العام بالكارثة الوشيكة يخيم على الجميع. وساد الخطر الدائم في كل مكان [...] كان الشعور بانعدام الأمن الناجم عن الحروب وبسبب التهديد المستمر من جانب الحكام وعدم الثقة بالعدالة، قد تفاقم أكثر بسبب الهوس بالنهاية الوشيكة للعالم وبالخوف من الجحيم والسحرة والشياطين [...] كان لهيب الكراهية والظلم يسود في كل مكان. وكان الشيطان يغطي الأرض الكئيبة بجناحيه القامتين.

كان وعد الخلاص والحياة الأبدية موجودا من الناحية النظرية، لكن في الواقع كانت الصورة العامة لتلك الفترة هي الظلام القاتم. وينعكس الشعور المتشائم في شعر ذلك العصر، كما هو الحال في الأبيات التالية للشاعر الفرنسي ديشامب، الذي يقارن العالم برجل عجوز مريض بلغ حالة متقدمة من التحلل:

(العالم الآن جبان، فاسد وضعيف،  
عجوز، شهواني، ومشوش الكلام؛  
لا أرى سوى الحمقى نساء ورجالا...  
إن النهاية تقترب حقا...  
كل شيء يسير بشكل سيء.)

## عربة التبن أو قوة المال

في ظل الإقطاع كانت ملكية الأرض هي التعبير عن القوة الاقتصادية. كان للمال دور ثانوي. لكن تزايد أهمية التجارة والتصنيع وبديات نمو علاقات السوق التي رافقتها، جعلت للمال سلطة أكبر. لكن إلى جانب الثروة الفاحشة، كانت حياة الجماهير بائسة ومؤلمة ووحشية وقصيرة. كانت حياة الفلاح في ظل الإقطاع قاسية حتى في الظروف العادية. لكن الظروف خلال المرحلة المتأخرة من الإقطاع لم تكن عادية على الإطلاق.

كانت هناك روح جديدة تتصاعد: روح المادية والنزعة التجارية. وتدرجيا أصبح الفن نفسه سلعة. فإذا كان الفنان بارعا يمكنه هو نفسه أن يكتسب الثروة والمكانة. لكن أغلبيتهم كانوا مجرد فنانيين بروليتاريين أو حرفيين في أحسن الأحوال.

في ثلاثيته العظيمة، عربة التبن، (رسمت ما بين 1485 و1490، برادو، مدريد)، يظهر بوش عالما يحكمه الجشع والعنف: هنا تجري البشرية كلها وراء عربة التبن. إن عربة محملة بالتبن، كما تلك التي تظهر في لوحة بوش، كانت مشهدا مألوفا لشعوب القرن الخامس عشر، كرمز للطعام المخزن لفصل الشتاء وبالتالي كرمز للازدهار. لكن التبن هنا يرمز إلى قوة الثروة والمال. إنه يذكر بالمثل الهولندي القديم: "De werelt is een hooiberg"؛ "elk plukt ervan wat hij kan krijgen" (العالم كومة تبن والجميع ينتزع منها قدر ما يستطيع الحصول عليه). وكل البشرية تجري وراء عربة التبن، التي يقودها سبعة شياطين نحو نيران الجحيم المشتعلة على الجانب الأيمن.

مقدمة اللوحة فوضوية. الكل يقاتل من أجل الحصول على القليل من "التبن". في المقدمة، نرى رجلا يقطع عنق رجل آخر مقابل ذهبه. يبدو الناس على استعداد للقتل أو لأن تدهسهم العربة من أجل المال. تقدم النساء أجسادهن لأجله. القضاة يبيعون شرفهم لأجله. وإلى يمين اللوحة يتم جر العربة من طرف مجموعة متنوعة من المخلوقات الشيطانية الغربية من العالم السفلي. أحد تلك المخلوقات مزيج من رجل وسمكة؛ والآخر شبه طائر؛ والثالث رجل مقنع مع أغصان تنمو على ظهره.

وقربهم يمكن رؤية الناس يتدفقون من مدخل خشبي في تلة. ويرافق العربة نفسها رجال ونساء يحاولون انتزاع حفنة من التبن؛ يتقاتلون ويسقطون تحت العجلات. وفي مقدمة اللوحة نرى راهبتين تملآن كيسا من التبن من أجل قس سمين يبدو هادئا وهو يشرب النبيذ المقدس بينما يشاهد ما يجري من نهب. لا يقتصر الأمر على فضح النهب الذي تمارسه الكنيسة ضد الشعب، بل يلمح أيضا إلى العلاقات الجنسية غير المشروعة بين الراهبات والرهبان. كان هذا متداولًا بشكل كبير في ذلك الوقت، لأسباب وجيهة. كانت هناك فضائح كثيرة منسوبة إلى الكنيسة؛ وكان المؤمنون يشعرون بأنهم مهجورون.

كانت الكنائس من بين أكبر ملاكي الأراضي في ذلك الزمن. وكان الراهبان والقساوسة، على الرغم من أنهم أقسموا على العمل الخيري وحياة الفقر، يولون اهتماما أكبر للحصول على وسائل الراحة المادية لأنفسهم بدلا من العيش في حياة الزهد. تم جمع جزء كبير من ثروة الكنيسة من خلال بيع صكوك الغفران، التي هي قصاصات من الورق تعد المشتري بالخلاص مقابل مبلغ صغير. وقد تفاخر هانز ديتز، بائع الصكوك الشهير، بأن الأرواح تتحرر من الجحيم بمجرد ما تزن العملات المعدنية في صندوقه. ويظهر موقف بوش تجاه الكنيسة من خلال وجود الراهبات والرهبان وهم يشاركون بجشع في مطاردة عربة التبن.

الشخصيات الوحيدة في الصورة التي تبدو هادئة ومنعزلة هم أغنياء الأرض: إلى اليسار هناك إمبراطور وملك وبابا على أحصنة خلف العربة وعلى بعد مسافة محترمة، يصاحبون من بعيد عربة العشب الجاف. ومع ذلك فإن عزلتهم مجرد خدعة. فالسبب الوحيد وراء كونهم لا يلاحقون العربة هو أنهم يمتلكون بالفعل أكثر مما يكفي من "التبن" - لكنهم في الواقع هم أيضا عبيده المخلصون الطبعون، وهم أيضا يسبرون بلا هوادة نحو يوم الحساب.



لوحة عربة التبن هيرونيموس بوش

كان صعود الرأسمالية - خاصة في هولندا حيث ظهرت في وقت أبكر من أي بلد آخر باستثناء إيطاليا - مصحوبا ب بروز سلوكيات جديدة، توطدت تدريجيا إلى أخلاق جديدة ومعتقدات دينية جديدة. سيطرت الرابطة الهانزية، التي كانت تضم أكثر من مائة مدينة تجارية، على التجارة من إنجلترا إلى روسيا. تم صنع ثروات كبيرة. ظهرت عائلات مصرفية قوية، مثل آل فوغر، وتحدث سلطة الملوك. ونشأت قوة جديدة، قوة كانت تفكك نسيج المجتمع القديم وتقوض قيمه هي قوة المال.



جديدة برزت كقوة اجتماعية. وفي وقتنا الحاضر نتحدث عن شخص يمتلك مليار دولار بينما صار الناس مجرد سلع وأشياء للبيع. إن الأغنياء وأصحاب السلطة مستعدون لإظهار أشد أنواع الوحشية والقسوة من أجل الدفاع عن سلطتهم وثوراتهم وامتيازاتهم. إن الوجوه المجردة من الإنسانية التي نراها في "المسيح يحمل الصليب" هي وجوه الجشع والشره وفساد الروح البشرية. إنها وجوه الأغنياء وأصحاب السلطة على الأرض، ليس كما يرغبون في تصوير أنفسهم، بل كما هم في الواقع. ينزع عنهم بوش بلا رحمة قناعهم المبتسم، ليكشف الوحش الشرير الذي يكمن خلفه. بالطبع، يحب أولئك الذين يوجدون في مواقع السلطة أن يروا أنفسهم بصورة مختلفة تماما، كمحسنين للبشرية و"خالقي مناصب الشغل" و"قادة الصناعة"، وما شابه ذلك، ويصورهم الرسامون المتملقون بأشكال أكثر بهاء. عربة التبن هي ما يفسر لنا ذلك، إنه نتاج لما يسمى باقتصاديات السوق التي تفسد العالم وتسلبه من إنسانيته.

### حديقة المسرات الأرضية

يضم متحف برادو في مدريد أفضل تحفة لبوش التي هي: حديقة المسرات الأرضية. في هذه اللوحة يتم التعبير عن مأساة الوجود البشري بقوة مذهلة. اللوحة برمتها شغب جنوني من اللون والحركة يكاد يصيب الانسان بالدوار. هناك كمية هائلة من التفاصيل والصور المذهلة والمتجاورة التي يصعب استيعابها كلها في وقت واحد. لكن عندما نركز على كل التفاصيل، نتعجب من ثراء مفهوميها. نجد في حديقة المسرات الأرضية موضوعا متكررا عند بوش. وهذا في حد ذاته تناقض ومظهر لصراع تيارات متناقضة. يتم تقديم الفاكهة المحرمة (المتع الحسية الدنيوية، أو آثام الجسد) كفاكهة ونساء جميلات عاريات، أكثر الفواكه المحرمة المرغوبة. وهي نفس الصور التي يمكن رؤيتها في "إغراءات القديس أنطونيوس". لكن عند الفحص الدقيق يتضح أن بوش لا يرسم مسرات الأرض، بل عذابات الجحيم.

في ألمانيا كان الفن القوطي المتأخر قد بدأ يعكس الروح الجديدة لعصر النهضة التي ظهرت في إيطاليا. لكن في حين أن الفن الإيطالي مليء بالضوء وأشعة الشمس، فإن الفن الألماني في تلك الأوقات كان مظلمًا، ومواضيعه قاتمة، وطريقته غريبة. كان ذلك الفن معلق بين عالمين، كان له طابع انتقالي لأنه ابن حقبة تقليدية، يقف على مفترق طرق بين نهاية الإقطاع وبداية الرأسمالية. مذبح إيزنهايم (Isenheim Altarpiece) لوحة رسمها الفنان الألماني ماتياس غرونوالد في 1506-1515. وفيها يصور عملية الصلب بطريقة وحشية وسادية. لا توجد هنا راحة ولا شعور بالخلص أو للحياة بعد الموت، فقط سواد متواصل. وتعكس الشياطين الموجودة انتصار الشر. إنه فن زمن الخوف والقلق. إنه يخترق أعماق النفس الجماعية في وقت مضطرب حيث الرجال والنساء محاصرين من جميع الجهات بقوى الشر الجامحة.

في لوحته "السخرية من المسيح" يصور بوش الناس على أنهم شياطين، ووجوههم موسومة بتعابير لاإنسانية. تظهر السلطة في شخص بيلاطس البنطي، الذي يظهر كمنافق كلبى بغيض. الوجه الإنساني الوحيد هو وجه المسيح نفسه، الذي سيستشهد قريبا. وهنا مرة أخرى تبدو النظرة إلى الإنسانية سلبية، إنها رؤية عالم يسير إلى الخراب والدمار وإنسانية محرومة من الخلاص. وفي لوحة "المسيح يحمل الصليب" الموجودة في متحف الفنون الجميلة في جنت، نرى صورة المسيح وحيدا منهكا يحيط به رجال لديهم وجوه وحوش وغيلان. إنها وجوه رجال فاسدين إلى درجة أنهم فقدوا كل محتوى أو شعور بشري. إلا أنه عند القيام بفحص دقيق نرى أن مثل هذا الاستنتاج ليس دقيقا. إن ما يصوره بوش ليس الإنسانية بشكل عام، بل مجموعة اجتماعية محددة. فتلك ليست وجوه الناس الفقراء، بل هي وجوه التجار والفرسان وغيرهم من أصحاب السلطة، بما في ذلك الراهب الدومينيكي البشع. أما الخطاة الذين يعانون عذاب الجحيم فقد صورهم بوش في لوحاته بإحساس يظهر أنه يكن لهم كراهية مطلقة. وهذا ما يشكل كذلك درسا لعصرنا الحالي. كان بوش يرسم في وقت كانت فيه قيم السوق والمال ظواهر



حديقة المسرات الأرضية

اللوحه عبارة عن ثلاثية (كما هو الحال مع عربة التين)، أي أنها مقسمة إلى ثلاثة أجزاء. وذلك بالنسبة لأسلوب القرون الوسطى لديه دلالة رمزية. إنه يروي قصة. أو بعبارة أصح إنه يروي قصة سقوط الإنسان. من اليسار إلى اليمين تبدأ اللوحه بجنة عدن. لكن حتى في هذه الجنة، هناك بذور الشر موجودة بالفعل. فهناك نرى بالفعل عددا من الوحوش: سمكة بأيد بشرية ورأس بطة يسك كتابا وهو يخرج من تجويف، بينما قتل أسد فريسته وهو على وشك التهامها. ونافورة الحياة، ذات الشكل البشع في وسط الصورة، يعلوها هلال، الذي هو رمز الشيطان وإحالة على الإسلام والأتراك.

والأكثر شرا هي البومة التي تحقد من حفرة في قاع النافورة. وفي حين أن البومة بالنسبة لليونانيين القدماء كانت طائرا مرتبنا بأثينا إلهة الحكمة، فإن هذا الطائر الليلي قد ارتبط في العصور الوسطى بالشيطان والشر. وتظهر البومة باستمرار في العديد من أعمال بوش.

تقدم اللوحه المركزية بانوراما واسعة للحياة: أشكال غريبة وحيوانات خيالية وفاكهة كبيرة وناضجة وتشكيلات حجرية هجينة. الفراولة العملاقة التي يسعى الناس جاهدين لتذوقها هي رمز للإغراء في شكله الأكثر وضوحا، أي الجنس. والسمكة الضخمة التي تظهر على جميع الجوانب هي رمز قضيب. في اللوحه الأولى نرى البشر (آدم وحواء) أكبر من الحيوانات وبحجم مساو ليسوع (الرب). لكن في اللوحه الثانية نجد الأحجام قد تغيرت.

تحتوي اللوحه المركزية على العديد من الطيور التي تختلط مع البشر، بل وحتى توفر لهم الفاكهة (المحرمة). نجد هنا ضربة عبقرية تقربنا من السريالية. في الحياة اليومية عادة ما تعتبر الطيور كائنات غير ضارة. تجذبنا بريشها الملون وتغريدها اللطيف. لكن الطيور التي نراها في اللوحه شريرة وخطيرة، إنها كبيرة الحجم وأكبر بكثير من البشر. وبعيونها الفارغة ومنافيرها الحادة القوية، تبدو وكأنها تهدد البشر العزل الموجودين حولها.

في حديقة المسرات الأرضية هناك خطر في كل خطوة. يحذرنا بوش من زوال كل الملذات الدنيوية. فسرعان ما يختفي الطعم الحلو للفاكهة الفاتنة. وجميع البشر يسرون في اتجاه واحد فقط، والذي يظهر على اللوحه اليمنى، حيث نرى مشهدا جهنميا حقيقيا يصور بالتفصيل عذاب المغضوب عليهم. تتم معاقبة المدانين حسب خطاياهم: يحكم على الشرهين بالتقيء الأبدي أو يتبرزههم الشيطان الذي له رأس طائر. وهناك رجل (ربما كان موسيقيا في حياته) تخترق جسده أوتار قيثاره، بينما يظهر آخر وقد تم إدخال ناي في شرجه. وهناك تنوع مذهل للشياطين والوحوش، كل واحد منها كابوس في حد ذاته.

لكن أكثر وحوش الجحيم إثارة للربح والحيرة هو ذلك الذي على

صورة رجل شجرة ويقع في وسط اللوحه. جذعه المجوف، الذي يقف على جذعي شجرة متعفة، منقوب بفروع حادة تبرز من جسده. ينظر الرجل الشجرة بعيدا وتشير تعابيره الغريبة والحزينة إلى أن الرجل الشجرة قد يكون صورة ذاتية لبوش نفسه، وهو يستعرض مشهد سقوط البشرية المحزن.

## تناقضات

تظهر هذه اللوحات الرائعة تباينا شديدا بين الضوء والظلام، لكن في النهاية الظلام هو الذي يفوز دائما. نجد هنا جميع كوابيس العصور الوسطى دفعة واحدة. نجد نار جهنم والعذاب واللعنة الأبديّة والظلمة والنحيب والحسرة.

نجد في لوحات بوش إحساسا قويا بالتناقض. لا نرى فقط ذلك الصراع المؤلم بين التيارات المتناقضة، بل نشعر به ونلمسه

ونسلمه ونشمه. الصور نابضة بالحياة إلى درجة أنها تخرج من اللوحه وتقبض عليك من عنقك. إنها تشبه كثيرا فن السريالية، الذي كان نتاجا لسياق تاريخي مشابه، حيث كانت نفس التناقضات والتي يتم عرضها في تجاور صادم.

رسم بوش الفترة التي عاش فيها وعكسها كمرآة. لقد كان القرن الخامس عشر بالفعل فترة جحيم فوق الأرض بالنسبة للغالبية العظمى من الرجال والنساء. يتميز فنه بعمق كبير، ومثله مثل جميع الفنون العظيمة، لا يبقى على السطح بل يخترق أعماق أجزاء نفسية الإنسان، ويجلب كل أحلامها وكوابيسها السرية إلى السطح. الفن هنا يقلد الحياة.

في عالم يعاني فيه الكثيرون من الجوع، نرى مشاهد مروعة للشراهة. نرى هناك نفس التفاوتات الفادحة بين الغنى والفقر، ونفس اللامساواة والظلم الموجودة في عصرنا الحالي. ولأن بوش غير قادر على تصحيح تلك المظالم الصارخة في الواقع، فإنه يعاقبها من خلال الرسم. تتوافق معاناة المدانين بشكل وثيق مع طبيعة آثامهم؛ فالنساء الفاسقات يمارس عليهن الجنس من قبل الضفادع والسحالي التي تشبث بأعضائهن الحميمة. هذا تعبير عن كراهية النساء الموجودة في المسيحية والتي بموجبها كانت الخطيئة الأصلية جريمة ارتكبتها حواء الأم. ويعذب الموسيقيون بأدواتهم الخاصة التي تحولت إلى وسائل للتعذيب، إلخ.

تعود جذور الإلهام الفني لهذه الرؤى إلى العصور الوسطى، على الرغم من أنها تبدو معاصرة بشكل لافت للنظر. يمكن العثور عليها في الأشكال الشريرة للشياطين والخطاة المرسومة على جدران الكنائس. كان هذا بالفعل هو الجزء الأكثر حيوية في ذلك الفن القديم. لكنه بعد ذلك صار له دور ثانوي، وها هو يعود هنا إلى الصدارة ليعيش حياة خاصة به.

## الإصلاح والإصلاح المضاد

داهم الموت أخيرا بوش في موطنه الأصلي سيرتوخيمبوس عام 1516. وبعد عام واحد سار راهب شاب، يدعى مارتن لوثر، إلى كنيسة فيتنبرغ وسمر أطروحاته الـ 95 على بابها. لقد عبر تمرد البرجوازية ضد الإقطاع عن نفسه في البداية في شكل احتجاج ديني، بطبيعة الحال. لقد عبر الدين البروتستانتي في الجوهر عن وجهة نظر ومصالح البرجوازية. بينما وجد النظام الإقطاعي القديم تعبيره الأكثر تعصبا في إسبانيا الكاثوليكية.

وقفت كل أوروبا آنذاك على حافة مرحلة الثورات والثورات المضادة التي اتخذت شكل حروب دينية. كانت على وشك الدخول في رقصة الموت التي استمرت لمدة ثلاثة عقود. واشتعلت النيران، التي ظهرت في لوحات بوش عن الجحيم، في مدن هولندا وألمانيا وبوهيميا. ولم يشهد أي مكان آخر حروبا دينية أكثر قسوة مما كانت عليه في وطن هيرونيموس بوش نفسه، حيث ظهرت الثورة البرجوازية الأولى في التاريخ على أنها حرب استقلال وطني لهولندا ضد إسبانيا.

يشبه العذاب القاسي الذي تصوره بوش ذلك العذاب الذي مارسه بالفعل محاكم التفتيش الإسبانية على أجساد الرجال والنساء العاجزين باسم الدين. وبعد أن تمكن دوق ألبا الهمجي من إغراق أول ثورة لهولندا البروتستانتية في الدماء، تم نقل العديد من لوحات بوش الأكثر شهرة إلى إسبانيا. كان فيليب الثاني، الكاثوليكي المتعصب وزعيم الحملة الصليبية ضد البروتستانتية، من المعجبين المتحمسين ببوش، وعمل على شراء ومصادرة جميع أعماله التي تمكن من الحصول عليها. واحتفظ بها في قصره الإسكوريال، الذي هو

مزيج غريب بين دير وبين مركز للسلطة الإمبراطورية.



لوحة "الخطايا السبعة المميتة وآخر أربعة أشياء"



اللوحه التي رسمها بوش للخطايا السبع المميتة وضعها فيليب الثاني في غرفة نومه وكانت ما تزال موجودة هناك عندما توفي. إنها لوحة تحمل التحذير التالي: "إحذر، إن الله يرى". لكن من المشكوك فيه أن فيليب قد رأى أي شيء. إنه لم يفهم بوش أو لوحاته، التي تحتوي على إدانة قاسية للكنيسة الرومانية وممارساتها الفاسدة، مثل الصورة الخالدة لخنزيرة ترتدي غطاء رأس راهبة، وتضغط على رجل لكي يوقع وثيقة، ربما للتوقيع على تقديم أملاكه للكنيسة. تحتوي تلك اللوحات على تصوير صارخ للانحلال الأخلاقي والفساد الداخلي للكنيسة.

سخوية التاريخ الغريبة جعلت أعمال بوش تتلقى استقبالا حماسيا من طرف قبل قادة الإصلاح المضاد، مثل المستشار الروحي للملك فيليب، فراي خوسيه دي سيغوينزا. في الواقع لا تظهر أي من لوحات بوش ولو صورة واحدة لراهب أو راهبة بشكل ايجابي. إذا كان بوش يهد لشيء ما فهو الإطاحة بالكنيسة وليس الدفاع عنها. بل يمكن للمرء أن يقول إن لوثر قد أعطى تعبيرا متماسكا عن الأفكار غير المتماشية التي عبر عنها بوش في مجال الفن. وبهذا المعنى فإن الفن يستبق التاريخ.

بل إن بعض الخبراء قالوا إن بوش كان عضوا في واحدة من العديد من طوائف الهرطقة المنشقة، التي ظهرت في ذلك العصر مثلما يظهر الفطر بعد عاصفة رعديّة. حاول فيلهلم فراينغر إثبات أنه كان عضوا في طائفة دينية منشقة اسمها الآدميون. كانوا يطلقون على بعضهم البعض اسم الأخ والأخت، واحتلت النساء مكانة بارزة بينهم. احتفلوا بالشجرة وميسرات الجنة. وكانوا يتعبدون معا وهم عراة مثل آدم وحواء قبل السقوط. كانت هذه فكرة ثورية، حابلة بالزروع إلى المساواة. يدعي فراينغر أن لوحات بوش تعتمد على طقوس آدمية. لكن كتابا آخرين اعترضوا على ذلك، ولا يوجد دليل حقيقي يؤكد أو ينفي.

## آنذاك والآن

يمكن اعتبار بوش آخر رسامي العصور الوسطى. وفي إشارة منه إلى فن تلك الفترة، كتب والتر بوسين قائلا: «لقد اشتعلت العصور الوسطى المحتضرة بلمعان كبير قبل أن تنطفأ إلى الأبد». لكن هذا الفن لا يبدو لنا من القرون الوسطى. إنه يتحدث لنا بصوت عال وواضح. لا يقتصر هذا على أسلوبه

وتقنياته التي تبدو معاصرة بشكل مذهل، إن الأمر يتعلق برسالته الداخلية. إنه فن لديه ما يقوله. إنه ينظر بلا خوف في وجه الواقع ويطلب منا الحكم عليه. يا له من تناقض مع الفن العقيم التافه الذي نراه اليوم!

رسم بوش لوحاته في وقت كانت فيه الرأسمالية في بداياتها الأولى. كان عصرها البطولي ما يزال في المستقبل. وكان ذلك يقع خارج مجال رؤية بوش. كل ما كان يمكنه أن يراه هو الأعراض الواضحة لمجتمع في لحظة انحطاطه النهائي. وكلما وصل نظام اجتماعي اقتصادي معين إلى استنفاد إمكانياته، نرى نفس الأعراض: الأزمات الاقتصادية والحروب والصراعات الداخلية والانحلال الأخلاقي وأزمة الأفكار، والتي تنعكس في تراجع الإيمان بالدين القديم والأخلاق القديمة، مع تصاعد النزعات الصوفية وغير العقلانية، والشعور العام بالتشاؤم وانعدام الثقة بالمستقبل، وانحطاط الفن والثقافة.

هذه هي السمات التي يتوقع المرء أن يجدها في مجتمع استنفد دوره التقدمي وصار غير قادر على تطوير القوى المنتجة كما فعل في الماضي. وكلما حدث ذلك يظهر شعور بأن "نهاية العالم تقترب". في روما القديمة وجد هذا الاعتقاد انعكاسه في الدين المسيحي الذي اعتبر أن العالم على وشك أن ينتهي بالنيران. وفي فترة احتضار الإقطاع بدأ أعضاء طوائف اللطمية (Flagellant) يتجولون في المدن والقرى متنبئين بنهاية العالم. لكن في كلتا الحالتين ما كان يقترب حقا ليس نهاية العالم، بل زوال نظام اجتماعي واقتصادي محدد (العبودية، الإقطاع).

والآن، مع اقتراب نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، من الواضح أن الرأسمالية نفسها قد دخلت مرحلة من الانحطاط النهائي. لعالم هيرونيموس بوش الكثير من الأشياء المشتركة مع عالمنا اليوم. فعالم أوائل القرن الحادي والعشرين عالم الاضطرابات والعنف والفوضى. إنه عالم 11 شتبر ونهب العراق وأفغانستان. نحن نعيش في عالم تتمزق فيه الإنسانية بالحروب والمجاعات والبؤس إلى جانب أكثر مظاهر الثراء والتبجح وقاحة. يتجلى مرض النظام على جميع المستويات. وبعد خمسة قرون ما تزال عربة التبن تندرج، وتسحق الرجال والنساء تحت عجلائها الثقيلة. لقد أصبح الاغتراب الرأسمالي وضمنية السلع جزءا من سيكولوجيتنا لدرجة أننا لم نعد ندركهما. يتطلب الأمر فنانا من حجم بوش لكي يخرج هذه المشاعر الخفية إلى سطح وعينا.

لم يحدث في التاريخ قط أن كانت سلطة المال راسخة كما هي عليه في عصرنا الحالي. ينحط الناس إلى مستوى الأشياء وتكتسب الأشياء الجامدة خصائص الناس. وفي هذه السيرورة تنهار الإنسانية وتضعف وتباد. وتلك الوجوه القاسية واللاإنسانية المليئة بالجشع والشره، التي تظهر في لوحات بوش، يمكن العثور عليها اليوم في قاعات التداول في البورصات، تلك الكازينوهات الشاسعة حيث يتم تحديد مصير الملايين من خلال التحركات المتشنجة للأسواق.

إن رؤية بوش الكابوسية ليست بعيدة عن حالة عصرنا، باستثناء أنه بدلا من اللوحات يمكننا رؤية نفس الصور المخيفة كل ليلة على شاشات أجهزة التلفزيون لدينا. لكن هذا لا يجد أي تعبير حقيقي عنه في الفن المعاصر. لقد تم ذبح أربعة ملايين رجل وامرأة وطفل في الحروب الأهلية في الكونغو، وأفضل ما يمكن لفنانينا البريطانيين إنتاجه هو سرير غير مكتمل.

لماذا ينظر الناس دائما إلى الخلف، وهم يعجبون بحزن بفن الماضي العظيم؟ ذلك لأن فن اليوم لم يعد لديه أي شيء مفيد ليقوله. لقد أنتج بابلو بيكاسو تحفته "غيرنيكا" ردا على الحرب الأهلية الإسبانية. وأنتج غويا "كوارث الحرب" كتعليق وحكم على أهوال عصره. لكن ما يعرض علينا اليوم هو سمكة قرش ميتة ومخللة في الميثانول (Formaldehyde).

الفن نفسه هو الذي تم قتله وتحنيطه في علب زجاجية. ولأول مرة منذ قرون، لم يعد لدى الفن شيء يخبرنا به عن العالم الذي نعيش فيه. لقد أصبح ملكية محتكرة من طرف مجموعة صغيرة من الانتهازيين والفنانين البعيدين عن الواقع والحياة. وإذا أظهر الفن لامبالاة بالحياة الواقعية وباهتمامات الناس، لا عجب أن يبدي الناس اللامبالاة الكاملة تجاه الفن. يحتاج عصرنا إلى هيرونيموس بوش خاص به ليضع مرآة أمام وجهه ويظهره كما هو. لا بد أن مثل هؤلاء الفنانين موجودين في مكان ما لكن أصواتهم غير مسموعة. لقد طمسهم كرنفال جني الأموال الصاحب الذي يسيطر على الفن تماما مثلما يسيطر على بقية المجتمع. لكن عاجلا أم آجلا، سيتمكن صوت الفن الحقيقي، الصوت الصادق والشجاع، من أن يصير مسموعا، وستصير الإنسانية أكثر ثراء به.

آلان وودز

لندن 23 دجنبر 2010

ترجمة: أنس رحيمي

29 ماي 2020



# الجزائر

بعد سنتين من بداية الحراك  
يجب بناء قيادة ثورية

(حوار مع مناضل عمالي) الرفيق الجزائري ياسين



## يكاد الحراك الثوري الجزائري يتم سنتين

من عمره، لا بد أنه يحتاج إلى تقييم واستشراف للآفاق، ما هي، من وجهة نظرك، العوامل التي أدت إلى اندلاع الحراك وما هي مطالبه الرئيسية؟

العامل الرئيسي هو انهيار القدرة الشرائية خلال الخمس السنوات الأخيرة، بالإضافة إلى عاملين ثانويين: الأول استفحال رجال الأعمال و ظهور هيمنتهم للعلن، الثاني العهدة الخامسة رغم رغبة الشعب في التغيير. كان المطلب الرئيسي هو لا للعهد الخامسة، ولا للفساد. (ما كانش الخمسة يا بوتفليقة) (كليتوا لبلاد يا السراقين) قبل أن تتطور المطالب.

ما هي القوى الاجتماعية التي

قادت الحراك؟

من صعب تحديد قوى اجتماعية معينة قادت الحراك، في بداية الحراك الرفض كان شاملا لجميع السياسيين المقربين للنظام أو المعارضين له، أما المجتمع المدني والنقابات فكانت غائبة تماما نظرا لهشاشتها لذلك فقد كان الحراك فعلا من دون قيادة و من دون بوصلة.

لقد سقط بوتفليقة، هل سقط النظام؟

بالتأكيد لا !

ما هي، من وجهة نظركم، نقاط قوة ونقاط ضعف الحراك؟

الحراك له نقطة قوة واحدة، هي العدد الهائل من الأشخاص الذين جمعهم، إذ يمكن الحديث عن عدة ملايين من المتظاهرين؛ أما نقاط ضعفه فيمكن حصرها في نقطتين أساسيتين: غياب كلي لرؤية سياسية أو خطاب سياسي داخل الحراك، وغياب أي نوع من التنظيم داخله

أين وصل الحراك اليوم؟

الحراك فقد زخمه بعد استقالة بوتفليقة وأصبح عدد المشاركين في تناقص، المتظاهرون الذين بقوا بعد في الحراك أغلبهم منتمون أو متعاطفون مع تيارات

سياسية، في مقدمتها حركة رشاد الاسلامية، بالإضافة لبعض الأحزاب الليبرالية أو اليسارية. و هو ما جعله يكتسب بعد ذلك خطابا سياسيا وتنظيما وإن كان غير معلن، وهو خطاب ليبرالي وتنظيم يهيمن عليه الليبراليون والاسلاميون، مما تسبب في ابتعاد الطبقات الشعبية عنه أكثر فأكثر وتناقص أعداد المتظاهرين جمعة بعد جمعة، ثم توقف المظاهرات كلية بعد بداية الوباء.

ما هي، من وجهة نظركم، منظورات الحراك وما هي مهام

المناضلين الماركسيين داخله؟

رأبي الشخصي، كمناضل ماركسي، هو أنه يجب البناء خارج الحراك، أي بناء خطاب ماركسي مضاد للخطاب الليبرالي المهيمن على الحراك حاليا، وذلك لأن أغلب الطبقات الشعبية أصبحت ترى فيه خطرا ( إمبراليا بالخصوص) ولرفض قيادته المعلنه تبني المطالب العمالية والطبقات الشعبية عموما (وصل الأمر لرفع شعارات من نوع مطالبنا سياسية و ليست اجتماعية) ولكن للامانة لا يتفق جميع الرفاق معي في هاته النظرة، إذ أن هناك فريقا يرى أن الأنسب هو البناء داخله برفع شعارات عمالية و اجتماعية تجلب الطبقات الشعبية و تحقق الزخم اللازم لقلب الطاولة على القيادة الليبرالية الحالية.

بمناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق الحراك الثوري في منطقتنا، وفي سياق أممي يتميز باحتداد الصراع الطبقي في مختلف بلدان العالم (من هونغ كونغ إلى تشيلي، مروراً بالهند وباكستان ولبنان، بل وحتى إيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، الخ)، أجرينا هذه الحوارات مع عدد من المناضلين الثوريين القياديين في بعض فروع التيار الماركسي الأممي (الفروع الفرنسي، الفرع الكندي، الفرع الباكستاني، الفرع الإيطالي، الفرع البلجيكي) طلبنا منهم فيها تقديم صورة عن وضع وآفاق الصراع الطبقي في بلدانهم، وأشكال تدخلهم، مع رسالة لشباب وعمال منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط. وقد جاءت ردودهم مفعمة بالتفاؤل الثوري والثقة في قدرة الطبقة العاملة على التغيير الثوري وفي مستقبل الاشتراكية، مع التأكيد على أن المهمة الملحة اليوم على كاهل الماركسيين في كل مكان هي بناء الأحزاب الماركسية الثورية القادرة على قيادة نضالات الطبقة العاملة وعموم الكادحين قترياً وعلى الصعيد الأممي، وهذه هي بالضبط المهمة التي نسعى، نحن التيار الماركسي الأممي، إلى إنجازها، وندعو كل من يتفق معنا أن يلتحق بنا في هذا النضال التاريخي العظيم.

عاشت نضالات الطبقة العاملة العالمية !

عاش التيار الماركسي الأممي !

يا عمال العالم اتحدوا !

كل هذا العمل سمح لنا بالنمو في المدن التي كنا حاضرين فيها، ولكن أيضاً بدء عمل في مناطق جديدة تماماً، مثل مناطق فينيتو وبوغليا وفي العديد من المدن الأخرى.

يقدم العام الجديد نفس تناقضات العام السابق و بشكل أكثر عمقاً. لم يتم عمل أي شيء لاحتواء الوباء أو لحماية العمال أو حتى لضمان رجوع الطلاب إلى المدارس في أمان. لذلك، سنواصل حملتنا في هذا الاتجاه، ونظراً للسرعة التي تتطور بها الأحداث سنعمل على رفع مستوى التعبئة.

لقد نشرنا كتاب ألان وودز وتيد غرانت «لينين وتروتسكي ما هي مواقفهما الحقيقية؟»، والذي سنعرضه على الإنترنت

، وكذلك سيكون لدينا ندوة عن ميلاد الحزب الشيوعي الإيطالي، بمناسبة الذكرى المئوية.

اتجاهاً إلى 8 مارس / آذار، نقوم ببناء مؤتمر نسائي، يومي السادس والسابع من الشهر، لمناقشة الاضطهاد الذي يخيم على النساء في ظل هذا النظام، والذي تفاقم بسبب أزمة الوباء، وما العمل لتحررهن.

انطلاقاً من كل هذا نهدف إلى الاستفادة من الوضع لبناء القوى البديلة في أسرع وقت ممكن.

إن التحركات الأخيرة في لبنان والجزائر والمغرب وإيران وغيرها مصدر إلهام كبير لنا. إن الجماهير العربية والعالم أجمع يظهرون أنهم لم يعودوا راغبين للمعاناة في صمت، بل خوض الصراع كما لم يحدث من قبل. كل ما يحدث من حولنا بطبيعته استثنائية يوضح أن العمال هم المحرك الحقيقي للمجتمع وأن الشباب هم ألمع شعلة وأن اتحاد نضالاتهم، في جميع أنحاء العالم، وحده ما يمكن من تغيير الأوضاع حقاً. بعد كل شيء، من سبق له أن رأى رئيس الولايات المتحدة يلجأ إلى ملجأ قبل حركة «Black Lives Matter»؟

النظام الذي يفشل في ضمان كرامة الناس وصحتهم وتعليمهم ولا يمكنه حتى أن يضمن حياتهم في مواجهة الفيروس هو نظام فاسد يستحق الهلاك. لكن لكي يحدث هذا في أسرع وقت ممكن، هناك حاجة أيضاً إلى برنامج و حزب. إذا كنتم تتفقون مع أفكارنا، انضموا إلينا !



الزبير باسم الفرع الإيطالي

## في أزمة

الرأسمالية، لم يعد بإمكاننا أن نخدع أنفسنا بأن من يسرق العمال

من ثمار عملهم كل يوم ويرسلهم إلى المسلخ باسم الربح يمكن أن يغير المنطق يتقرب من القطاعات أكثر اضطهاداً. الإصلاحية ماتت ولا مجال حتى للتسويات النزولية. لقد أظهر الوباء المصالح الحقيقية التي تدافع عنها حكومات جميع البلدان. لذلك، بصفتنا التيار الماركسي الأممي، نناضل جنباً إلى جنب مع هذه القطاعات العمالية، التي نحن جزء منها، لبناء بديل. نحن شباب وعمال من جميع الجنسيات، منظمين في فروع في أكثر من 40 بلداً مختلفاً.

قوتنا وثقتنا في الطبقة العاملة وفي الشباب، الذين عانوا في جميع البلدان من عواقب الإدارة القاسية لأزمة الوباء. الجواب الوحيد، كما تظهره الحركات في جميع أنحاء العالم لهذا الوضع هو النضال العام و الأممي.

هدفنا تنظيم هذا النضال وتوجيهه نحو النظام الذي يجب إسقاطه.

لقد دفعنا الحجر الصحي الأول إلى تجربة أساليب جديدة، تتماشى مع الوضع الجديد، لضمان النقاش السياسي مع العمال والشباب. لذلك أطلقنا مجموعات الدراسة الماركسية، نقاشات منتظمة حول الشؤون الجارية، وتاريخ ونظرية الحركة العمالية والطلابية.

في خضم الوباء لم يستفد العمال من أي حماية وذلك لضمان مواصلة مراكمة الثروة لصالح بضعة من أصحاب الملايير. ولهذا أطلقنا حملة لإغلاق الأنشطة غير الأساسية وفي بعض الشركات تمكنا من تنظيم العمال لإغلاق الإنتاج وفي أخرى، ضرورة، لضمان إجراءات أمنية ناجحة. ومن هنا نشأ تيارنا النقابي "Giornate di Marzo" (أيام مارس) من الإضرابات الرائعة التي حدثت في تلك الفترة.

من ناحية أخرى، أطلقنا حملة تجاه الشباب وأنشأنا تسيقاً وطنياً للطلاب في أعقاب الإحباط الناتج عن التعلم عن بعد، والذي يعمق عدم المساواة. يساعدنا هذا العمل في الأشهر الأخيرة على التدخل بين الطلاب لمحاربة نظام يسرق منهم الحاضر والمستقبل. إلى جانب هاتين الحملتين المركزيتين، كنا دائماً أمام المدارس (عندما تكون مفتوحة) والمصانع والمظاهرات لنشر صحيفتنا "Rivoluzione" والمناقشة مع مئات الأشخاص.



## الريكس باسم الفرع الكندي

الرفاق الأعزاء، أتقدم إليكم بأحر التحايا باسم منظمة Fightback / La Riposte Socialiste ، الفرع الكندي للتيار الماركسي الأممي. قبل 20 عاما كنا أصغر مجموعة يسارية في كندا وكان لدينا 03 رفاق فقط، لكن الآن، وبفضل الأفكار وأساليب العمل الصحيحة للتيار الماركسي الأممي، أصبحنا أكبر منظمة ماركسية في كندا، تضم حوالي 400 عضو.

تكمّن نقاط قوتنا الرئيسية في تورنتو، التي تعتبر أكبر مدينة، ومونتريال في كيبيك الناطقة بالفرنسية، وإدمونتون في الغرب. إلا أننا ننمو في جميع أنحاء البلاد. لقد تطورنا بسرعة كبيرة بفضل تنظيمنا لمجموعات النقاش الماركسية في الجامعات، لكننا بدأنا الآن نزيد من تواجدنا بين صفوف الطبقة العاملة والنقابات.

نحن ننظم مدرسة مونتريال الماركسية الشتوية، والتي هي أكبر حدث ماركسي في كندا. ستكون هذا العام متاحة على الإنترنت في الفترة من 13

إلى 15 فبراير، مع ترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ونهدف إلى الوصول إلى 1000 مسجل. يمكنكم الحصول على المعلومات على الرابط التالي <https://www.marxist.ca/school>. وبالإضافة إلى المدرسة الشتوية، نحن المنظمون الرئيسيون لمظاهرة فاتح ماي في تورنتو ومظاهرة عيد العمال في مونتريال. نحن متفائلون أنه مع استمرار العمل الجاد والتجذر العام الذي يعرفه المجتمع، ستمتكن من اختراق حاجز 500 عضو هذا العام. وفي الختام نود أن نقدم بأطيب تحايانا الثورية لكم وللعمال الشباب في شمال أفريقيا والشرق الأوسط. نحن معا نحارب الإمبريالية، أتم في الخطوط الأمامية ونحن في بطن الوحش. باتحادنا معا سوف نسقط الرأسمالية ونبني فيدرالية اشتراكية عالمية!

## هل لك أن تقدم لنا تعريفا بمنظمتكم Revolution ؟

Revolution (الثورة) هو اسم المجلة الناطقة بالفرنسية للفرع البلجيكي للتيار الماركسي الأممي. ونظرا لكون بلجيكا بلد ثنائي اللغة، فإننا نصدر أيضا جريدة باللغة الهولندية تسمى Vonk (أي الشرارة). نحن نمثل اليسار الماركسي بين صفوف الشباب وداخل الحركة العمالية المنظمة، وخاصة في النقابات.

## ما هي أبرز الأنشطة التي نظمتوها أو شاركتكم فيها خلال عام 2020؟

ج: لقد تسبب الإغلاق منذ بداية الجائحة في عام 2020 في زيادة صعوبة التعبير عن الصراع الطبقي، لكنهما لم يقضيا عليه بل على العكس من ذلك. واصلنا تنظيم أنشطتنا السياسية في الجامعات عبر الإنترنت، مرة كل أسبوعين تقريبا. وقد غطت هذه الأنشطة مواضيع متنوعة تتراوح بين الأزمة الصحية العالمية والقمع البوليسي ونظرية المؤامرة، وقضايا نظرية مثل الاقتصاد الماركسي... وفي عدة مناسبات قمنا في بعض مناطق بروكسل بالتدخل بنشاط في نضالات عمال قطاع الصحة. كما تدخلنا شهر شتنبر في إضراب طويل قام به عمال مصنع الجعة (AB Inbev) -الذي يصنع، من بين أشياء أخرى، بيرة Jupiler - للمطالبة بتطبيق إجراءات صحية أكثر صرامة. كما أخذنا زمام المبادرة، أو شاركنا، في بعض النضالات الجماهيرية ضد العنف القائم على النوع الاجتماعي وضد النزعة الاستعمارية التي ما تزال مستمرة. وقمنا كذلك بدور نشيط في المظاهرات الكبيرة لحركة حياة السود مهمة في بروكسل.

## ما هي خططكم للنمو خلال العام القادم؟

نحن طموحون. سنعمل في شهر مارس على تنظيم مدرستين ماركسييتين كبيرتين عبر الإنترنت (باللغتين الفرنسية والهولندية) بتنسيق مع فروع التيار الماركسي الأممي الفرنسية والسويسرية والكندية والهولندية. من بين الموضوعات الرئيسية سيكون هناك موضوع كومونة باريس بمناسبة الذكرى 150 لتأسيسها. وستكون تلك فرصة لاطلاع جمهور أوسع على تلك الثورة العمالية العظيمة الأولى ودروسها بالنسبة للماركسيين اليوم. نريد أن نجتمع 300 شخص حول هذه المدرسة الماركسية.

الكثير من الناس، وخاصة الشباب، يكتبون لنا بانتظام من أجل معرفة المزيد عن منظمتنا وأفكارنا. ومن بين المعارك المهمة التي ينبغي حوضها هو تفكيك أفكار ما بعد الحداثة والحركات النسوية.

في بروكسل على وجه الخصوص، هناك أيضا معركة ضد القمع البوليسي العنصري والذي سنقوم بالتظاهر ضده. إلا أننا على نطاق أوسع سنواصل البناء على أسس نظرية صلبة وإقحام منظمتنا في النضالات الحقيقية للشباب والعمال ضد الاستغلال الرأسمالي.

## ما هي رسالتك للشباب والعمال في شمال إفريقيا والشرق الأوسط؟

لقد حان الوقت الآن للثورة العالمية. بعد 10 سنوات على «الربيع العربي» لم يتم حل أي من القضايا الملتهبة. بل في بعض البلدان، وبعد الإطاحة بالديكتاتوريين المكروهين، أصبح الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي أسوأ مما كان عليه قبل انتفاضة 2011/2010. يمكن لمنظمتكم أن تكون جنة فوق الأرض، يمكنها أن تكون مجتمعا للوفرة والسلام، ليست هناك من حتمية طبيعية يمكنها أن تفسر الحروب والاضطرابات والديكتاتوريات والاستغلال والقمع. ليس هناك من مستقبل في ظل الرأسمالية وتحت الهيمنة الإمبريالية، وحدها الثورة الاشتراكية القادرة على تحرير الإمكانات الإبداعية والإنتاجية الكاملة للشباب والعمال وصغار الفلاحين.



أريك باسم الفرع البلجيكي



## دروس الثورة العربية

لقد مرت عشر سنوات منذ انطلاق الشرارة الأولى للربيع العربي. فبعد أن اندلعت الثورة على إثر وفاة محمد البوعزيزي في تونس، امتدت، مثل النار في الهشيم، إلى الجزائر ومصر ومن هناك إلى كل ركن من أركان العالم العربي والشرق الأوسط.

كيف أمكنها أن تنتشر بهذه الطريقة؟ السبب هو أن نفس الظروف سادت في كل ركن من أركان المنطقة: الفقر والبطالة والديكتاتورية الخائفة. لقد قامت جماهير، بدون أي تنظيم أو قيادة أو خطط مسبقة، باقتحام السماء، على حد تعبير ماركس. وقد وقف

في مواجهتها ليس فقط قوات أجهزة الدولة

الهائلة وكل الطبقات السائدة في العالم بأسره، بل أيضا المثقفون الليبراليون. ومع ذلك فلم تمض سوى بضعة أسابيع حتى اضطروا جميعا للرضوخ لسلطة نفس تلك الجماهير التي تجاهلواها بازدراء طيلة عقود. والحقوق الديمقراطية، التي لم يستطع الليبراليون تحقيقها رغم سنوات من الملتزمات والاستجداء، صارت أمرا واقعا بفضل النضال الجماهيري المباشر. وعند كل نقطة تحول في مسار الثورة، كانت الجماهير هي التي تدفع المجتمع إلى الأمام، بينما حاولت الطبقة السائدة وخدمها البرجوازيون الصغار كبح الحركة بكل قوتهم.

لا شيء يمكنه أن يصمد أمام قوة الحركة الجماهيرية. لكن ورغم ذلك فقد تعرضت تلك الحركة للهزيمة، وإن بشكل مؤقت، وانتقلت الثورة المضادة إلى الهجوم. أفسحت تلك الطاقة الثورية الطريق أما التعب والتشاؤم. في مصر سجن نظام السيسي آلاف الثوار. وفي سوريا وليبيا واليمن، اتخذت الثورة المضادة طابعا همجيا بشكل خاص. وتمكنت الأنظمة في المغرب وتركيا ودول الخليج من تثبيت استقرارها مجددا.

يخبرنا الليبراليون أن هذه الهزائم سببها أن الجماهير قد تحركت بأسرع مما يجب، ورفعت سقف التوقعات أكثر مما يجب، وحاولت تغيير أشياء كثيرة في وقت واحد. من المعتاد سماع مثل هذا القول من هؤلاء السيدات والسادة. يقولون: «الجماهير ليست مستعدة كما ترى». «الجماهير جاهلة وأمية وعاجزة عن تسيير المجتمع بالطريقة التي ينبغي أن يُسير بها». لكن الواقع هو أن المشكلة تكمن في أن الحركة، التي عرفلها هؤلاء الليبراليون أنفسهم عند كل منعطف، قد تحركت بسرعة أقل مما يجب ولم تقطع كل المسافة التي كان يجب عليها قطعها. وبينما تمت الإطاحة برؤساء بعض الدول مثل تونس ومصر واليمن وليبيا، فقد ظل جهاز الدولة ومفاتيح الاقتصاد في أيدي نفس الطبقة السائدة القديمة، أي نفس تلك الطبقات الرأسمالية التي نهبت واضطهدت شعوب المنطقة لعقود.

يعتقد الليبراليون أن غياب الديمقراطية يعود إلى الاختيارات الفردية لمن هم في السلطة. لكن الواقع هو أن ذلك انعكاس لمأزق الرأسمالية التي هي نظام عاجز عن توفير الضروريات الأساسية للجماهير في العالم العربي. وقد

حميد علي زاده من المركز



كان هذا هو السبب الجذري لثورات 2011. ولأن الثورة لم تعالج هذا المشكل الجذري فقد تعرضت للهزيمة في النهاية. إلا أن هذا يعني أيضا أن نفس التناقضات ما تزال قائمة حتى اليوم، بل لقد تفاقمت. في عام 2011 كان هناك حوالي ثمانية ملايين شخص في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يعيشون تحت خط الفقر، البالغ 1.90 دولار في اليوم. لكن بحلول عام 2018، ارتفع هذا العدد إلى 28 مليون. ناهيك عن بطالة الشباب التي استمرت بتزايد باطراد منذ ذلك الحين. لم يسبق للفقر والبؤس أن عرفا مثل هذه المستويات العالية في تاريخ العالم العربي.

لا يوجد أي مخرج للجماهير العربية على أساس الرأسمالية. وفي حين أن الموقف قد يبدو قائما، إلا أن هناك تيارات قوية تتراكم تحت السطح. إن التناقضات التي أدت إلى الثورة في المقام الأول استمرت تتفاقم منذ ذلك الحين. الغضب والإحباط منتشران في كل ركن من أركان المنطقة. الانفجارات الثورية احتمالات يحبل بها الوضع برمته. لكن تلك الانفجارات ستبدأ من مستوى أعلى نوعيا من سابقاتها، ستكون أقل سذاجة وأكثر جذرية. لقد تعلمت الجماهير، بتجربتها المريرة، أن أساليب الثورات الماضية لا تكفي لحل المشاكل. وعلاوة على ذلك فإن الحركة تتخصب بجيل جديد من الشباب الذين نشأوا في سنوات ما بعد الثورة، والتي هي سنوات اتسمت، على عكس حقبة ما قبل 2011، بعدم الاستقرار العام والنضالات المريرة.

لقد رأينا في السنوات الماضية بشائر ما سوف يأتي، في كل من لبنان والجزائر والعراق والأهم في السودان، حيث رأينا مزاجا أكثر تقدما وأكثر نضالية وكفاحية من الموجة الأولى من الثورات. ونذكر بالأخص الثورة السودانية التي بلغت ذروتها بإضراب عام ثوري يبشر بالأحداث التي سنشهداها في الفترة المقبلة.

لقد تسببت جائحة كوفيد 19 في عرقلة طفيفة لتلك الحركات، لكن لا ينبغي أن يخدعنا هذا. هناك مد ثوري جديد يتحضر في كل مكان. لم تكن قاعدة دعم الطبقات السائدة، في أي وقت مضى، أضعف مما هي عليه الآن. وإذا كانوا ما يزالون صامدين، فإن ذلك يرجع فقط إلى الارتباك المؤقت للطبقة العاملة.

إن مهمة الثوريين في مثل هذه الظروف هي أن يتعلموا من دروس الماضي. أن يعملوا بأسرع ما يمكن على بناء القيادة والتنظيم الثوريين اللذين لم يكن لهما وجود خلال الثورة الأولى، وأن يطرحوا برنامجا ثوريا يربط بوضوح النضالات الديمقراطية والاقتصادية للجماهير العربية بهدف الثورة الاشتراكية.

## هل يمكنك أن تقدر لنا تعريفاً لمنظمتكم لال سلام (التحية الحمراء)؟

لال سلام منظمة ماركسية ثورية هي الفرع الباكستاني للتيار الماركسي الأممي. لهذه المنظمة وجود في جميع أنحاء البلاد وهي تعمل على بناء حزب على غرار الحزب البلشفي بقيادة لينين من أجل قيادة ثورة اشتراكية في هذا البلد.

نصدر جريدة شهرية منتظمة بعنوان Worker Nama، والتي هي لسان حال المنظمة ويتم بيعها بين العمال والطلاب في جميع أنحاء البلاد. كما نصدر بانتظام، كل ثلاثة أشهر، مجلة نظرية، اسمها لال سلام، تضم تحليلات وكتابات ماركسية. ونشرنا في السنوات الأخيرة كذلك العديد من الكتب حول المادية الديالكتيكية، وتشي غيفارا، ونقد الليبرالية وقضايا مثل التأثير الصيني في باكستان، والنزاع في كشمير... كما نستعمل مواقع الكترونية وقناة تلفزيونية على الإنترنت والعديد من الأنشطة الأخرى لنشر رسالتنا.

تنشط منظمتنا في كل الجامعات الكبرى في جميع أنحاء البلاد، وتلعب دوراً مهماً في السياسة الطلابية اليسارية في البلاد. وقد نظمنا يوم 19 دجنبر، يوماً نضالياً

طلابياً على المستوى الوطني، في حوالي 30

مدينة، شارك فيه بحماس ثوري مئات الشباب العاطلين والطلاب، ضد الهجمات التي تشنها الطبقة السائدة بما في ذلك رفع أسعار رسوم التسجيل والبطالة والاعتداء على النساء وحظر نقابات الطلاب والخصخصة وقضايا أخرى.

كما أننا نعمل داخل الحركة النقابية في جميع أنحاء البلاد، وقد قمنا بدور رائد في حركة عمال قطاع الصحة في جميع أنحاء البلاد، خاصة خلال جائحة كورونا، عندما كان عمال الصحة يحتجون مطالبين بتوفير معدات السلامة والموارد الأخرى. لقد تمكنا من توحيد نضال الأطباء والمسعفين والممرضين وعمال النظافة على أرضية واحدة ولعبنا دوراً رئيسياً في بناء «تحالف الصحة الكبير» في جميع أنحاء البلاد، والذي ما يزال يناضل ضد خصخصة المستشفيات.

كما يقوم مناخلو ومناضلات لال سلام دائماً بدور مهم في حركة القوميات المضطهدة، سواء الحركة السنديّة أو البلوشية أو البشتونية أو الكشميرية أو غيرها من الجنسيات المضطهدة في باكستان.

وأطلقنا حملة جماهيرية من أجل حقوق النساء، حيث قمنا بخطابات ومناقشات لمحاربة اضطهاد النساء اللاتي يواجهن أسوأ أنواع القهر في هذا البلد. إلا أن كل هذه الأنشطة تستدعي أيضاً الهجمات علينا من جانب أعدائنا والقمع البوليسي. تعرض اثنان من مناضلي لال سلام للاختطاف على يد أجهزة الدولة خلال العام الماضي، أحدهما في يوليو والأخر في نوفمبر. إلا أنه قد تم فرض إطلاق سراحهما في نهاية المطاف بعد حملة أممية عظيمة، نظمها التيار الماركسي الأممي في جميع أنحاء العالم، احتج خلالها قادة نقابيون وسياسيون يساريون ونواب يساريون وطلاب ونشطاء سياسيون أمام مقرات السفارات الباكستانية وكتبوا رسائل إلى السلطات المعنية تطالب بالإفراج عن هؤلاء المناضلين.

يستلهم الرفاق هنا الحماس الثوري من نضالات شباب وعمال الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ويتابعون الأحداث هناك عن كثب. لقد فاجأت الثورات العربية في عام 2011 العالم بأكمله، لكن الرفاق في باكستان كانوا يعرفون بالفعل التقاليد الثورية للمنطقة وتاريخها وكانوا مدركين جيداً أن الشعوب هناك سوف تتور مجدداً ضد الظلم عاجلاً وليس آجلاً.

لقد كانت التطورات الثورية في السودان خلال العام الماضي ملهمة حقاً وقدمت الكثير من الدروس للرفاق هنا، وكذلك الحركات الجماهيرية في الجزائر والعراق وإيران، وقبل كل شيء في لبنان، كانت مصدر الكثير من الإلهام والحماس للشعب الباكستاني.

وأخيراً، لكن ليس أخيراً، لقد ألهمت حركة الشعب الفلسطيني أجيالاً من الثوار هنا، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الشعر الثوري والشعارات الثورية والسياسة الثورية هنا، ويعبر الرفاق هنا عن تضامنهم الكامل مع تلك الحركة.

إننا نبعث بتحايانا الثورية لشعوب تلك المنطقة التي تناضل ضد قمع الأنظمة والنهب والاستغلال الإمبرياليين، ونريد أن نقول إن السبيل الوحيد للخروج من هذا الكابوس هو الإطاحة بالرأسمالية من خلال ثورة اشتراكية.

نحن معكم في هذا الكفاح ضد الاستبداد ورأس المال المنتعش للدماء ونتعهد بمحاربة هذا الخطر حتى النهاية.

**عاش عمال الشرق الأوسط وشمال أفريقيا!**

**عاش الشباب الثوري في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا!**

**يا عمال العالم اتحدوا!**

آدم باسم الفرع الباكستاني





## الرفيق أوبير، هل يمكنك أن تقدم لنا تعريفًا بمنظمتكم Révolution (الثورة)؟

**Révolution** منظمة تدافع عن الأفكار الماركسية بين صفوف الشباب والحركة العمالية. نسعى جاهدين من خلال جريدتنا وكراريسنا وكتبنا وموقعنا الإلكتروني (marxiste.org)، لإظهار راهنية وحيوية الأفكار الاشتراكية الثورية. وبوجود أكثر من مائة رفيق الآن، نحن نشيطون للغاية في مدن باريس وليون ومرسيليا وتولوز، حيث ننظم أسبوعياً اجتماعات عامة لحلقائنا الماركسية.

## ما هي أهم الأنشطة التي نظمتوها أو شاركتم فيها خلال عام 2020؟

قبل الإغلاق، في مارس 2020، شاركنا في الإضرابات العديدة ضد إصلاح نظام التقاعد التي اندلعت منذ 05 دجنبر 2019.

وخلال تلك الفترة قمنا ببيع ما يقرب من 2000 نسخة من الجريدة، سواء في تلك النضالات أو خلال المظاهرات الأخيرة لحركة السترات الصفراء. وفي يونيو شاركنا في الاحتجاجات ضد العنصرية والإسلاموفوبيا، والتي كانت صدى لحركة حياة السود مهمة. وأخيراً قمنا، في بداية العام الدراسي في شتبر، قبل الإغلاق الثاني، بتنظيم نشاط مكثف في الجامعات للدعاية لحلقائنا الماركسية، تمكنا خلالها، في كل مرة، من استقطاب بضع عشرات من الشباب الذين يرغبون في معرفة الأفكار الماركسية قبل الانضمام إلى منظمة ثورية موثوقة، كما نظمنا لقاءات عامة عبر الإنترنت ومدارس ماركسية على المستوى الوطني استقطبت مئات الأشخاص.

## ما هي مخططاتكم للنمو للعام القادم؟

من الآن وحتى حلول موعد مؤتمرنا الوطني القادم في يونيو، نتوقع أن نصل إلى هدف 120 عضواً، وأن نمد وجودنا إلى مدينة جديدة. وقد تمكنا في الآونة الأخيرة من خلق علاقات جيدة للغاية مع مناضلين نقابيين يرغبون في الانضمام إلى التيار الماركسي الأممي. وحتى ذلك الحين سنعمل على عقد المزيد من اللقاءات العامة. إن مدارسنا مهمة جداً في ما يتعلق بالثقيف السياسي لرفاقنا ورفيقاتنا، كما أنها في نفس الوقت مصدر إلهام. وفي هذا الصدد ندعوكم للمشاركة في المدرسة الماركسية عبر الإنترنت، في مونتريال، من 13 إلى 15 فبراير، وكذلك مدرسة الفروع الناطقة بالفرنسية (التي تجمع بين الرفاق/ات السويسريين والبلجيكيين والكيبكيين والفرنسيين)، والتي ستعقد يومي 20 و 21 مارس. وحوالي 18 مارس سننظم نشاطاً عبر الإنترنت للاحتفال بالذكرى السنوية الـ 150 لكونمونة باريس. في عام 2022 ستجرى الانتخابات الرئاسية. ومع اقتراب الموعد النهائي، ستشكل نقطة لتبلور سياسي على اليسار والذي ينبغي أن يستقطب شرائح كبيرة من العمال والشباب الراديكاليين. ومن أجل التواصل مع هؤلاء الآخرين، سوف نتدخل في هذه الحملة بوسائلنا، لتقديم دعمنا النقدي لبرنامج حركة فرنسا الأبية.

## ما هي رسالتك للشباب والعمال في شمال إفريقيا والشرق الأوسط؟

نحن نتابع عن كثب تطور الصراع الطبقي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. إن ثورات 2011 والحراك والثورة الجزائرية والتحركات المثيرة للإعجاب في لبنان، من بين أمور أخرى، ليست سوى مقدمة لحركات ستكون أقوى من أي وقت مضى، على الرغم من فترات التراجع - المؤقتة. علينا جميعاً أن نستعد لتلك الأحداث. ولهذا فإن المهمة العاجلة بالنسبة للماركسيين حول العالم هي تشكيل جنين الأحزاب الثورية المسلحة بالنظرية الماركسية وخبرتها. وهذا ما يقوم به التيار الماركسي الأممي، فانضموا إلينا!

أوبير باسم الفرع الفرنسي





# التيار الماركسي الأمامي



الحرية والشيوعية



SCAN ME